المنهل

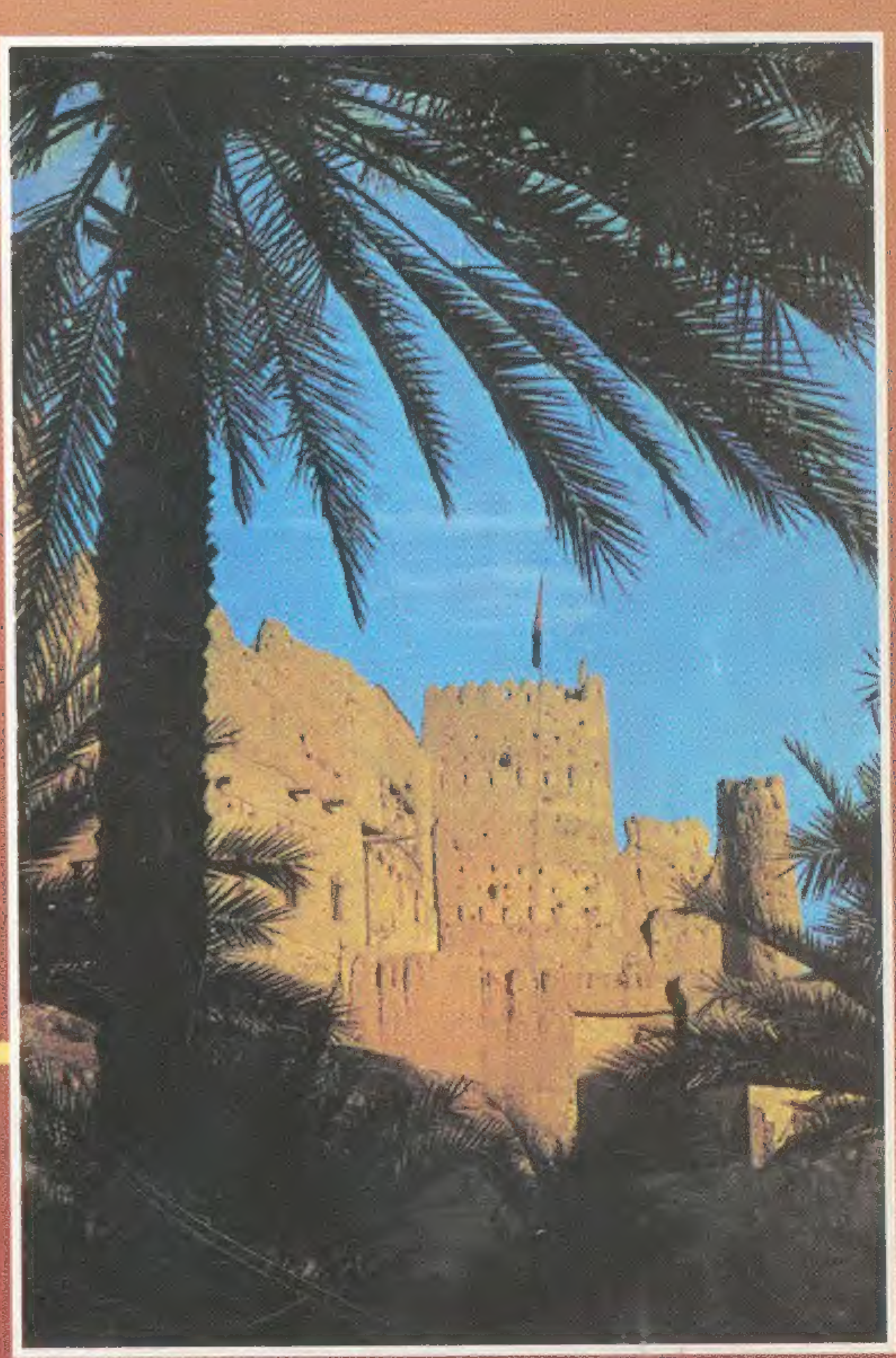
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٥٩) المجلد (٦١) العام [٦٥] الربيعان ١٤٢٠ هـ - يوليو واغسطس ١٩٩٩م

الاستشراق والظاهرة الإسلامية



الوعي الجماعي وجماعية النص

فن الكتابة للأطفال





سلطنة عمان في كتابات الجغرافيين

المنهل

مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



شهر النور

شهر ربيع الاول هو بحق شهر النور والحبور، ففي أضواء هلاله الباسمة، وفي أشعة شمسه المشرقة، انبثقت طاقة بهجة عالمية شاملة لانها تحمل بين يديها «اعلام» انقاذ خفاقة واعلام هداية وحرية عامة من كبول الخرافات وأباطيل الضلال والاستعباد والاستبداد.

ففي هذا الشهر الميمون كان مولد سيد الخلق: «محمد» {صلى الله عليه وسلم} في قلب أم القرى وبين روابيها المشرقة، وعلى مقربة من «بيت الله» المعظم حيث كان ابونا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قد ارسل «أذانه» المدوى في آفاق المعمورة يدعو أبناء البشرية المتلاحقة عبر الدهور القادمة.. بأن عليهم ان يؤموا البيت العتيق، حاجين ملبين، ومنيبين مستغفرين.

وفي هذا الشهر المبارك نفسه كانت بعثة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} الى كافة الناس بشيرا ونذيرا وهاديا ومصلحا.

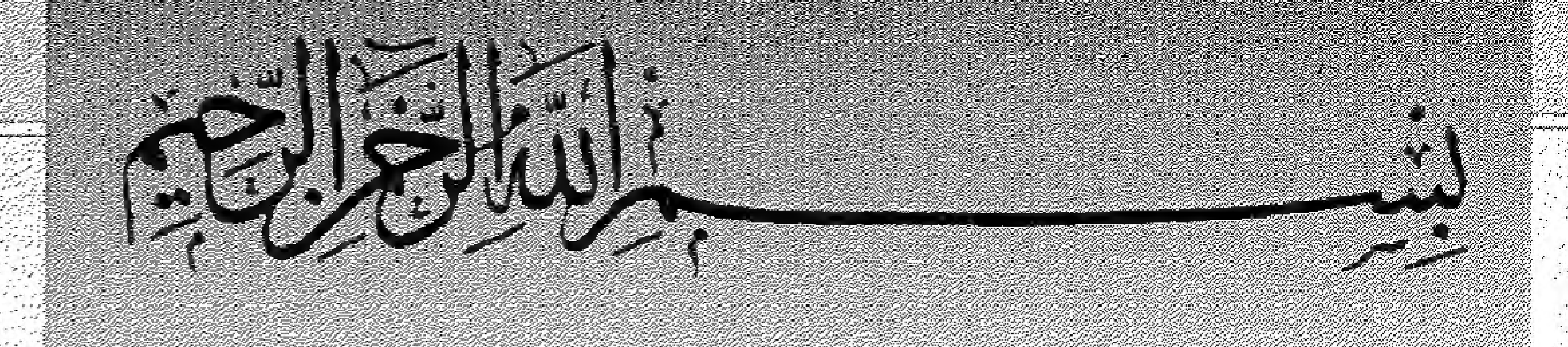
ولقد هدى الله بنور رسالته الوضاءة أمما وشعوبا كانت سادرة في غيابات الضلال والالحاد والانحلال والفساد المستشرى.. فارتفعت معنوياتهم، وانصهرت نفوسهم في بوتقة الاسلام الحنيف، فكانوا القادة السادة الرادة، والهداة المهديين.

وفيه كانت هجرته الغراء الى المدينة المنورة.. حيث انتشر من آفاقها الميمونة دين الله الى كافة أنحاء المعمورة.

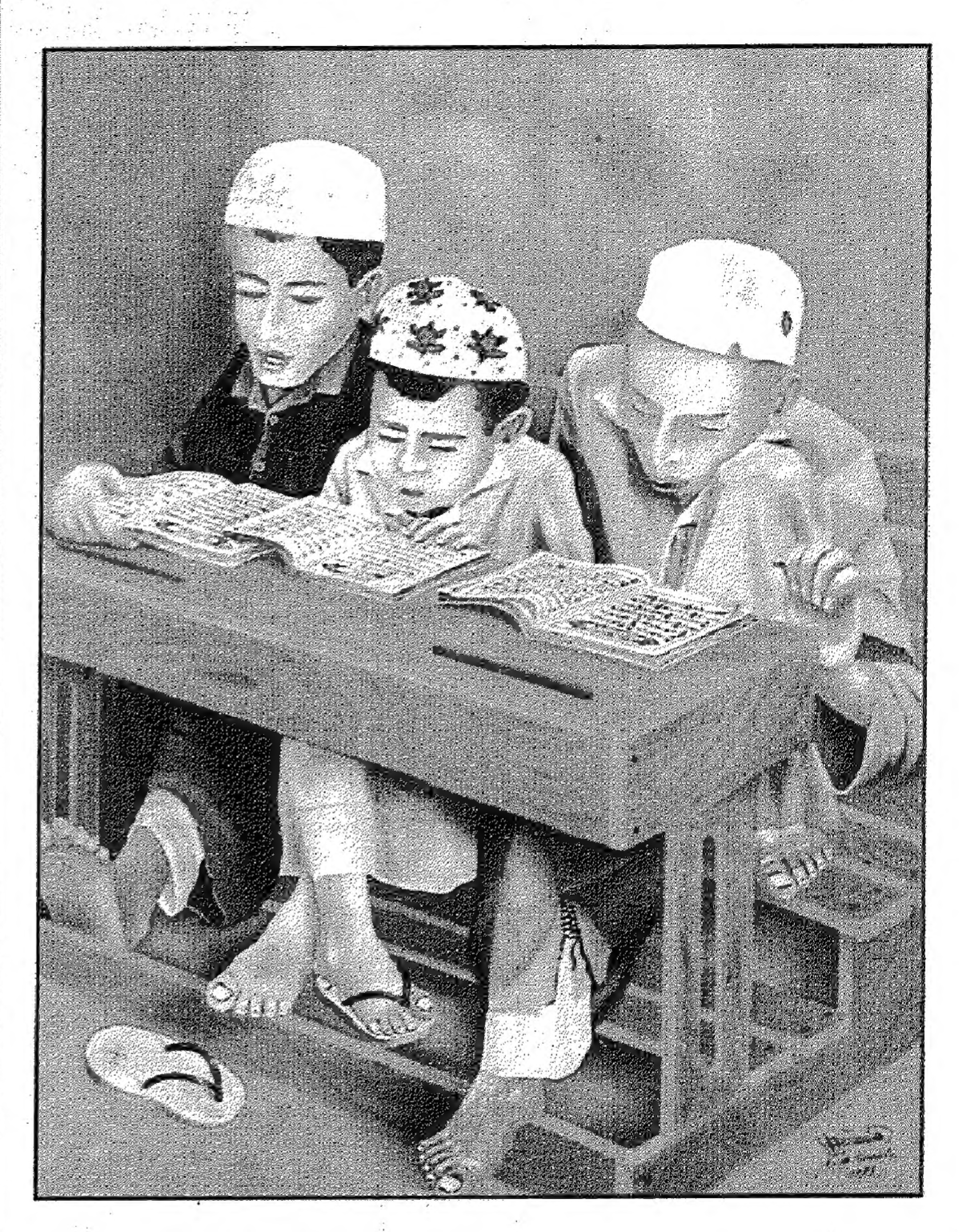
فاللهم رشدا وهداية لعبادك المسلمين في مشارق الارض ومغاربها.. حتى ينجلي عن قلوبهم وأفكارهم «ران» الحيرة والفرقة اللذين طالما حطما كيانهم. وحتى يوفقوا الى تحقيق «التضامن الاسلامي» المجيد الذى هو صخرة النجاة لهم من كل عدو متربص وكائد ماكر في كل زمان وفي كل مكان.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الاول ١٣٨٨هـ - يونية ١٩٦٨م



حرف ولون



ابراهيم السويل - السعودية

«أقرأ» .. إنها الخطوة الأولى .. تبدأ بالحرف، وتنتهي بقراءة صفحة الكون اللانهائي .. وما بين البداية والنهاية كتاب وحياة».

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية. للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة . تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ . فاكس ٦٣٩١٠٠٣

Rabia I-2, 1420 H -- July - Aug, 1999 C

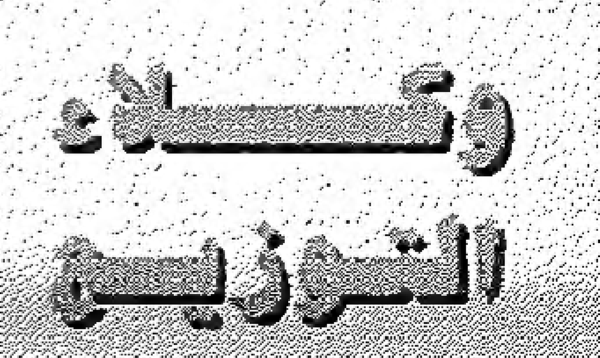
المنهل
Almanhal
مجلة شهرية

العدد: (٥٥٩)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس







وكلاء التوزيع
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٦٧٠٠٤٤٢٠٠٨ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

الربيعان ١٤٢٠ هـ - يوليو وأغسطس ١٩٩٩ م

فقرات مستقلة

منهليات

منهجية الزمن (ثانية.. وعاشرة)

في منهليات العدد السابق، أشرنا إلى الضرورة القصوى للإفادة من الزمن، والافادة المرجوة هنا لا تعنى فقط ملء هذا الفراغ الممتد بامتداد اعمارنا، بل يعني الاختيار الأمثل والأوجب لما ينبغي أن نشغل به أوقاتنا، بما يعود على الفرد والمجتمع والأمة بكاملها بكل الخير في كل مناحي الحياة.

وبهذا المنطوق العقلي، والتنفيذ الفعلي، تقوم حضارة أمة على أركان ثابتة لا تؤثر فيها هوجاء العواصف والانواء.

أما وقد أقمنا حياتنا على سطحية من الجهد، فان الأمر لا يمكث بنا طويلا حتى ترانا على رصيف الحياة نلعق الجراح.

إذا كنا فيما نحن فيه الآن، وما نعلمه جميعاً، فهل ندع أبناءنا، يضعون الحافر في الحافر؟!!.

هذا جيل جديد، وفهم للحياة جديد، وفكر جديد للتعامل مع الحياة والأحياء.

لهذا كله، ينبغي ان يكونوا غرساً جديداً ذكيا، يفيد من الماضي بعد قراءته، والتدقيق في قراءته، وتحليله وتفسيره، وحسن الفهم له، سلباً وايجاباً..

ويفيد من الواقع الماثل في كل أبعاده.. ذلك ليضع صيغة التعامل المثلى مع المستقبل الذى يستغرق حياته بكاملها.

إن كانت الحياة في أيامنا هذه تقفز قفزاً، ولا يستطيع أحد ملاحقتها، فما بالك بحياة قرن جديد، تقول كل المؤشرات انه سيكون (قرن الدهشة الكبرى)، يظل الانسان فيه غارقاً في أطرافه، وخيوط السراب ممتدة أمامه بامتداد خياله وباصرته.

الجيل الجديد، أمانة.. والزمن أمانة، وجيل وزمن، إذا ما اتفقا وتوافقا، فانهما يعنيان بكل تأكيد كسب ـ عطاء حضاري، ذكي فاعل.

إن احسنا توجيههم، وان أحسنوا هم التعامل مع الزمن، كسبنا الخير كل الخير.

المحـــرر

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٢٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها
الادارة: ٦٤٣٢١٢٤

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني العالمية لعامي ١٤٢٠هـ ـ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م

يعلن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في قطر، عن موضوعي جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني العالمية ـ وقيمتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري ـ لسنتيها القادمتين، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

وموضوع الجائزة للعام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م «الأسرة المسلمة في العالم المعاصر» وفق الاطر العامة التالية:

- الاسس الشرعية لبناء الاسرة.
- الاسرة في مرحلة القدوة (العهد النبوي والخلافة الراشدة).
- دور الاسرة في التربية والنهوض الحضاري.
- تحديات تواجه الاسرة (تحديات داخلية وخارجية)، وسبيل التحصين.
- رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم.

وموضوع «اشكالية التعليم في العالم الإسلامي» كعنوان لجائزة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وفق الاطر العامة التالية:

- التعليم المحور الأساس للتنمية والنهوض الحضاري.
- أبعاد الاشكالية: البعد السياسي، البعد الاعلامي، والثقافي، البعد الاجتماعي، البعد المنهجي.
- عجز التعليم بمؤسساته المختلفة عن تحقيق أهدافه، مواطن الخلل وأسباب العجز.
- دور مؤسسات البحث العلمي ومراكز الدراسات في البناء التعليمي.
- وسائل التصويب، وكيفية النهوض.

أما شروط الجائزة فهي كالآتي:

١ ـ يشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج عملي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يقدم البحث باللغة العربية، من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب، على ألا تقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة (A4 × ٢٢ سطراً × ١٢ كلمة).

٣ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً، أو قدم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلا من رسالة علمية، كما يحق لها حجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٤ ـ يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥ ـ لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال فترة ثلاث سنوات.

٦ ـ يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة الى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٧ ـ آخر موعد لاستلام بحث (الاسرة المسلمة في العالم المعاصر) شهر أبريل عام ٢٠٠٠م، بينما آخر موعد لاستلام بحث (اشكالية التعليم في العالم الإسلامي) شهر فبراير عام ٢٠٠١م.

٨ ـ تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

العنوان البريدي:

ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر.

أو البريد الالكتروني: M - Dirasat @ Islam.Gov.qa

لمزيد من الاستفسار يرجى الاتصال على:

هاتف: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٣٢٤٥٨٦ ـ ٤٤٧٣٠٠ ـ فاكس: ٤٤٧٠٢٢ ـ (٠٠٩٧٤).

الصحوة الإسلامية
مجلة فصلية جامعية
الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدر آباد - الهند
الهاتف: ٢٤٦١٤٦/٢٤٦٤٧٩

رسالة حب ووفاء

صاحب السعادة/ الاستاذ الفاضل نبيه بن عبد القدوس الانصاري

رئيس تحرير مجلة «المنهل» الغراء الشقيقة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وبعد.. فأرجو أن تصل إليكم رسالة محبكم - من أولئك الألاف الذين يحبونكم لجهادكم العظيم المبارك في سبيل خدمة «لغة الضاد» إعلاما وصحافة ونشرا وتأليفا وتشجيعا - وأنتم تنعمون بموفور الصحة وتمام العافية وتواصلون ريادة قافلة أصحاب اللغة العربية الجليلة الخالدة بخلود القرآن الكريم الذى نزل بها، وتشرفون على أفضل المجلات الأدبية وأحسنها وأرقاها مادة ومضمونا، شكلا ومعنى، وأغناها بالمواد الأدبية والثقافية والتحقيقية الدسمة الأنيقة.

سيدي: لا أدري ما هي الأسباب التى تعطل من أجلها وصول مجلة «المنهل» الحبيبة إلينا منذ زمان.. ولماذا ضننتم بها علينا بعد العطاء..؟ ولماذا حرمتم بعد أن تكرمتم ولماذا أعطشتم بعد أن سقيتم من منهل «المنهل» العذب الفرات!

فالرجاء إعادة سقى أذهاننا وعقولنا العطشى بعين «المنهل» الصافية المباركة المتفجرة في البقاع الطاهرة.

الرجاء التكرم بتجديد اشتراكنا مشكورين مأجورين!

والرجاء - كذلك - ارسال جميع الأعداد من المجلة التى لم ترسل إلينا، حتى لا نتأخر عن الركب، ولا نحرم الخير العظيم.

أما أسباب احتجاب مجلة «الصحوة الاسلامية» فهى لظروف قاهرة من الأزمة المالية الشديدة التى تمر بها الجامعة منذ مدة غير قصيرة فأدعوا الله سبحانه أن يفرج عنا وييسر لنا الامور حتى نتمكن من إعادة إصدار المجلة.

هذا.. ولعلنا لسنا بحاجة الى التذكير ببيان العلاقات الوطيدة التى تربط الجامعة بالملكة العزيزة ومليكها المفدى وأمرائها النبلاء الكرماء وعلمائها الفضلاء، ودعاتها الأجلاء، وشعبها النبيل علاقات حب وصدق، ووفاء وإخاء متبادلة ومساعدات وأياد بيضاء مستمرة متواصلة أخرها ما تكرم به صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود من تشييد مبنى شاهق عظيم لمكتبة الجامعة بأحدث التسهيلات وكبرى المراجع وأهم المصادر من القديم والحديث.

ولا أريد أن أطيل عليكم كثيرا، واختتم هذه الرسالة مكررا الرجاء بالتفضل بفتح اشتراكنا من جديد واثقا بنبل أرومتكم وكريم عنايتكم!.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

محبكم/ محمد نعمان الدين الندوي
رئيس تحرير المجلة

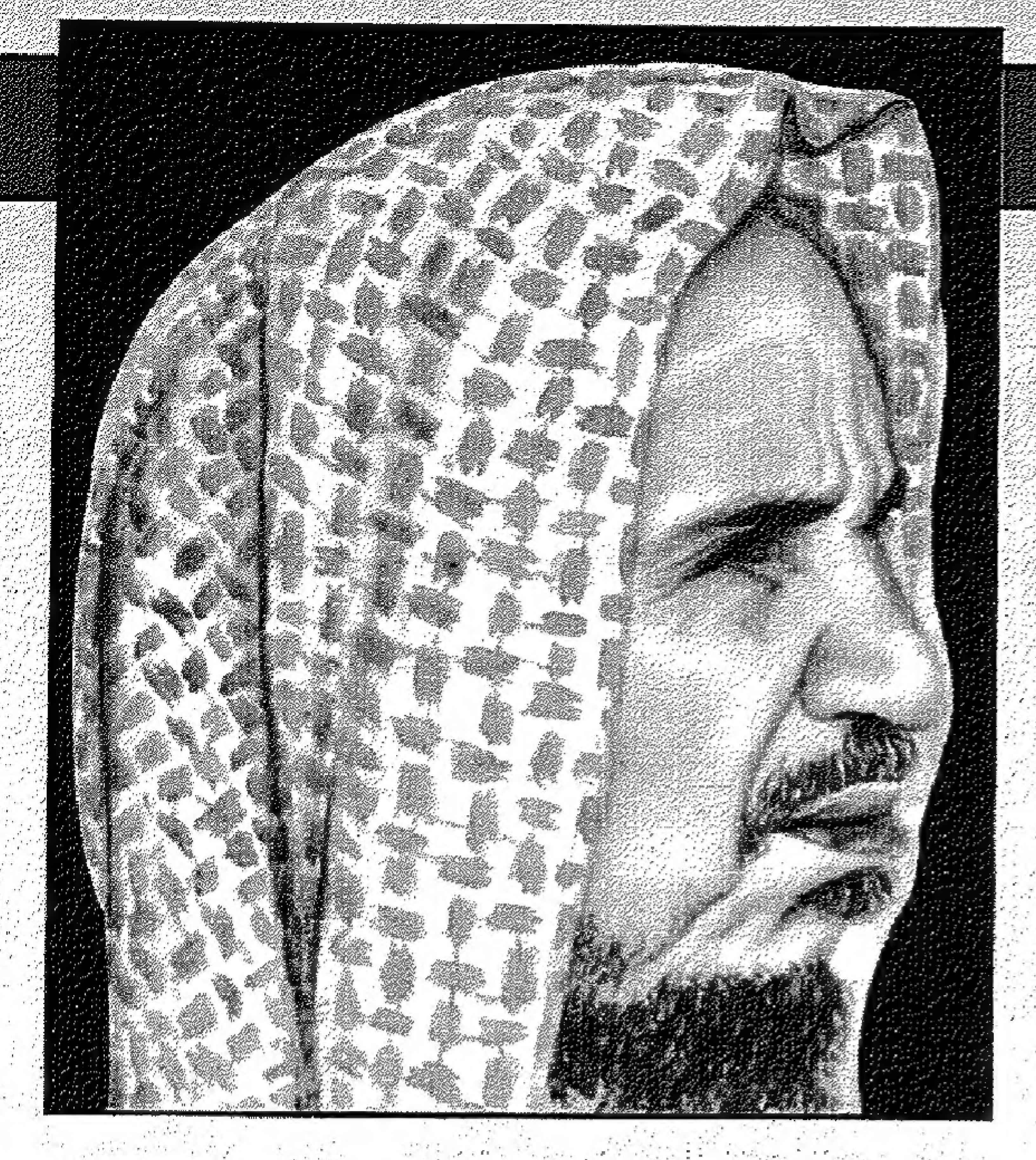
الأخ العزيز الاكرم الاستاذ محمد نعمان الدين الندوي

رئيس تحرير مجلة الصحوة الاسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ولكم من مجلتكم (المنهل) تحية المحبين.. صلتنا بمجلتكم (الصحوة الاسلامية) وهي مجلتنا، قديمة تليدة، بل صلتنا العلمية والثقافية بالجامعة الاسلامية ودار العلوم في حيدر أباد - الهند، وصلتنا بعلمائها قديمة متجددة، ثرية بعطاء الفكر والمعرفة. ولهذا كله كان حرصنا الشديد على وجود مجلتكم (المنهل) بين أيدي هؤلاء العلماء، وهي صلة تبادل ثقافي وفكري، نرجو ونأمل استدامته بغير انقطاع فإن كانت مجلتكم المنهل قد انقطعت عنكم لفترة ما وددنا ان تنقطع فيها، فإنا نرسلها اليكم بصورة منتظمة وانتم أحق بها، فمعذرة، وتواصلا غير منقطع باذن الله تعالى.

«المنهل»



سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

(١٢/١٢/١٣٣٠هـ - ٢٧/١/١٤٢٠هـ)

في صباح يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم ١٤٢٠هـ، الموافق للثالث عشر من شهر مايو ١٩٩٩م، فقد العالم الاسلامي واحداً من علماء هذا القرن، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المفتى العام للمملكة العربية السعودية، رئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والافتاء، رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي، عن عمر يناهز التاسعة والثمانين.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، وجعل نزله مع الصديقين والابرار.. ان الله سميع مجيب.

شيخ جليل زهد في الدنيا، فجاءته الدنيا منساقة اليه، فأحسن تصريفها في الخير والبر.

عالم فذّ، ذو بصيرة نيّرة وضيئة، كان نهجه الكتاب والسنة، فغدا علم أهل السنة في زماننا هذا، له مجاهداته الوافرة في الاجتهاد والاستنباط، تصحبه بصيرة وقادة في استخلاص الحكم الفقهي.

غدا في أفق العالم الاسلامي علماً من أعلام الاسلام، يفد إليه طلاب العلم، والدارسون والباحثون، وأصحاب الفتيا، من كل انحاء العالم الاسلامي.

إنه العالم الذي ذاع صيته في العالمين، وكتب الله سبحانه وتعالى له القبول في قلوب الناس، كبيرهم وصغيرهم.

كان مولده في مدينة الرياض في الثاني عشر من شهر ذي الحجة ١٣٣٠هـ، توفي والده بعد ثلاث سنوات من مولده، كفلته أمه، وأحسنت رعايته وتنشئته.. له من الذرية، أربعة أولاد وست بنات.. حفظ القرآن الكريم وهو في صباه، وكفّ بصره وهو في العشرين من عمره.

في بكرة من عمره بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية، على يد علماء كانت لهم مكانتهم العلمية، يذكر أن العلماء الذين تلقى عنهم الشيخ بن باز:

١ - الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمهم الله وهو أول مشايخ الشيخ عبد العزيز وقد قرأ عليه ثلاثة الاصول، وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، وفي زاد المستقنع، وعمدة الاحكام والاربعين النووية.

٢ - الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - قرأ عليه في كتب العقيدة.

٣ - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب «قاضي الرياض» رحمهم الله.

٤ - الشيخ سعد بن حمد بن عتيق «قاضي الرياض

يرحمه الله قرأ عليه مدة ليست بالطويلة وهو كبير السن في كتب التوحيد عام ١٣٤٧هـ.

٥ - الشيخ حمد بن فارس «وكيل بيت المال في ا لرياض» قرأ عليه في النحو والاجرومية خاصة وكان قد كبر وضعف صوته سنة ١٣٤٤هـ وأول سنة ١٣٥٥هـ قبل وفاته يرحمه الله.

٦ - الشيخ سعد وقاص البخاري من علماء مكة المكرمة اخذ عنه عام ١٣٥٥هـ علم التجويد وقرأ عليه القرآن الكريم.

٧ - الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ الذي لازمه الشيخ عبد العزيز اكثر من غيره فقد لازمه في المسجد وفي البيت وفي جميع الاوقات الخمسة صباحاً، وضحى، وظهراً، وعصراً، ومغرباً، وعشاء، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية يقول الشيخ عبد العزيز عنه: «وهو افضلهم عندي واعلمهم».

٨ - الشيخ محمد الامين الشنقيطي، وقد اخذ عنه «شرح سلم الاخضري» في المنطق، كما كان يحضر حلقته في التفسير في الحرم المدني ما بين عام ١٣٨٨ - ١٣٩٣هـ وكان الشيخ ابن باز اذ ذاك من اكابر العلماء.

هؤلاء ابرز مشيخة الشيخ الذين درس وتعلم على ايديهم يرحمهم الله ويستمر الامر بالشيخ فلا يفتر عن طلب العلم من مظانه بكل جد واجتهاد ليلا ونهاراً معتمداً على الله ثم على بصيرته التي منحها المولى عز وجل له.

ولم يثنه العوز، والحاجة، وفقد الوالد، والبصر في وقت مبكر عن طلب العلم وتحصيله.

الأعمال التي تقلدها:

لقد تولى الشيخ عبد العزيز عدداً من الاعمال التي خدم من خلالها دينه وأمته، حتى اصبح خير قدوة ومثال للعاملين معه ولغيرهم في جده ومثابرته واخلاصه اما الاعمال التي تقلدها فهي ما يلي:

١ - عين قاضياً في مدينة الخرج في ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٣٥٧هـ بأمر من الملك عبد العزيز يرحمه الله ويقول الشيخ «اذكر هذا التاريخ وكأنه محفور في

هذه قصيدة للشاعر (فواز بن عبد العزيز اللعنون) صادرة من قلب حزين باك لفقد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والقصيدة طويلة نجتزيء منها هذه الأبيات:

ألا أيها الماضي الى خير وجهة
مضيت الى الرضوان والمنهل العذب
لتهنك دارُ الخلد دار إقامة
نزلت بها بعد المحولة والجدب
ختمت مع التسعين آمال أمة
وكانت مع الآمال في مرتع خصب
ترحلت عنها والمآسي محيطة
بها، ورحي الآلام دائرة القطب
ولم ترتحل إلا وطلعك باسق
ومجدك في الآفاق موف على الشهب
وحبك في كل القلوب مخيم
فويلاه كم تشكو القلوب من الحب
إذا الله ألقى في قلوب عباده
قبول امريء فالحب أول ما يسبي

* * *

فلله هل أحسست نعشك سابحاً
يجول على سيل من الدمع منصب؟
تهدهده الأمواج حيناً، وتارة
تحط به فوق الأرائك والهضب
وهل سمعت أذناك صيحات جمعهم؟
كأن نعي الموت داع الى حرب

* * *

كأنك إذ واروك في اللحد كوكب
يلوح وإن غشّاه جيش من الحجب
ووالله ما أهذي بذلك عابثاً
ولكنّ باب الفأل يدعو إلى العجب
مصابي عظيم في الإمام فخففوا
ملامكم واستعتبوني من العتب

فواز بن عبد العزيز اللعبون
- الرياض -

ذاكرتي لانه يمثل بداية حياتي العملية»، وقد بقي في هذا العمل حتى عام ١٣٧١هـ.

٢ ـ عين مدرساً في المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٢هـ وبقي فيه مدة سنة.

٣ ـ بعد ذلك فتحت كلية الشريعة في الرياض واصبح مدرساً فيها حتى عام ١٣٨٠هـ.

٤ ـ وفي عام ١٣٨١هـ افتتحت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فنقل اليها بأمر من الشيخ محمد بن ابراهيم واستمر بها نائباً للرئيس حتى عام ١٣٨٩هـ.

٥ ـ بعد وفاة الشيخ محمد بن ابراهيم عام ١٣٨٩هـ عين رئيسا للجامعة الاسلامية بموجب أمر من الملك فيصل يرحمه الله عام ١٣٩٠هـ وظل في هذا المنصب حتى عام ١٣٩٥هـ.

٦ ـ وفي شوال عام ١٣٩٥هـ صدر الامر من جلالة الملك خالد يرحمه الله بنقله الى الرياض ليكون رئيساً عاما لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وظل في هذا المنصب حتى انشئت وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يحفظه الله وعين الشيخ عبد العزيز مفتياً عاما للمملكة العربية السعودية بدرجة وزير وظل في هذا المنصب حتى وفاته يرحمه الله.

كما كان قبل وفاته يشغل عدداً من الاعمال منها:

١ ـ رئاسته لهيئة كبار العلماء.

٢ ـ رئيس المجمع الفقهي الاسلامي بمكة المكرمة.

٣ ـ عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي.

الى جانب مشاركته في الكثير من الاعمال الخيرة داخل المملكة وخارجها.

ومن أهم مؤلفات سماحته ما يلي:

١ ـ الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٢ ـ التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة «توضيح المناسك».

٣ ـ التحذير من البدع ويشتمل على أربع مقالات مفيدة (حكم الاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ احمد).

٤ ـ رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

٥ ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٦ ـ وجوب العمل بسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكفر من انكرها.

٧ ـ الدعوة الى الله واخلاق الدعاة.

٨ ـ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

٩ ـ حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

١٠ ـ نقد القومية العربية.

١١ ـ الجواب المفيد في حكم التصوير.

١٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب (دعوته وسيرته).

١٣ ـ ثلاث رسائل في الصلاة، (كيفية صلاة النبي [صلى الله عليه وسلم] وجوب أداء الصلاة في جماعة، اين يضع المصلي يديه حين الرفع من الركوع).

١٤ ـ حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله [صلى الله عليه وسلم].

١٥ ـ حاشية مفيدة على فتح الباري وصلت فيها إلى كتاب الحج.

١٦ ـ رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وامكان الصعود الى الكواكب.

١٧ ـ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

١٨ ـ الجهاد في سبيل الله.

١٩ ـ الدروس المهمة لعامة الأمة.

٢٠ ـ فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.

٢١ ـ وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة.

٢٢ ـ نقد الاشتراكية ١٣٨١هـ (١٩٦١م).

٢٣ ـ موقف اليهود من الاسلام وفضل الجهاد في سبيل الله ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

إنه امام أهل السنة في هذا العصر، هكذا وصفه أحد محبيه.

وهذا محب آخر يقول في الشيخ الجليل العلامة عبد العزيز بن باز، يقول فيه بصورة ادبية جميلة: «إن الناس ليتكبكبون حوله اينما وجد، في المسجد، في المنزل في الجامعة.. انه ليصغى لكل منهم في اقبال يخيل اليك انه المختص برعايتهم، فلا ينصرف عنهم حتى ينصرفوا هم.. ومراجعوه من مختلف الطبقات، ومن مختلف الارجاء ولكل حاجته، هذا يقصد اليه من اطراف المملكة يسأله الفتيا في أمر ضاق به العلماء وذلك يفضي اليه بحاجة لا يغني فيها سوى الحلماء الكرماء.. وربما كان بين هذا وذاك من لا يستحق اهتماماً ولا اصغاء ولكنه لا يعدم منه الرعاية التي تجبر قلبه.

وقد يكون بين المراجعين من يغلب عليه الحق فيسخط ويغلو لغير ضرورة، فلا يغير ذلك من حلم الشيخ، ولا يزيد على الدعاء له بالهداية، ودعوته الى الاناة.

وليس بالغريب ان يزدحم عليه هؤلاء حتى لا يدعون له متسعاً للراحة، ومع ذلك لا يحاول التخلص من مقامه الضنك، بل تراه يصغي لحاجة كل منهم بهدوئه المعهود، ويجيب كلا بما يرى انه الحق، نعم هذه اخلاق شيخنا، اناة وروية وصبر يجمعها صدره الرحب المتأثر والمتشرب بهدي امام المتقين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} كان يقول يرحمه الله: الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو قدوتنا، وهو الاساس في هذا فكان تحمله كبيراً، فربما جره الاعرابي من ردائه حتى يؤثر على رقبته فيحنو عليه النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ويضحك ويجيب له طلبه.. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحمل اهل البادية والحاضرة.. وهو أسوة لنا وهو اسوة لجميع اهل العلم والمسلمين.. ثم اصحابه كان لديهم من الحلم والصبر. كالصديق، وعلي، وطلحة وغيرهم من اصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم}.

ألا رحم الله الشيخ الجليل، وجعل الجنَّة متقلبه ومثواه وألهم آله ومحبيه وطلابه، الصبر وحسن العزاء.

وهذه (النازلة الحزينة) .. للشاعر محمد بن فايع ابراهيم الفتحي.. انها دمعة وفاء لوالد وعالم جليل .. نجتزىء منها هذه الأبيات:

جوت لو اننا كنا افتديناه بتحزاز

أحقا أننا صرنا بغير المتقن الشازي؟

أحقا أننا صرنا بغير الفاتح الغازي؟

غزا الأقطار بالإسلام مدعوما بترزاز

غزا الفقراء بالإكرام إغناء بإعواز

غزا الدنيا بعلم الشرع لا يغزو بوزواز

فأنجز ما أراد الله منه خير إنجاز

وأحرز شرح بعض الفتح لا يزهو بإحراز

وأبدى حكمه الشرعي قرآنا بإيجاز

* * *

أقول مواسيا قومي بشيخ وفا ويزياز

بكت هذي الدنا بازاً قضى فينا بعكاز

بكته بل بكت فيه أحاديثا كلخراز

أحاديثاً ورب البيت لا تأتي بألغاز

بكته قبلة الإسلام بكي الغائب الغازي

وصار القوم كل القوم في هم وتشماز

لعمرك إنما الدنيا مقام جوى ومجتاز

فلو كانت ستبقي اليوم أبقت غير بن باز

رسول الله خير الناس من عرب وأهواز

فنعم العمرُ يا شيخا قضى فينا بإيجاز

قضى حقا بقول الله لم يحفل بتكناز

محمد بن فايع الفتحي

ادارة تعليم محايل عسير

معهد المخطوطات العربية

خمسون عاما في خدمة التراث العربي

كان تأسيس معهد المخطوطات العربية من أجرأ المشروعات التى حققتها الجامعة العربية وأكثرها نفعا للعرب ولعلماء الانسانية المعنيين بالدراسات الاسلامية في العالم، فما تركه العرب من التاليف كان ضخما جدا. لا تجد مثله عند أى أمة من الأمم الأخرى. ولكن هذا التراث الذى قد يتجاوز عدده اليوم في العالم، ثلاثة ملايين مخطوطة مبعثر في أقطار الأرض، في مكتبات عامة أو خاصة. ومازال الشطر الأكبر منه مجهولا لوجوده في مكتبات غير مفهرسة. فأمام بعثرة المخطوطات العربية، تبقى الدراسات المتعلقة بنواحى الحضارة العربية غير مكتملة.

لهذا كله فكرت الجامعة العربية في انشاء معهد المخطوطات ليجمع أكبر عدد ممكن من صور المخطوطات القيمة النادرة المبعثرة في العالم ويضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء في مقر المعهد.

وليفهرس المكتبات العامة والخاصة، التى تحوى مخطوطات غير مفهرسة، حيثما كانت وينشر هذه القوائم. ثم ليقوم بنشر المخطوطات محققة.

وليكون بعد ذلك مركزا علميا للتعاون العلمى بين العلماء والمؤسسات العلمية في العالم في سبيل خدمة المخطوطات العربية والتعريف بها وتبادل المعلومات عنها.

تلك أهداف المعهد التى حددها قرار مجلس جامعة الدول العربية في ١٩٤٦/٤/٤م. وكان المعهد عند انشائه تابعا للدائرة الثقافية بالجامعة.

مر معهد المخطوطات على مدى نصف قرن تقريبا بمراحل عدة، ليس بينها حدود فاصلة أو قاطعة تماما، ذلك أن نهر العمل كان يجرى في مجرى واحد. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لكل مرحلة طابع خاص.

فالمرحلة الأولى: يمكن ان نسميها مرحلة جمع التراث وهي تمتد من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٤م وتركز العمل خلالها على جمع التراث المخطوط المبعثر داخل الوطن العربي وخارجه من خلال بعثات أوفدها المعهد الى أماكن وجود المخطوطات، لتقوم بانتقاء الفريد منها وتصويره ومن خلال عمل هذه البعثات تشكلت الحصيلة الأولى من مصورات المعهد من المخطوطات.

وجاءت المرحلة الثانية لتحدد ملامح عمل المعهد وهى تبدأ مع عام ١٩٥٥م، وفيها انفصل المعهد عن الدائرة الثقافية للجامعة وعين له مجلس أعلى من كبار العلماء في العالم العربي، انتخب د. طه حسين رئيسا له، وفي هذه المرحلة انتشر خبر المعهد، وطار صيته، في الدوائر الثقافية، في الشرق والغرب، وعرفه الباحثون والدارسون، كما عرفته الجامعات والمؤسسات المعنية بالتراث العربي داخل الوطن وخارجه.

وعمر المرحلة الثالثة عقدان يمتدان بين عامى ١٩٧٠ و١٩٩٠م، ومارس فيها المعهد عمله من ثلاثة عواصم عربية، القاهرة ثم تونس فالكويت، فالقاهرة مرة أخرى، والحد الفاصل الذى بدأت منه هو ذلك

خالد عزب
ـ مصر ـ



- واجهة معهد المخطوطات.

القرار الذى صدر بالحاق المعهد بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وتمثل المرحلة الرابعة من عمر معهد المخطوطات ارهاصات المستقبل فقد وضع المعهد خطة محكمة لانقاذ ما هو معرض للتلف من ذخيرة المعهد من المخطوطات، من ناحية، وتجديد ما أصبحت الحاجة ملحة لتجديده، قبل أن يصل الى مرحلة يحتاج فيها الى انقاذ من ناحية أخرى، وادخال الحاسب الآلى لفهرسة مقتنيات المعهد وخدمة الباحثين من خلاله.

٢٤ ألف مخطوطة مصورة يمتلكها معهد المخطوطات العربية صورت من كبريات مكتبات العالم، تراث ندر أن يتوفر في أى مكان آخر.

فمن مصر صور المعهد مخطوطات من دار الكتب المصرية ومنها مخطوط درر الحكم لأبى منصور الثعالبي المتوفي سنة

- معهد المخطوطات من الداخل.



ـ غرفة الدراسة والبحث.

٤٢٩هـ.

ومن مكتبة الجامع الأزهر التى تضم دررا نادرة من المخطوطات منها شرح فصيح ثعلب لأبى منصور الجيان وهو مخطوط من القرن ٤هـ.

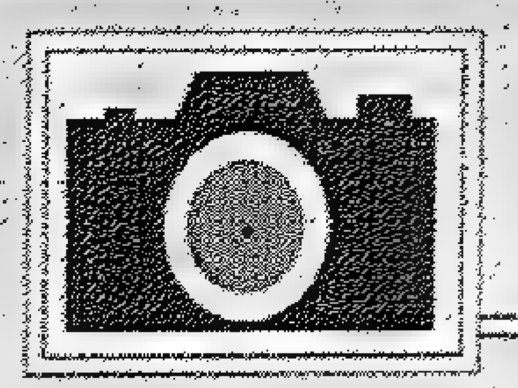
ومن المغرب صورت بعثات المعهد اليها درراً مغربية من مكتبات الخزانة الملكية وجامعة القرويين بفاس والخزانة العامة بالرباط، ومنها مخطوط اعراب القرآن الكريم لأبى اسحاق الزجاج وهو مخطوط يعود للقرن ٤ هـ. وعطرنامه وهو مخطوط نادر بالمعهد صور من مكتبة آيا صوفيا باستنبول، وقد وضع المعهد في خطه المستقبلية تصوير درر التراث العربي المخطوط بتركيا التى تعتبر خزائن المخطوطات بها أثرى خزائن التراث المخطوط العربي.

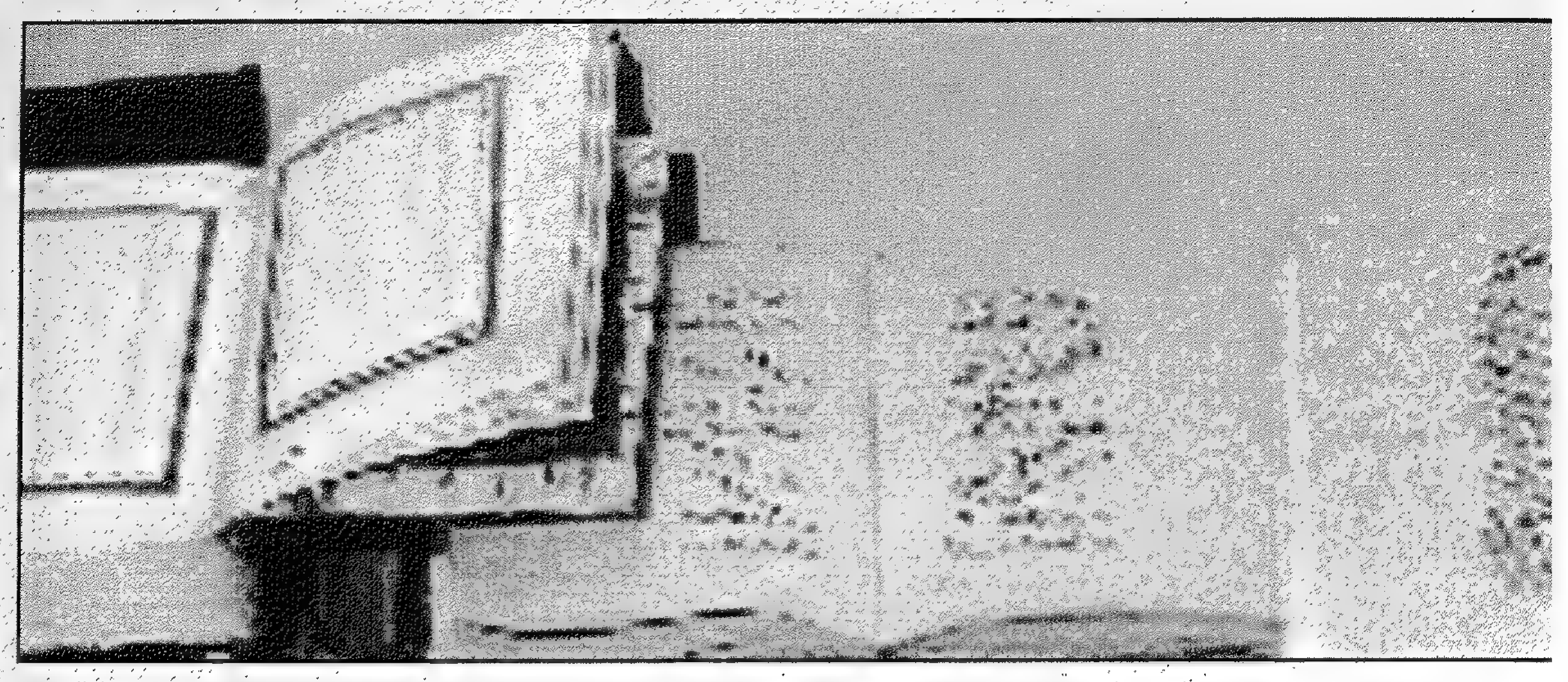
لم يترك المعهد مكانا في العالم به مخطوطات نادرة الا صور منها، فتجولت بعثاته في السعودية واليمن وعمان وسورية والمغرب وليبيا وأوزبكستان وايطاليا والبوسنة والهرسك ومن خلال هذه الحصيلة من التراث المخطوط يقدم المعهد خدماته للباحثين العرب والأجانب بتصوير المخطوطات وبمساعدتهم في الحصول عليها من المكتبات العالمية، ولعل زيارة واحدة لهذه المؤسسة العريقة نلحظ من خلالها أنها مجمع لخيرة الباحثين العرب.. المحققين للتراث.. سواء من العمالقة.. أو من شباب الباحثين.

ويصدر المعهد منذ عام ١٩٥٥ مجلة علمية لنشر الابحاث المتعلقة بالمخطوطات والتعريف بها. وهي مجلة نصف سنوية صدر منها الى الآن ٣٩ مجلدا. كما يصدر المعهد نشرة أخبار التراث العربي للتنسيق بين الباحثين والعاملين في مجال تحقيق التراث.

شارك معهد المخطوطات، في احياء الكثير من المخطوطات العربية ونشرها، إذ أخرج ٢٧ كتابا محققا، تنوعت موضوعاتها تنوعا كبيرا، ففي اللغة صدر عنه صفة السرج واللجام لابن دريد، وغوامض الصحاح للصفدى، ومجمل اللغة لابن فارس، وخلق الانسان لأبى محمد الحسن بن أحمد وتفسير رسالة أدب الكاتب للزجاج، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده الأندلسي. أما الشعر ومعانيه فقد نشر المعهد عددا من أشهر دواوينه ومنها ديوان المثقب العبدى، وديوان المتلمس الضبي وديوان عمرو بن قميئه وشعر تغلب في الجاهلية.

وفي ميدان التراجم ظفرت المكتبة العربية بثلاثة





- مجموعة من المخطوطات العربية.

كتب هي، سير أعلام النبلاء للذهبي، وذيل الدرر الكامنة، والآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعه.

وهناك كتابان في النحو هما شرح المسائل المشكلة للفارقي، والنكت في تفسير كتاب سيبويه للشمنترى وفي الأسلحة الأفيق في المنجنيق، وفي الطب المنصورى للرازى، وفي الأدب مختار الأغانى في الأخبار والتهاني.

لقد قام معهد المخطوطات سنة ١٩٤٦م، في ذلك الزمان الرخي الهانئ «إذ الناس ناس والزمان زمان» وعلماء العرب يغدون ويروحون، يعطون ويأخذون، وكان للمعهد من أهل العلم عون أي عون.

كان أول مدير لمعهد المخطوطات هو الدكتور يوسف بن رشيد العش سوري، ولد في طرابلس الشام سنة ١٩١١، وتوفى بدمشق سنة ١٩٦٧م، وهو أول من تخصص في تنسيق الكتب والوثائق في سورية، انتدب لادارة معهد المخطوطات عقب انشائه، فمكث به نحو خمس سنوات، شارك في ارساء أساسه ووضع قواعده وخرج في بعثاته الأولى، فكان له فضل المشاركة في انتقاء مجموعاته الأولى من المخطوطات.

وشارك في نشاط المعهد، عالم مغربي محقق هو محمد بن تاويت الطنجي، وهو أول من فهرس محتويات المعهد من المخطوطات وقد اختارته جامعة أنقره أستاذا بها لخبرته النادرة بالتراث العربي المخطوط.

ويرز من رجال المعهد على امتداد تاريخه ونشاطه رجلان اثنان كان لهما الأثر الضخم في اقامة صرح المعهد، وكان المعهد في أيامهما شعلة نشاط وخلية نحل ومنارة علم، الأول فهو سوري تولى ادارة المعهد خلال الخمسينيات، وكان خبيرا بالمخطوطات انه العلامة الدكتور/ صلاح الدين المنجد الذى جلب للمعهد نفائس ونوادرمن المخطوطات. وكانت له مهابة عند الناس وقدر، لاشتغاله بعلم المخطوطات وتحقيق الكتب، وطارت للمعهد في أيامه شهرة، وقصده الناس وهذه من السنن التى لا تتخلف، يكسب الرئيس النابه العارف عمله مهابة مستمدة من مهابته هو، وموصولة بها.

وأما الثانى محمد رشاد عبد المطلب فكان آية في معرفة الكتاب العربى المخطوط والمطبوع، يعرفهما كما يعرف الناس آباءهم، وكان يشم رائحة المخطوط النفيس من مكان بعيد، ويقع عليه كما يقع الصائد على فريسته لا يفلتها، وقد عمل بمعهد المخطوطات منذ انشائه سنة ١٩٤٦ الى حين وفاته سنة ١٩٧٥م وكثير من نفائس مقتنيات المعهد من صيده هو. رحمه الله.

تلك كانت رحلة تلك المؤسسة العريقة ومجهوداتها في خدمة تراث أمتنا، فالماضى عرفناه، والحاضر نشاهده بأعيننا، والمستقبل يخطط له خبراء الأمة، ليكون هذا المعهد شاهدا على عظمة أمتنا من خلال تراثها المخطوط.

القصص النبوي

عدد الأنبياء

قبل الحديث عن عدد الأنبياء والمرسلين نتحدث عن تعريف معنى النبوة والرسالة بمعناهما اللغوى والشرعي.

ففي اللغة النبوة والنباوة ما ارتفع من الأرض، فإن جعلت النبي مأخوذا منه أى أنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول (والأنبيا، جمع نبي، وقد قرى، بالهمز فقيل هو الأصل وتركه تسهيل، وقيل الذى بالهمز من النبأ، والذى بغير همز من النبوة، وهى الرفعة[١]).

والرسالة من أرسل الرسول بعثه برسالة، والرسالة الخطاب المرسل إلى فرد أو جماعة، ورسالة الرسول دعوته الناس إلى ما أوحي إليه. وعلى ذلك فإن الرسالة أوسع من النبوة وأشمل كما سيأتي.

أما في الشرع فإن (النبوة نعمة يمن بها الله على من يشاء، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقى شرعا من حصلت له النبوة. وليست راجعة الى جسم النبي ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبيا، بل المرجع إلى إعلام الله له بأنى نبأتك أو جعلتك نبيا. وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة[٢]).

ومن الناس من يرى أنه لا فرق بين النبي والرسول، وأكثر العلماء يفرقون بين النبي والرسول، فالرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، أما إذا أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط وليس برسول.

(وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبى ورسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها[٣]).

أما عن عدد الأنبياء فإن قصصا كثيرا جاء في ذلك، ففى قصة عن أبي ذر - رضي الله عنه[٤] - (قال: قلت للنبي {صلى الله عليه وسلم} أى الأنبياء أول؟ قال آدم، قلت: أو نبيا كان؟ قال: نعم نبي مكلم، قلت فكم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا).

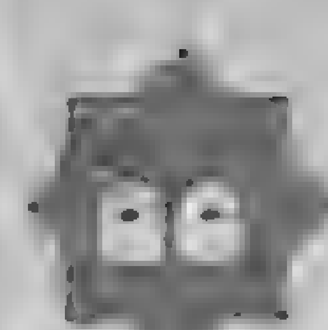
وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (كان فيما[٥] خلا من إخوانى من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا بعده) وعنه أيضا (بعث الله ثمانية الاف نبى، أربعة آلاف منهم إلى بنى إسرائيل، وأربعة الاف إلى سائر الناس) قال ابن كثير إسناده ضعيف.

وعن أبى أمامة - رضى الله عنه (قال قلت، يارسول الله كم عدة الأنبياء، قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) وابن كثير يضعفه.

وفي قصة عن أبى ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة، وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم)[٦].



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: (نبي كان آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر).

وجاء في قصة - اتسمت بالصحة[٧] - عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: يارسول الله، كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا) قلت: يارسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير) قلت: يارسول الله، من كان أولهم؟ قال: (آدم) قلت: يارسول الله، نبي مرسل؟ قال: (نعم خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم سواه قبيلا) ثم قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم، وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول النبيين آدم، وآخرهم نبيك).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل).

ومن القصص المطول في هذا الصدد ما روى عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] جالس وحده، فجلست إليه، فقلت: يارسول الله، إنك أمرتني بالصلاة قال: (الصلاة خير موضوع، فاستكثر أو استقل) قال: قلت يارسول الله، فأي الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله وجهاد في سبيله) قلت: يارسول الله، فأي المسلمين أسلم؟ قال: (من سلم الناس من لسانه ويده) قلت: يارسول الله فأي الهجرة أفضل؟ قال: (من هجر السيئات) قلت: يارسول الله، أي الصلاة أفضل؟ قال: (طول القنوت) فقلت: يارسول الله، فأي الصيام أفضل؟ قال: (فرض مجزئ، وعند الله أضعاف كثيرة) قلت: يارسول الله، فأي الجهاد أفضل؟ قال: (من عقر جواده وأهريق دمه) قلت يارسول الله، فأي الرقاب أفضل؟ قال: (أغلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها) قلت: يارسول الله، فأي الصدقة أفضل؟ قال: (جهد من مقل، وسر إلى فقير) قلت: يارسول الله، فأي آية ما أنزل عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي) ثم قال: (يا أبا ذر، وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على الحلقة) قال: قلت: يارسول الله، كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا) قال: قلت: يارسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير، كثير طيب) قلت: فمن كان أولهم؟ قال: (آدم) قلت: أنبي مرسل؟ قال: (نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، سواه قبيلا) ثم قال: (يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم، وشيث ، وخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك يا أبا ذر، وأول أنبياء بني اسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول الرسل آدم، وآخرهم محمد) قال: قلت يارسول الله، كم كتاب أنزل؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى ابراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشرة صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان).

قال: قلت: يارسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: (كانت كلها، يا أيها الملك المسلط، المبتلى، المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها، ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته، من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه).

قال: قلت: يارسول الله، فما كانت صحف موسى؟

قال: (كانت عبرا كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا، ثم هو لا يعمل) قال: قلت: يارسول الله، فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدى إبراهيم، وموسى، وما أنزل الله عليك؟ قال: (نعم اقرأ يا أبا ذر: (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والأخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) قال: قلت: يارسول الله، أوصني قال: أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس أمرك، قال: قلت: يارسول الله، زدني، قال: (عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله: فإنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض) قال: قلت: يارسول الله، زدني، قال: (إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه) قال: قلت: يارسول الله، زدني، قال: (عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتى) قلت: زدني، قال: (عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك) قلت: زدني قال: (انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر لك أن لا تزدرى نعمة الله عليك) قلت: زدني، قال: (أحبب المساكين وجالسهم، فإنه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عليك) قلت: زدني، قال: (صل قرابتك وإن قطعوك) قلت: زدني، قال: (قل الحق وإن كان مرا) قلت: زدني، قال: (لا تخف في الله لومة لائم) قلت: زدني، قال: (يردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تحب وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تحب).

ثم ضرب بيده صدرى فقال: (يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبى بخطه: حدثنى عبد المتعالى بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، حدثنا مجالد عن أبى الوداك، قال: قال أبو سعيد: هل تقول الخوارج بالدجال؟ قال: قلت: لا، فقال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (إنى خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث نبى يتبع إلا وقد حذر أمته منه، وإنى قد بين لى فيه ما لم يبين لأحد وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى، كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن) وفى رواية عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (إنى أختم ألف ألف نبى أو أكثر، ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (إنى لخاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال، وإنى قد بين لى ما لم يبين لأحد منهم، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور).

ومن المعلوم أن عقيدة المؤمن تلزمه الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وأن عددهم كثير جدا لا يعلمه إلا الله، ولا ينكر أحدا ذكر في القرآن أو السنة الصحيحة. وقد جاء في القرآن ذكر خمسة وعشرين هم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، واسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وكذا ذو الكفل - عند كثير من المفسرين - وسيدهم محمد [صلى الله عليه وسلم].

وقد كان بين الرسل - عليهم السلام - فترات، حتى ختمهم بمحمد [صلى الله عليه وسلم] حيث أخرج ابن سعد عن ابن عباس[٩] - رضي الله عنهما - قال: كان بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، فإنه أرسل بينهما ألف نبي من بنى إسرائيل، سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى ومحمد [صلى الله عليه وسلم] خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث في أولها ثلاثة أنبياء، كما قال تعالى: (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا

بشائك)[١٠]. وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا، أربعمائة سنة وأربعة وثلاثين سنة.

وقال ابن كثير[١١]: وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة، في قوله تعالى: (على فترة من الرسل)[١٢]، كم هي؟ فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه: كانت ستمائة سنة، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي، وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر، عن بعض أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة، وقال الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة. وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى - عليه السلام - عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي [صلى الله عليه وسلم] تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة. والمشهور هو القول الأول، وهي أنها ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة، ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول، أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين، ولهذا قال - تعالى - في قصة أهل الكهف: (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) أي قمرية، لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب.

والصحيح أنه لم يبعث بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - سوى محمد [صلى الله عليه وسلم] - كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (إن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي) وهذا رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي، يقال له خالد بن سنان.

وقد ذكر المفسرون كابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما أقوالا وروايات كثيرة في أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] هو العاقب لعيسى، عليه السلام. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى[١٣]: (وإذ قال عيسى بن مريم، يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي، فعيسى - عليه السلام - هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة. وقد روى البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب). وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم][١٤]: (إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم، وبشارة عيسى بي، والرؤيا التي رأت أمي، وكذلك أمهات النبيين يرين، إنها رأت حين وضعتني، أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام).

- للحديث صلة -

الهوامش:

(١) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٦١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية جـ١ ص ١٥٥.
(٤) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٢٠.
(٥) وذكره ابن كثير في تفسيره جـ١ ص ٧٦٨.
(٦) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٣٦١.
(٧) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٧٦٨.
(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٩.
(٩) فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤.
(١٠) سورة يس آية ١٤.
(١١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٠.
(١٢) سورة المائدة آية ١٩.
(١٣) سورة الصف آية ٦.
(١٤) تفسير الطبري جـ ١٢ ص ٨٢.

هل الصحوة الإسلامية خطر على الغرب؟؟

كانت القضية الثالثة، التى عرض لها المستشرقون الثلاثون ـ الذين استطلعت (الوسط) آراءهم في الاصولية الإسلامية ـ هى قضية العلاقة بين هذه الظاهرة وبين الغرب، وتأثيرها على وضع الجاليات العربية والمسلمة في المهاجر الغربية؟؟.

ولقد تنوعت وتعددت زوايا التركيز والاهتمام في إجابات المستشرقين على سؤال (الوسط): «ما هو، في رأيك، انعكاس هذه الظاهرة على العلاقة بالغرب، وعلى المهاجرين العرب والمسلمين»؟.

لكن الجميع تقريبا قد تكاملت إجاباتهم لترسم معالم الإجابة المتكاملة التى تؤكد على أن القول بتهديد إسلامي للغرب هو «خرافة».. ومشكلة مفتعلة و«صورة» صنعها الغرب ضمن سعيه لصنع عدو بديل لامبراطورية الشر الشيوعية التى سقطت.. وللإعلام الغربي والصهيونية العالمية دور بارز في «صناعة» هذه «الصورة»، والترويج لهذه الخرافة.. كما أن للأحزاب العنصرية الغربية ـ وهى أصولية غربية ـ دورا بارزا في ذلك الحديث عن تهديد الجاليات الإسلامية في الغرب للخصوصيات الحضارية للمجتمعات الغربية التي يعيشون فيها.. وهناك، ايضا، سوء فهم الغرب لحركات الإحياء والتجديد والنهوض ذات المرجعيات الدينية، مصدره النظرية الأحادية، والقياس على تجربته التاريخية مع الكنيسة، والجهل بتميز النموذج الاسلامى في علاقة الدين بالسياسة.. ودور المدرسة الاستشراقية الاستعمارية القديمة فى «صناعة صورة» هذا الخطر الموهوم.

قال المستشرقون ذلك كله، وهم يفندون خرافة الخطر الاسلامي على الغرب.. ووضع كثير منهم النقاط فوق حروفها.. فأشاروا إلى أن الحقيقة إنما تكمن في عداء الغرب للبديل الاسلامي الذي يهدد استغلاله الاستعماري، وإذلاله لقوميات العرب والمسلمين.. بل إن منهم من تحدث عن الأرض المشتركة بين الصحوة الاسلامية وبين صحوة دينية في الغرب.. ففي الغرب ـ كما

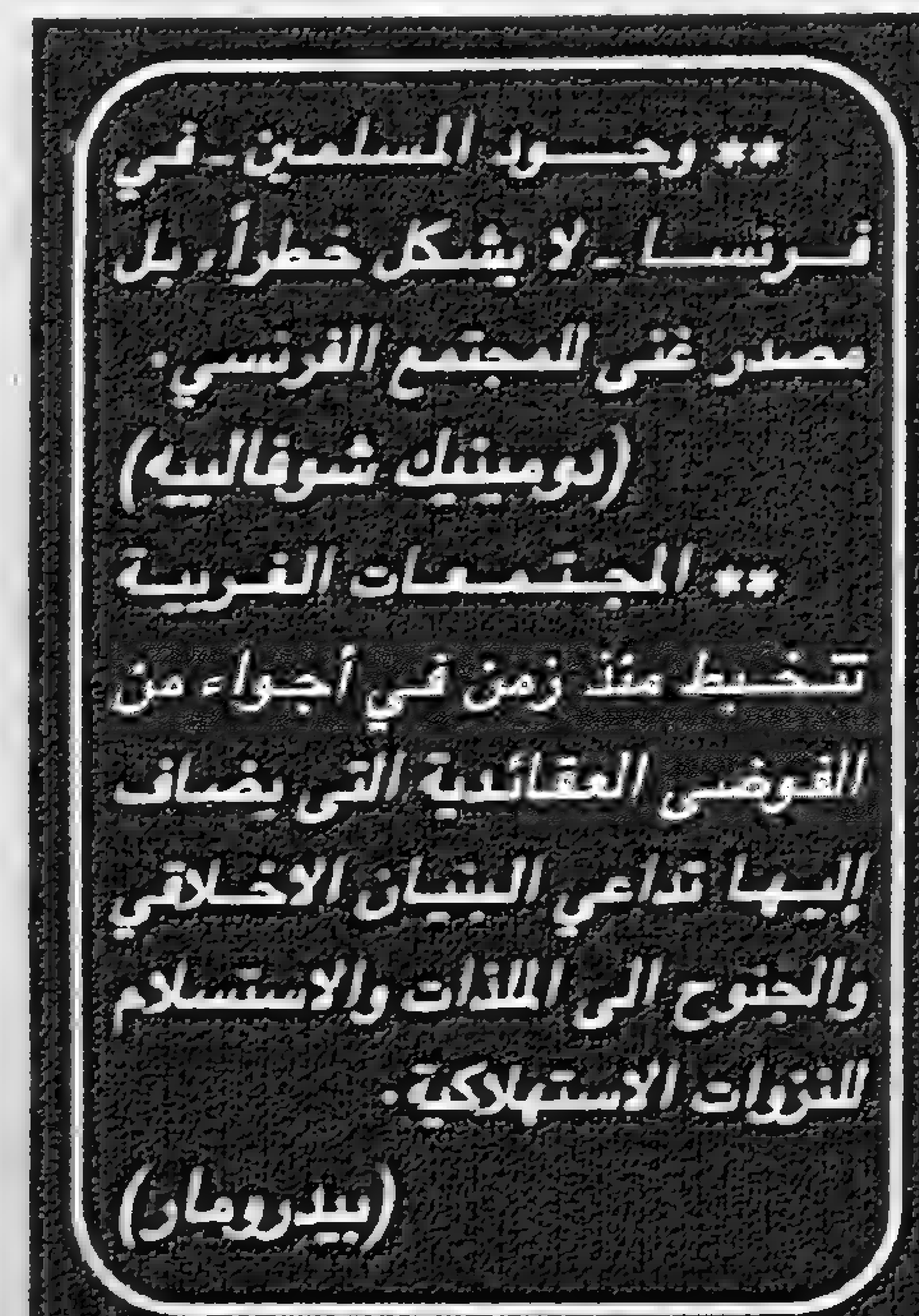
بقلم المفكر الاسلامي : أ.د. محمد عمارة
ـ مصر ـ

في الشرق - مؤمنون، تؤرقهم المادية والعلمانية والنزعة الاستهلاكية، ويتطلعون - مع المسلمين - للإحياء الديني؟!.

فالمستشرق الانجليزي «فيردهاليداي» يقول: «يتكلم الناس في الغرب عن «تهديد إسلامي». وهذا في غالبه هذر فارغ. فالحركة الاسلامية ليست معنية أساسا بالغرب على الاطلاق، بل بمجتمعات إسلامية».

وعميد الاستشراق الفرنسي «جاك بيمك» يرى أن قلق الغرب من الاسلام ليس نابعا من تهديد حقيقي يتعرض له الغرب.. وإنما هو نابع من قلقه على هيمنته الغربية التى يتحداها الاسلام.. فيقول: «الغرب، ويا للأسف، يعتبر الإسلام عموما، والإسلام العربي خصوصا، مصدر تهديد مباشر موجه ضده. ويوجه احتياطه الاستراتيجي نحو الجنوب، بعدما كان موجها لوقت طويل نحو الشرق. وهنا أقول: إن القوة الوحيدة التى يبدو أنها تقاوم الهيمنة الجديدة ذات القطب الواحد، أي الولايات المتحدة الأمريكية، هي الإسلام وبعض الدول العربية، ولهذا يعتبر بعضهم أن العرب والإسلام هم العدو الواجب قهره».

أما المستشرقة الايطالية «إيزابيلاكاميرا دافليتو» فترى أننا أمام مؤامرة غربية هدفها «اختراع» عدو.. وأن المدرسة الاستشراقية الاستعمارية والإعلام الغربي ضالعان في خلق «بعبع» إسلامي، وذلك لخلق خط دفاعي ضد هجوم وهمي، ليظل الغرب مترفعا ومتعاليا على ما سواه من العالم.. وفي سبيل ذلك يتم تزييف الصورة الإسلامية، وتبعث الضغائن القديمة، وتخلط الشعائر الدينية الإسلامية بالعنف الأصولي!.. ترى المستشرقة الإيطالية ذلك، فتقول: «قضية الأصولية الاسلامية واجهت تضخيما مبالغا فيه من قبل اجهزة الإعلام الغربي.. فالغرب كان وما يزال بحاجة الى «اختراع» عدو حتى يضمن لنفسه خطا دفاعيا، ويظل مترفعا ومتعاليا على ما تبقى من العالم.. وعندما انهارت الشيوعية، برز لدى الغرب التساؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟ وإذا به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخي القديم المتمثل بالعالم الاسلامي. لكن الغرب كان أيضا بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصداقية هذا الاكتشاف «الجديد - القديم» لذا كان طبيعيا أن يحاول ترسيخ ملامح «البعبع» من خلال تقديم الأصولية الاسلامية في صورة العدو العنيف. واستغل لتقديم هذه الصورة كل ما يمكن ان يمت إلى العالم الاسلامي بصلة، فنحن، وعلى الرغم من وجود مظاهر اصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى في الغرب، لا نسمع حديثا عن «عنف هذه المظاهر الأصولية» في حين نرى هذا المنطق يطبق على العالم العربي.



اطلعت أخيرا على الترجمة الإيطالية لأحد كتب المستشرق

الأنكليزي العجوز بيرناردلويس، وهو ينتمي إلى المدرسة القديمة الغربية من المنطق الاستعماري. نشر الكتاب في طبعة إيطالية، تحت عنوان (القتلة الإرهابيون الأوائل في التاريخ)!. وعندما تنشر دار نشر مشهورة وكبيرة في إيطاليا كتابا بهذا العنوان، فمن الواضح أن لديها هدفا في تزييف الحقائق. وليس هذا إلا مثالا مصغرا عما يكمن في الغرب من استعداد لرؤية الجانب السلبي فقط من العالم العربي.

يكفي ان ترى نشرات الأخبار، فهي عندما تتحدث عن ظاهرة الأصولية ومظاهرها العنيفة، تذهب لتصور الناس وهم يؤدون شعائر دينية أو يصلون في المساجد، ثم تربط بين هذه الصورة والحديث عن «العنف الاسلامي». ترى لماذا لم تفكر محطات التلفزيون في الحديث عن الظاهرة الأصولية في الديانات الأخرى - وهي موجودة بالفعل - من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف المؤمنين الذين يؤمون ساحة القديس بطرس في الفاتيكان كل يوم احد للاستماع إلى قداس الأحد الذي يحييه البابا يوحنا بولس الثاني؟.. أو أولئك الذين يقفون امام حائط المبكى في القدس؟. ثم، من أجاز لهؤلاء الصحفيين أن يطلقوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة «الأصولية»؟.

كل ذلك يدفعنا إلى اكتشاف درجة الزيف في الصحافة والإعلام الغربيين، ومدى استعداد البعض الى استخدام ضغائن دفينة تجاه العالم العربي والإسلامي. اعتقد أن ما يحدث في الغرب إزاء هذه الظاهرة، عبارة عن «خط دفاعي» ضد «هجوم» مفترض وموهوم. وتظهر النتائج بوضوح على المهاجرين العرب والمسلمين بشكل عام، فغالبيتهم تعيش في ظروف قاسية، وفي حالات العزلة الاجتماعية. كما يعانى أبناء المهاجرين من مصاعب عديدة سواء في الدراسة أو ممارسة شعائرهم الدينية. ففي مدينة كبيرة مثل روما، لا وجود لمسجد، والمسجد الذى أنشىء لم يفتتح بشكل كامل حتى الآن؟!.

> ** يجب ان تتحكم في موقف الحضارة الغربية من الحضارة الاسلامية قوانين التعايش، وليس تطبيق المقياس الغربي الواحد على الشرق.
> (فيتالي ناومكين)

وينفى المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» وجود خطر إسلامي على الغرب، ويقول: «ربما وجب اجتماع شروط من الصعب جمعها لكي يصبح في الإمكان الحديث عن خطر أصولى على الغرب».

وكذلك يرى المستشرق الايطالى الشهير **«فرانشسكو غابرييلي»**، أن لا منطق لقلق غربى من ظاهرة الأصولية الإسلامية «فالغرب يشعر بالقلق إزاء ما تنطوى عليه تلك الظواهر من عنف. وهذا القلق يدفع بالكثيرين الى التساؤل: إذا لم يكن لدى الاسلام رغبة في «فتوحات» جديدة كما حدث في القرون الوسطى؟. وهو قلق لا يمتلك طبعا أي أساس منطقى على الاطلاق».

أما المستشرق الأمريكي «جون إيسبورستو»، فيرى في الحديث عن خطر إسلامي على الغرب وهما لا أساس له، فهناك أرض مشتركة بين جماهير عريضة من المؤمنين - في الشرق والغرب - مسلمين

ومسيحيين ويهود ـ يشتركون في القلق من النزعات المادية الاستهلاكية ومن العلمانية.. فالمقاصد المشتركة، لا المتناقضة، يمكن ان تجمع بين الغرب والاسلام.. «هناك في المجتمعات الإسلامية والغربية، أعداد كبيرة من المؤمنين (مسلمين ومسيحيين ويهود) يشتركون في نفس القلق من تمادى العلمنة والمادية الاستهلاكية. لذا، فبمجرد أن نقوم بالتمييز بين الاسلام والتطرف، ونتنبه الى ما يفرق المتطرفين القائلين باستخدام العنف عن الحركات الاسلامية الحديثة، فإن حجج الذين يعتقدون ان الاسلام يشكل تهديدا سكانيا وحضاريا للغرب ستسقط كلها بلمح البصر».

ويفند عدد من المستشرقين مزاعم تهديد المهاجرين المسلمين في الغرب خصوصيات المجتمعات الغربية الحضارية، فيقول المستشرق الهولندي «يان بروخمان»: «إن اتهام المهاجرين العرب والمسلمين بالتطرف مجرد كلام فارغ ودعايات وحملات منظمة تشنها فئات ذات اهداف سياسية معروفة».

ويدعو «جاك بيرك» الأقليات المسلمة في الغرب الى التكيف مع الأكثرية، دون التخلى عن إسلامها، إذ عندما يكون طرف ما أقلية عليه أن يتكيف مع الأكثرية.. أن يدفع ثمن القبول في المجتمع.. فعلى الأقليات المسلمة أن تتكيف مع المجتمعات الغربية دون التخلى عن الدين».

وهذا «التكيف» الذى يدعو إليه «جاك بيرك»، يتحدث **المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالييه»** عن أنه متحقق بالفعل.. «إن المواطنين المسلمين، بمن فيهم الأصوليون، قبلوا الاندماج فى إطار القوانين الفرنسية.. ووجود المسلمين لا يشكل خطرا، بل مصدر غنى للمجتمع الفرنسى.. وإذا كان هناك بعض التطرف في الفئات المهمشة، فسببه البطالة واليأس الكبير، واعتقد بأن هذا اليأس هو الذى يجب حله».

أما **المستشرق الفرنسي «بيارتيه»** فينفى وجود خطر من الأقليات الاسلامية في الغرب، إذ «يمكن للأصوليين» أن يمارسوا ديانتهم في فرنسا، لكنهم ليسوا قادرين على تحويل دينهم إلى فعل سياسى. لذلك لا يشكلون خطرا على فرنسا.. والحديث عن هذا الخطر يصدر عن أحزاب متطرفة في فرنسا، ويطرحه بعض الوزراء بطريقة ديبلوماسية.. والإسلام ليس مناقضا للعلمانية.. والأديان يمكن أن تتعايش .. والعلمانية هى فعل التعايش بين الأديان».



وعندما يتحدث «بيارتييه» عن الأصولية الدوغماتية، التى تدير ظهرها للغرب، نجده يتحدث عن خلاف الرؤية الاسلامية، التى ترى في الوحي والغيب والايمان «حقائق»، وبين الوضعية الغربية التى تضع «الحقائق» بعيدا عن منطقة «الإيمان» الذى تراه لا يرقى إلى مرتبة «الحقيقة».. فيقول: «ولعل أخطر ما في الحركة الأصولية هو دوغماتيتها، وهى

دوغماتية غير مبررة. لماذا؟ لأنها لا تقوم على التمييز بين حقيقة الإيمان والحقيقة العلمية الثقافية، ففي رأيي أن هناك حقيقة تنتمي إلى مجال المعرفة، وحقيقة تنتمي إلى مجال الاعتقاد، ولا يمكن الخلط بين الاثنين، إن الأصولية ترفض مبدأ الحقيقتين، ولذا تدير ظهرها للغرب».

لكن.. هل تضيق صدور ليبرالية وديمقراطية الغرب - التي وسعت التيارات الفكرية والفلسفية المتناقضة بالرؤية الإسلامية التي تقول بالحقيقة الواحدة؟ - فلا يكون هناك داع ولا مبرر لأن يدير بعض المهاجرين المسلمين الى الغرب ظهورهم لمجتمعاته؟!.

ويلفت «جاك بيرك» النظر إلى «السياسة الغربية» التي تستفز مشاعر المسلمين بتصرفات «حمقاء»، من مثل الاحتفاء بـ «سلمان رشدي»: «إنه لفعل أحمق أن يدعو وزير فرنسي سلمان رشدي، الذي شتم نبي الإسلام.. إن الذين دعوا رشدي كانوا يودون تسجيل موقف. هذه مبادرة حمقاء من وجهة نظر سياسية، وتنم عن موقف غير مسئول».

أما **المستشرق الانجليزي «ديريك هوبرود»** فيرى أن مخاوف الغرب من الاسلام راجعة إلى عدم تقديره رغبة المسلمين العميقة في تحديد هويتهم والحفاظ عليها.. وإلى رد الفعل الاسلامي المتمثل في اللغة العدائية لموقف الغرب هذا.. والحل عنده هو في قبول الغرب بحق المسلمين في اختيار الهوية والقيم المتميزة.. «إن هناك قليلا من التقدير في الغرب لرغبة المسلمين العميقة في إعادة تحديد هويتهم والحفاظ عليها في وجه هيمنة خارجية. ولكن لسوء الحظ أيضا، يعبر الاسلاميون غالبا عن ذلك بلغة العداء الحاد للغرب، فيعززون العداء وعدم الفهم المتبادلين.. إن الالتزام العميق للقيم الاسلامية راسخ لا يمكن استئصاله من العالم العربي، وعلى الحكومات المحلية وبقية العالم القبول بهذه الحقيقة والعيش معها».

ويرجع المستشرق الإسباني «بيدرومار تينيث مونتابيث» المشكلة إلى تناقض «التعصب والتزمت» الأصولي مع «الفوضى الغربية في العقائد والأخلاق والملذات والنزوات الاستهلاكية».. وإلى عدم تقدير الغرب للمهاجرين المسلمين الذين يبنون في مجتمعاته.. «إن انعكاس هذه الظاهرة على العلاقة بالغرب سلبي في الغالب. لكن المسئولية تقع أيضا على الغرب، فالمجتمعات الغربية تتخبط منذ زمن في أجواء من الفوضى العقائدية التي يضاف إليها تداعي البنيان الأخلاقي والجنوح إلى الملذات والاستسلام للنزوات الاستهلاكية.. إن المهاجر، بالنسبة إلى السواد الأعظم من الغربيين، مجرد بديل عمالي أقل شأنا وخبرة، وغير جدير بالقدر نفسه من الاهتمام. وهو مرفوض ومحارب ومطارد. ويصعب على الغربي أن يقر بالخدمة التي يقدمها إليه المهاجر.. والصورة المضخمة التي تروج عن عدو خارجي خطير هو «الأصولي»، تحدث ردة فعل لدى المواطن الغربي تزداد عنفا».

ويتوجه **المستشرق الروسي «فيتالي ناوومكين»** بمطالبه إلى الغرب، فالمسئولية مسئوليته.. وحل «المشكلة» بين الغرب والاسلام كامن في : اعتراف الغرب بحق الحركات الاسلامية في الوجود والعمل.. والاعتراف بحق الشرق في اختيار طريق التطور وفق قوانينه وسننه.. وفي تخليه - الغرب - عن سياسة فرض المقاييس الغربية على الشرق.. «فالديمقراطية الحق تحتم الاعتراف بالقوى

السياسية ذات التوجه الأصولي، كجزء من المشهد السياسي العام. وإن لكل مجتمع الحق في أن يعيش حسب قوانينه وسننه. ولهذا يجب أن تتحكم في موقف الحضارة الغربية من الحضارة الاسلامية قوانين التعايش، وليس توحيد المقاييس، وتطبيق المقياس الغربي الواحد على الشرق، فإذا لم يتفق التحديث مع التقليدية، استحال الخلاص من الأشكال الدينية المتطرفة».

** الغرب كان ومايزال بحاجة الى اختراع عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعيا، ويظل مترفعاً ومتعالياً على ما تبقى من العالم. (ايزابيلا كاميرا)

وترجع **المستشرقة الاسبانية «كارمن رويث»** المشكلة إلى جهل الجمهور الغربي بحقيقة ما يجرى في العالم الاسلامي «فالعلاقة مع الغرب ستبقى قائمة، وستسير في اتجاهات شتى، لأن في الغرب أيضا أصوليات تعيش بجانب تيارات فكرية منفتحة على الحوار، لكن السواد الأعظم من سكان الغرب ضئيل المعرفة بالعالم الاسلامي عموما والعالم العربي خصوصا».

اما **المستشرق الهولندى «رودولف بيترز»** فيرى في الصهيونية، واللغة الاعلامية الغربية مصادر الترويج لدعوى الخطر الاسلامي على الغرب.. وهي مصادر تهدم ما تبنيه المؤسسات الأكاديمية المهتمة بالاسلام وعالمه.. فعلى الرغم من أننا في المؤسسات الأكاديمية نحاول التأكيد على أن الأصولية بعد من أبعاد عدة للاسلام، وأن الغالبية العظمى من المسلمين تختلف مع الأصولية، إلا أننا نواجه صعوبة شديدة، لأن اللغة الإعلامية اليومية تكرس الصورة المشوهة.. فتصور الإسلام هو الأصولية والأصولية هى الإسلام، وأنهما الخطر الأول على الغرب والعالم الحر. وإذا أضفنا ما يقوم به الاسرائيليون من تضخيم للخطر الأصولى، على أساس انه البديل من الخطر السوفياتى، كانت النتيجة واضحة».

وترجع **المستشرقة الايطالية «آداليندا غاسبارينى»** مخاوف الغرب من الاسلام، الى خلطه بين تجربته الحضارية والتاريخية، في علاقة الدين بالسياسة والدولة - وهى التجربة التى خلص منها باختيار العلمانية - وبين واقع هذه العلاقة في العالم العربي والاسلامى، الذى لا تناقض فيه - فكرا وتاريخا - بين الدين والسياسة، ومن ثم فإن الغرب يرى الظاهرة الدينية في العالم العربي على النحو السلبي الذى عرفه في عصوره الوسطى والمظلمة.. إن «ما حدث في الغرب هو اننا خلطنا استقلالية التفكير مع السياسة، وذلك بغرض التخلص من السلطة الدينية العقائدية التى تغلغلت قدر الإمكان وعمدنا إلى فهم علمانى مطلق علّنا نتمكن من إقصاء القيم الأخلاقية الممثلة بالتفكير الديني، وربما لم يكن هذا الأمر ممكن الحدوث في العالم العربى، لعدم وجود تناقض جوهرى بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وإذا واصلت أجهزة الإعلام ضخ المعلومات الخاطئة والمزيفة وأخبار العنف دون سواها.. وإذا استغرق الناس في جهلهم كل ما يمت إلى العالم العربي بصلة، فسيكون من العسير جدا ان يدرك الرأى العام الفرق بين حالة العنف غير المبررة،

والخصوصية الثقافية لشعب ما».

والمستشرق الهولندى «يوهانس يانسن»، إذ يعترف بخوف متبادل بين الغرب والشرق، يرى في خوف الغرب من الشرق والإسلام خوفا غير مبرر.. بينما هناك مبررات لخوف الشرق من الغرب.. فخوف الغرب من الشرق هو صناعة غربية، وسببه خشية الغرب آفاق وحدود الدين إذا هي تجاوزت آفاق وحدود مسيحيته.. رغم انها خاصة بمجتمعات غير مجتمعاته.. أما خوف الشرق من الغرب - في تقديرنا - فمصدره الواقع التاريخي والمعاصر للعلاقة بينهما!.. فالمجتمعات الغربية مبنية على علاقات مختلفة بين الدين والدولة. وعندما يسمع المواطن أن الديانات تؤدي دورا هاما وكبيرا في الشرق الأوسط، فإن ذلك يثير فيه مشاعر الحذر، وهكذا نجد ان الخوف عنصر متبادل، فالأصوليون يخافون الغرب، والغرب يخاف الأصولية».

أما المستشرقة الايطالية «دانييلا آمالدى» ، فإنها ترجع النظرة الغربية للأصولية الاسلامية، إلى الموقف الآحادى الجانب - بسبب العجز عن الفهم أو عدم الرغبة في الاستيعاب - وإلى تبسيط وتسطيح المعرفة بهذه الظاهرة، الأمر الذى يجعل الغرب يرى في «المختلف» عنه «خطرا محتملا وسلبية مطلقة».. «فالغرب يميل إلى تسطيح وتبسيط الأمور، فيقع في مطب قراءة أحادية الجانب لهذه الظاهرة، ويفقد القدرة على (أو الرغبة في) استيعاب أوجه الشبه أو التباين بين واقع وآخر في العالم الاسلامي، وبالتحديد بين مظاهر وتجليات «الأصولية»، ويؤدى ذلك إلى علاقة الشبه أو التباين بين واقع وآخر في العالم الاسلامي، وبالتحديد بين مظاهر وتجليات «الأصولية» ويؤدى ذلك إلى علاقة معرفية سطحية بالآخر، علاقة، يصبح معها «المختلف»، بالضرورة، مرادفا للسلبية المطلقة.. وإلى اعتبار كل ما ومن هو قادم من العالم الاسلامي خطرا محتملا».

وقريبا من هذا التفسير نجد رأي المستشرق الايطالي «كلا وديولوياكونو» .. الذى يرى ان جهل الغرب بجوهر الثقافة الاسلامية هو الذى جعله لا يرى في الظاهرة الاسلامية سوى العنف، والطابع المعادى للغرب عند بعض الحركات الاسلامية.. بينما ينسى هذا الغرب آثار الخراب التى أحدثتها سياسته الاستعمارية في عالم الاسلام.. «فالغرب يعرف القليل عن الثقافة الاسلامية، وما يعرفه من هذه الثقافة لا يمثل جوهرها الفعلى، هناك، حتى في صفوف أهل الاختصاص وأساتذة الآداب واللغة والاسلاميات، من يشغل موقعه عن غير جدارة واستحقاق. وإذا ألقينا نظرة على الكتب المدرسية، سنجد أن مؤلفيها بدأوا يهتمون بالعالم الاسلامي وثقافته في وقت متأخر. هذا الجهل هو الذى حمل الغرب إلى التعاطى مع الحركات الأصولية من منطلق واحد فحسب، إنه منطلق العنف.. وبطبيعة الحال، يجرى التركيز على الطابع المعادى للغرب الذى يتميز به بعض هذه الحركات، فيما ينسى الغرب آثار الخراب الذى تركته سياساته

**** إن اتهام المهاجرين العرب والمسلمين بالتطرف مجرد كلام فارغ ودعايات وحملات منظمة تشنها فئات ذات أهداف سياسية معروفة. (يان بروخمان)**

الاستعمارية القديمة والجديدة».

وإذا كان الحوار هو السبيل للفهم المشترك والتعايش بين الحضارات، فإن المستشرق الايطالي «سلفاتوري بونو» يرى الغرب هو الرافض للحوار مع الحركات الأصولية.. والرافض للتقييم الموضوعي لأفكارها، وهو معبأ سلفا ضدها.. «فالغرب، كحكومات وكرأي عام، معبّأ سلفا ضد الحركات الأصولية، وليس مستعدا لمناقشة آرائها وطروحاتها، كما أنه يرفض تقويم هذه الطروحات بشكل موضوعي».

أما المستشرق الأمريكي «جون فول» فإنه لا يرى التناقض في المصالح دائما بين الأصوليين المسلمين وبين الغرب .. بل قد تتطابق المصالح.. ويرجع سبب التوتر إلى علمانية الحكام الغربيين، التي تصنع أزمة ثقة مع التوجهات الدينية، وإلى معارضة الاسلاميين للحكومات التابعة للغرب «فالأصوليون العنيفون قد دخلوا في صراعات مع مؤسسات وحكومات ثبت ولاؤها للغرب وأمريكا. لكن مصالح الأصوليين المسلمين تتطابق في بعض الأحيان مع مصالح الحكومات الغربية - لنأخذ كمثال معارضة الغزو السوفياتي لأفغانستان - ما يجعل التعاون في هذه الحالات ممكنا، لكن، على وجه العموم، وفق المنظورات العلمانية التي تطغى على آراء صانعي السياسة الأمريكيين والأوربيين الغربيين، فإن الأصوليين، على اختلاف نماذجهم، ليسوا أهلا للثقة. والعكس هو الآخر يبدو صحيحا، أي أن قادة الأصوليين لا يثقون بحكام الغرب العلمانيين. وفي هذا السياق، أدى صعود الأصوليات إلى جعل «علاقات الشرق بالغرب» أكثر تعقيدا ومصدرا لخطر محتمل».

هكذا انعقد إجماع المستشرقين على أن «الخطر الاسلامي» على الغرب هو «وهم» و«هذر» و«كلام فارغ» و«بعبع» صنعه الاعلام الغربي.. والصهيونية.. والجهل بجوهر الثقافة الاسلامية.. وبتميز علاقة الدين بالسياسة والدولة في النموذج الاسلامي عنها في النموذج المسيحي الغربي.. ونبه كثير منهم على أن وراء ذلك كله مؤامرة غربية تستهدف صناعة «عدو» يحل محل «امبراطورية الشر الشيوعية».

اللهم إلا المستشرقة الألمانية «أردموته هيلر» التي قالت إن الأصوليين المسلمين خطر كبير على الأمن والسلام، وعابت على الغرب أنه غير موحد إزاء هذا الخطر؟!.. فعندها «أن الغرب ليس موحدا، ولا يعرف إجماعا حول هذه المسألة. فالأمريكيون مثلا، اعتبروا الحركات الأصولية أثناء التدخل السوفياتي في أفغانستان ظاهرة إيجابية جدا. وأعتبر الأصوليين يشكلون خطرا كبيرا على الأمن والسلام، وعلى العلاقات بين الشرق والغرب».

ونحن إذا تجاوزنا عن هذا الرأي، الذي انفردت به «أردموتة هيلر»، سنجد أن المستشرقين الذين استطلعت (الوسط) آراءهم في علاقة الحركات الاسلامية بالغرب؟ وخطرها عليه؟.. قد قاموا «بتشريح الغرب» لا بتشريح الحركات الاسلامية؟!.

وهي شهادة فخار لموضوعية هؤلاء المستشرقين.. وخدمة كبرى قدمتها (الوسط) إلى القراء العرب، عندما وضعت بين يديهم هذا «الملف» الذي نرجو أن يصحح مفاهيم الكثيرين من مثقفينا وإعلاميينا المسلمين؟!.

- وللحديث صلة -

المُعَلِّم القائد التربوي

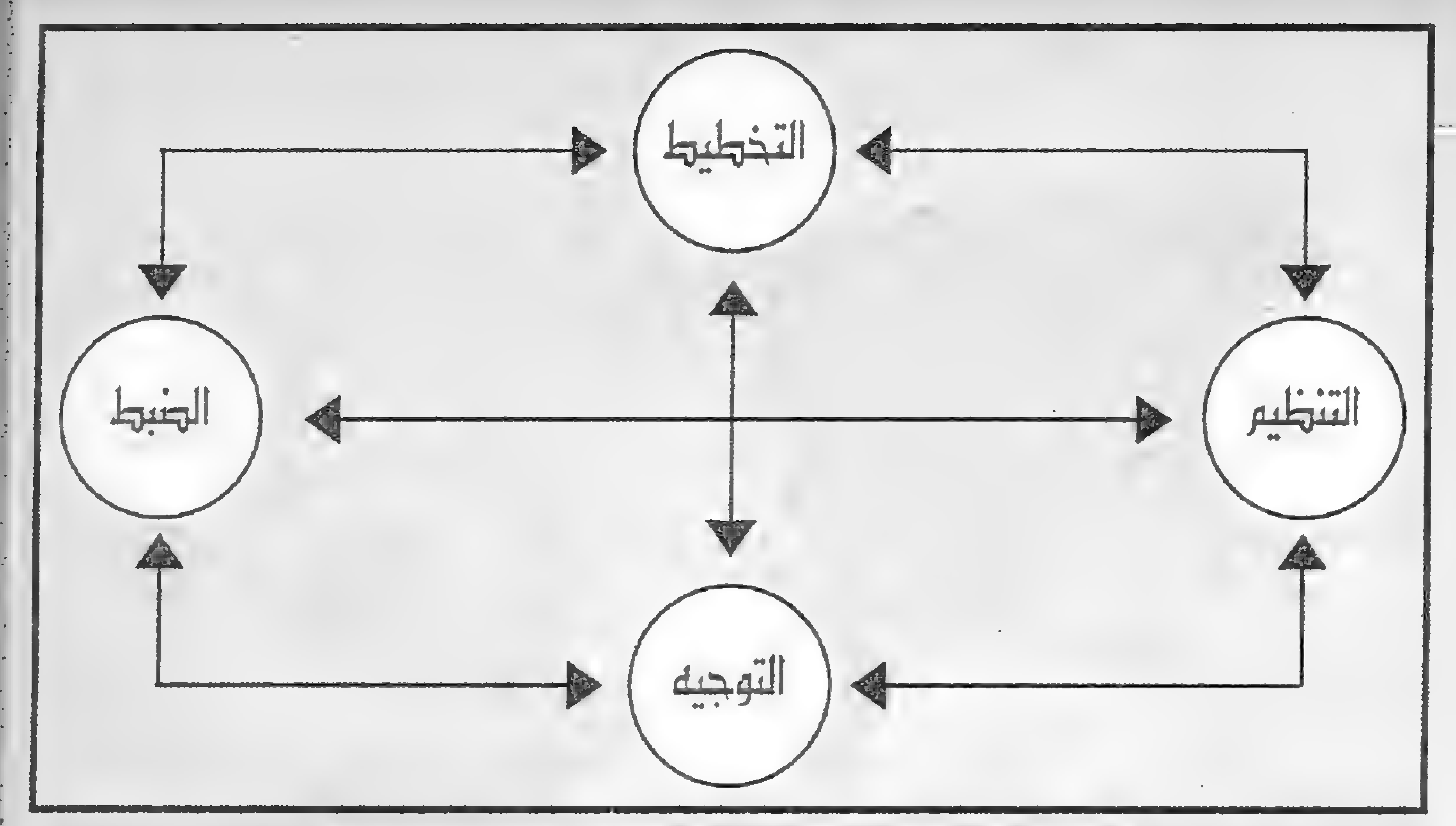
شهد النصف الثاني من هذا القرن عددا من التطورات التربوية الهامة. لعل اهم هذه التطورات هو شيوع مفهوم التعلم بدلا من التعليم. لقد كان التعليم في التربية التقليدية مقتصرا على المعلم، وهو المصدر الوحيد له، ويحصل التعليم بوجوده، ويغيب بغيابه. على ان الانفجار المعرفي الهائل الذى حصل في ميدان العلوم والتقنيات اظهر ان هذه العلوم من الكثرة والدقة بحيث يعجز المعلم عن نقلها الى طلبته. اضف الى ذلك فان هناك مصادر اخرى في المجتمع تؤدى دورا مهما في تعلم التلاميذ من كتب وصحف ومجلات واذاعة مسموعة ومرئية ومراكز اخرى للتعلم. ان التعليم يقتصر على ما ينقله المعلم الى تلاميذه من معارف خلال ساعات معينة من الوقت داخل حيطان المدرسة والصف. اما التعلم فهو اوسع واعم شمولا من التعليم، فقد يحصل في المدرسة والصف أو خارجهما، وقد يساهم فيه المعلم أو يساهم غيره فيه.

لقد كانت التربية التقليدية تهتم بالوسائل، وتهمل الغايات التي يجب ان يوجه اليها التلاميذ. كانت الطريقة التي يستخدمها المعلم هي طريقة الطباشير والكلام. نشأت حركة الاهداف التربوية في الستينيات من هذا القرن، وتبين ان الاهداف التي يجب على المعلم ان يعمل من اجلها من الكثرة بمكان، وان طريقة الطباشير والكلام قاصرة في تحقيق ذلك. تغيرت طرائق التدريس المستخدمة، وتغير معها دور المعلم، واضحى تحقيق الاهداف التربوية الشغل الشاغل للمعلم والمدرسة والتلاميذ والاباء والامهات جميعا.

ان تغير دور المعلم التقليدى اقتضى منه ان يستغل اوقاته في امور اكثر اهمية. لقد ظهر في الميدان تعبير جديد للمعلم وهو تعبير المعلم القائد. وقد ظهر هذا التعبير في الميدان مع تبلور التقنيات التربوية. اعطت التقنيات التربوية للمعلم دورا جديدا شأنه بذلك شأن القائد السياسي. ولا غرابة في ذلك فالمعلم يقود صفا من التلاميذ ان قل عدده أو كثر. ان معلم اليوم ليس عاملا تربويا يؤدى دوره بطريقة جامدة. وهذا يعني انه لا يؤدى كل صغيرة وكبيرة من عملية التعليم والتعلم، بل يتخذ القرارات اللازمة من اجل حصول عملية التعلم بطريقة اكثر فاعلية. تكون مساهمات الطلبة في هذا المجال اكثر اهمية مما يقدم لهم.

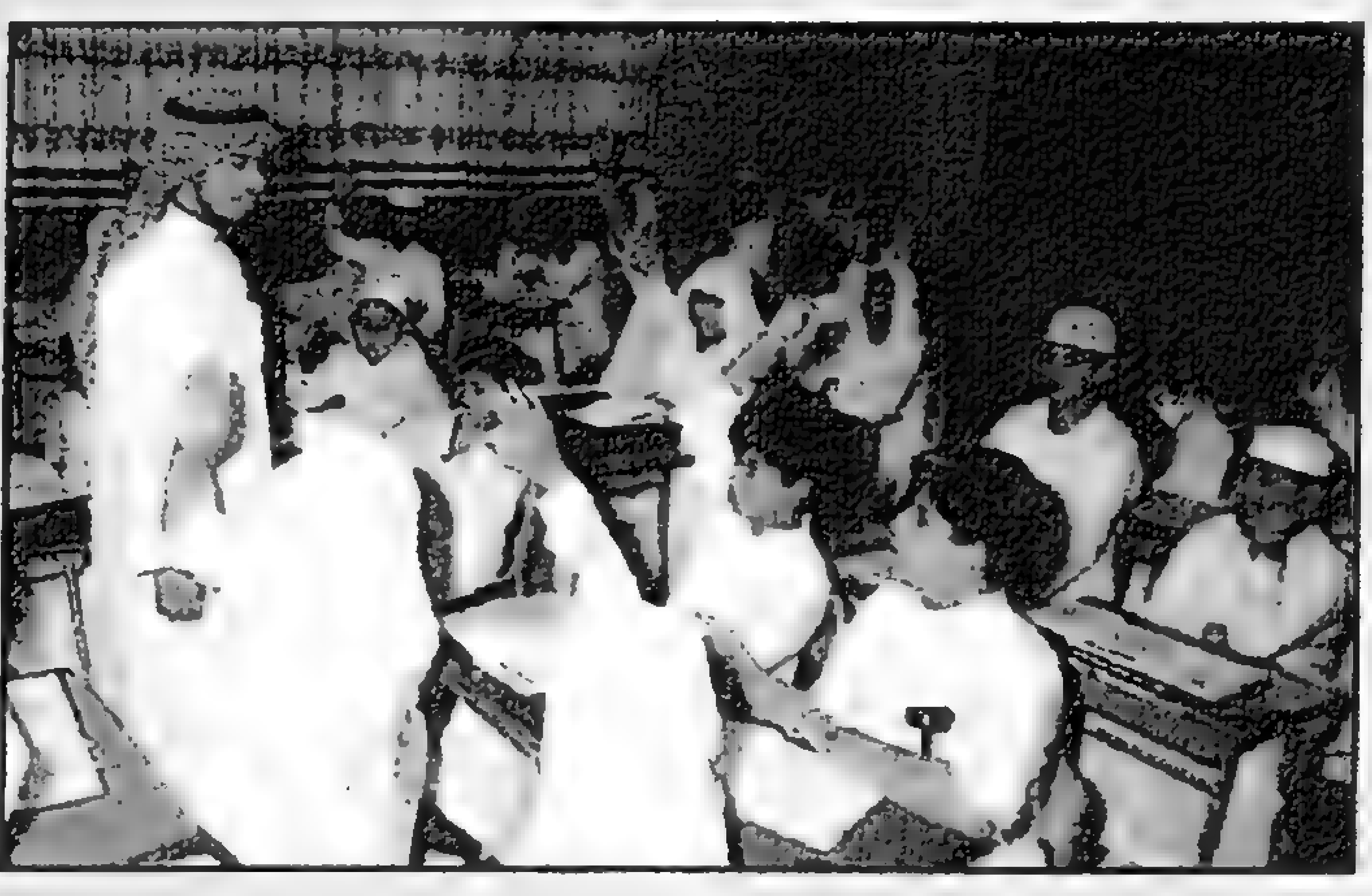
يتضمن دور المعلم القائد اربع وظائف اساسية هي كما يأتي: التخطيط والتنظيم والتوجيه والضبط. ترتبط هذه الوظائف الاربع ببعضها البعض ارتباطا وثيقا، وتكون العلاقة فيما بينها علاقة متبادلة، اى أن الواحدة منها تؤثر وتتأثر بغيرها من الوظائف. يمكن ملاحظة العلاقة بين وظائف المعلم القائد في الشكل التالي:

بقلم: د. أنور طاهر رضا
ـ ازمير ـ تركيا ـ



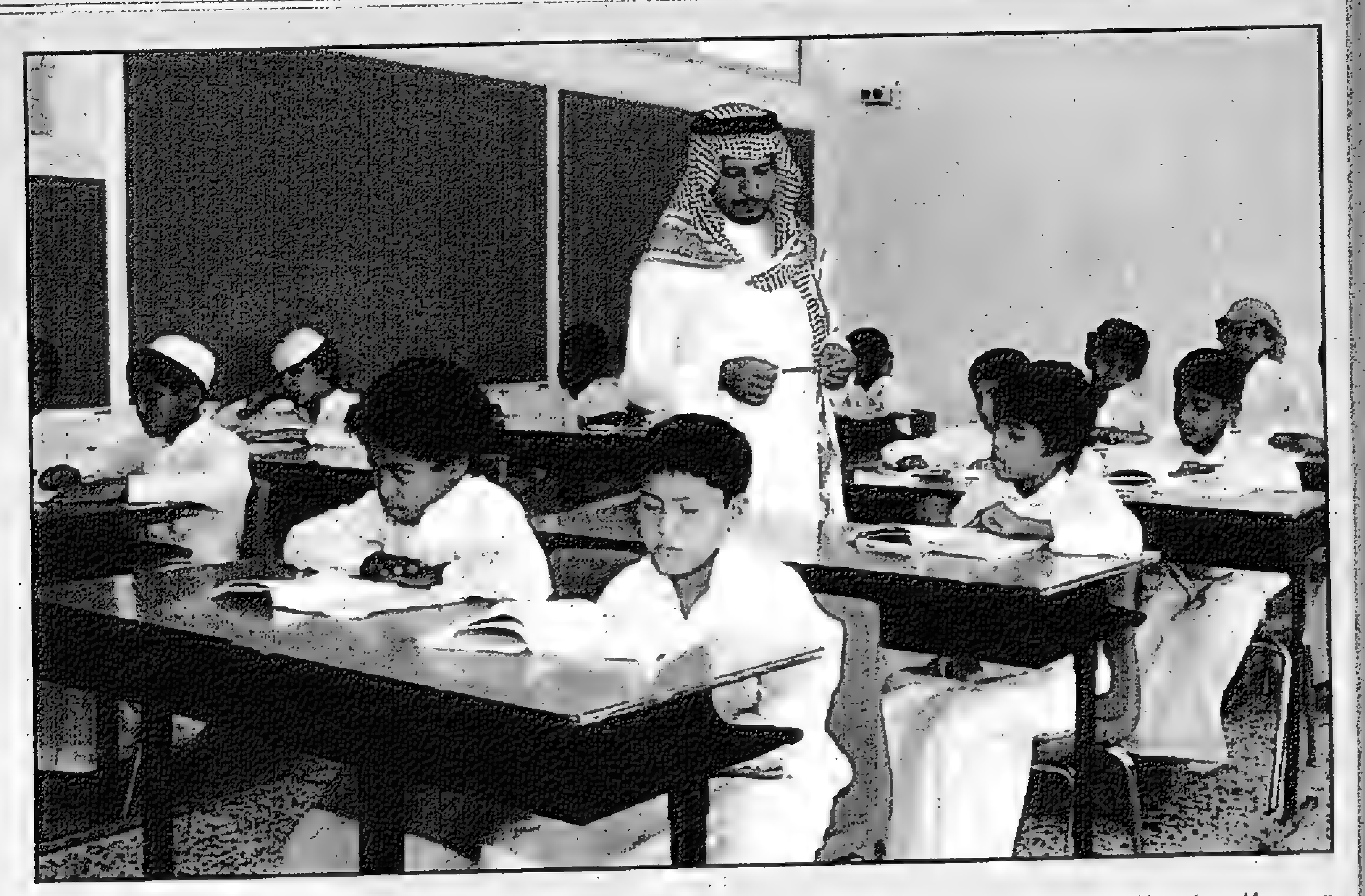
١ - التخطيط :

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم، التي من شأنها ان تتضمن كل ما يرتبط بصياغة الاهداف التربوية الخاصة. تعتبر هذه الوظيفة ولا شك من اصعب الوظائف التي يقوم بها المعلم، لانه يتطلب منه ان يحدد احتياجات طلابه، ويحدد اهدافه، ويكتب مفردات مادته، ويرتب المواضيع التي يجب ان يعلمها. انه انما يضع جسرا بين المحل الذى يقيم فيه طلابه والمكان الذى يريد ان يوصلهم اليه. يتطلب مثل هذا العمل كثيرا من النشاطات الابتكارية والتفكير الخيالي.



ان الخطوات الاولى في تطوير برنامج تربوى هي تحليل طبيعة المهمة الحقيقية التي يتضمنها البرنامج. قد تكون المهمة عقلية أو عملية في طبيعتها. ومع ذلك، يكون من الضرورى تحديد محتويات أو خصائص الموضوع أو الوظيفة التي نريد من الطلبة ان يتعلموها، يساعد تحليل المهمة على صياغة الاهداف التربوية الخاصة. يحتاج تحليل المهمة اضافة الى اظهار عناصرها الاساسية الارتباط والتنظيم الموجود بين هذه العناصر. وهو تحليل وتركيب في الوقت نفسه لانه يحتاج الى وصف المهمة التي يجب ان يتعلمها الطلبة، وبيان انواع السلوك المرغوب فيها، وتحديد الظروف التي تحدث فيها هذه الانواع من السلوك، ووضع معيار للاداء المقبول.

ان الاهداف التربوية اما أن تكون عامة أو خاصة. فالاهداف التربوية العامة تعبير عام وشامل، تكّون هيكل واتجاه الاهداف التربوية الخاصة، وهي تمثل نقطة البداية لطموحات المدرس، وتساعد على اقناع الآخرين عن اهمية الاهداف التربوية الخاصة.

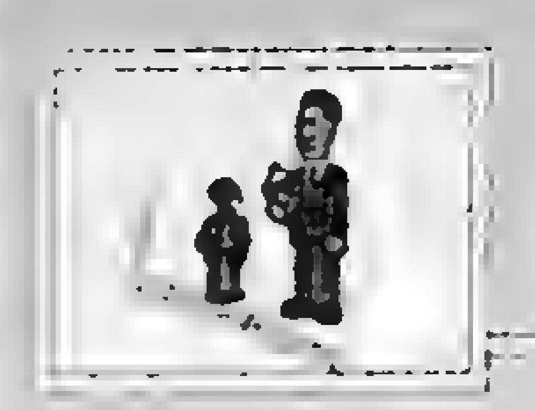


تحدد الاهداف التربوية العامة لفترة زمنية طويلة، وقد لا تكفي سنة واحدة لتحقيقها. ولأن الاهداف التربوية العامة غامضة ومبهمة، ولا يمكن تطبيقها أو التأكد من تحقيقها، فان ترجمتها الى اهداف تربوية خاصة تكون ضرورية جدا.

تكون الاهداف التربوية الخاصة واضحة كل الوضوح، واجرائية في طبيعتها، ومحددة بالوقت وكميته. تحاول الاهداف التربوية الخاصة أن تصف باوضح تعبير لما سيفكر فيه الطالب بالضبط أو يفعل أو يشعر في نهاية خبرة تعليمية. ان المعلم القائد التربوي يجب عليه أن يعرف كيف يصوغ اهدافه التربوية الخاصة بطريقة دقيقة، تتطلب كتابة الاهداف التربوية الخاصة خصائص ثلاث اشترطها ميجر (١٩٧٥: ٢١ - ٨٧)، وهي كما يأتي:

أ - الاداء:

يعبر عن الاداء بفعل يعتبر اهم جزء في الهدف التربوي الخاص. لدى اختيار هذا الفعل لابد من التساؤل عن امكانية قياس مثل هذا السلوك، ويعبر دائما عما يتوقع من الطالب أن يكون قادرا على ادائه. اذا كان الاداء من النوع الذى يمكن ملاحظته عن طريق الرؤية والسمع بشكل مباشر فانه يطلق عليه بالاداء الظاهر. اما اذا كان من النوع الذى يعبر عن الاداء العقلي غير المرئي فهو اداء كامن، ويتطلب اضافة مؤشر سلوكي، ان افعالا مثل: (يكتب ويسمع ويحدد ويميز ويحل ويدرج ويصمم ويقارن ويقابل) تعتبر من الافعال المناسبة التي تستخدم عند كتابة الاهداف التربوية الخاصة، وتحتاج الى قليل من التوضيح. اما افعال من امثال: (يعرف ويفهم ويقدر ويتمتع ويصدق ويعتقد) فإنها افعال تؤدى الى الاختلاف في وجهات النظر لدى تقييمها من قبل المعلمين.



ب ـ الشروط أو الظروف:

تتطلب كتابة الاهداف التربوية الخاصة بيان الشروط أو الظروف (ان وجدت) المهمة التي يحدث فيها الفعل. تخبرنا الشروط عن المواقف التي سيتم فيها الاختبار.

جـ ـ المحك:

يصف المحك مدى الدقة في أداء المتعلم لكي يكون مقبولا، والمحك معيار يحدد مسبقا يقارن به السلوك الذى يظهره المتعلم لاقرار مطابقته بالمعيار. يحدد المحك بالسرعة التي يؤدى المتعلم بها السلوك المطلوب، أو تُحدَّدُ الدقة أو الكيفية اللتان يؤدى بهما السلوك أو العدد أو النسبة المئوية لاداء مثل هذا السلوك.

هذه بعض من الاهداف التربوية الخاصة مع الشروط التي ارادها ميجر:

ـ وقد اعطي الطالب قائمة من اوصاف السلوك الانساني (الشرط)، يكون قادرا على أن يميز (يصنف: مؤشراً للاداء) خمسة واربعين صفة من مجموع خمسين صفة (محك عدد) من الاوصاف السوية والشاذة.

ـ بدون الاستعانة بأى مصدر (شرط) يكون الطالب قادرا على أن يكتب (اداء) ثلاث خصائص للاهداف التربوية الخاصة التي ايدت بنتائج البحوث والدراسات (محك).

٢ ـ التنظيم:

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم والتي من شأنها أن تتضمن كل ما ينظم ويربط مصادر التعلم لاجل تحقيق الاهداف التربوية الخاصة بطريقة اكثر فاعلية وكفاءة وباقل التكاليف الممكنة، يتضمن التنظيم التوفير المقصود لبيئة التعلم وتوزيع المسؤوليات ورغم أن هذه العملية ليست الهدف بحد ذاتها، ولكنها وسائل من اجل تحقيق اهداف، يقصد منها تسهيل تعلم الطلبة وعملهم معا. يتطلب مثل هذا العمل فهما عميقا بالناس، وضرورة توازن المتطلبات الاجتماعية والوظيفية لبرامج التربية والتدريب.

ولما كان هدف التعلم هو احداث التغير المطلوب لدى الطلبة، فان مثل هذا التغيير يحتاج الى استخدام طريقة تدريس مناسبة واختيار وسائل تعليمية ملائمة، ان تحديد طبيعة التعلم يساعد هو الآخر على تسهيل مهمة المعلم، لقد اشرنا الى طبيعة التعلم والاهداف التربوية الخاصة والوسائل التعليمية التي تستطيع ان تحقق مثل هذه الانواع من التعلم في مقالنا التقنيات التربوية: داء أم دواء؟ الذى نشر في العدد ٤٤٨ من مجلة المنهل لسنة ١٩٨٦.

ومن ناحية اخرى يمكن تقسيم طرائق التدريس (الاستراتيجيات) الى طرائق دكتاتورية واخرى متساهلة. تتضمن المجموعة الاولى المحاضرات وعرض الدرس وطريقة التدريس الفردى، والتعليم المبرمج، اما طرائق التدريس المتساهلة فتتضمن طريقة التدريس الفردى والمناقشات الجماعية ولعب الدور ودراسة الحالات والالعاب واثارة العواصف في الدماغ وطريقة الجهاز المبرمج والتدريس المستقل والمجموعات الحرة (بدون قيادة) والتدريب الحساس.

تتميز الطرائق الاستبدادية بانها طرائق قديمة تقليدية وذاتية، في حين ان الطرائق المتساهلة فهي طرائق ابتكارية وموضوعية. ان اختيار طريقة ما تعتمد على الاهداف التربوية الخاصة. فالاهداف التربوية الخاصة المعرفية تحقق بواسطة المحاضرات

وعرض الدرس والتعليم المبرمج وطريقة التعليم بالجهاز المبرمج. يمكن تحقيق الاهداف التربوية الخاصة الانفعالية بالمناقشات الجماعية وطريقة التدريس الفردى واثارة العواصف في الدماغ والدراسات المستقلة والمجموعات الحرة والتدريب الحساس. اما الاهداف التربوية الخاصة العملية فيمكن تحقيقها بغرض الدرس والتدريس الفردي والدراسات المستقلة.

٣ - التوجيه :

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم والتي من شأنها أن تتضمن كل ما يستهدف خلق الدافعية لدى الطلبة وتشجيعهم واثارة هممهم لتفهم الاهداف التربوية الخاصة. يعتبر التوجيه وظيفة المعلم القائد الشخصية، ويتضمن اسلوبه في اثارة دافعية الطلبة، فهو يرشد ويشجع ويشرف على الطلبة عندما يحاولون تحقيق الاهداف التربوية الخاصة، ورغم أن هذه الاعمال تظهر على انها بسيطة الا انها في واقع الحال معقدة، لانها تتضمن ايجاد بيئة يتقبل ويتحمل فيها الطلبة مسؤولياتهم الخاصة في التعلم.

تتضمن هذه الوظيفة القيادية للمعلم التعرف على الحاجات الخاصة للطلبة وذلك بالتفاعل الشخصي معهم للتعرف على اهدافهم وميولهم ونواحي القوة والضعف لديهم. ومتى ما وجد الطالب المعلم صديقا له، وأمن جانبه فانه يكشف له عن مداخله وما يفكر فيه. ان اهتمام المعلم الشخصي بالطلبة يضعه في موقع الحب والاحترام، فيندفعون الى دراسة مادته والتفوق فيها من اجل الحصول على رضاه، يكون المعلم خير معين لهم في حل الصعوبات التي يواجهونها في هذا الميدان.

يجب ان تكون المدارس منظمة تنظيما جيداً، وان تكون طرائق التدريس مريحة ومتساهلة بما تسمح لها الظروف، يجب ان تشجع وتتبنى العلاقات الجيدة بين المدرسين انفسهم، وبينهم وبين الطلاب، والطلاب انفسهم من قبل الادارة، يعامل الطلاب بطريقة ينمون فيها احترامهم لذواتهم ويكونون لهم مراكز اجتماعية جيدة، ويحافظون على قيمهم الفردية، ويشعرون بالمسؤولية، ويحققون التطور والنمو الشخصي، ان المدرسة التي يشعر فيها الطلاب بعدم الرضا من الاشراف وشروط العمل والعلاقات المتبادلة وسياسة المدرسة وادارتها ومركزها والامن فيها لا يجدون اى دافع الى العمل.

ان الزيارات الميدانية للمعامل والاماكن الاثرية والمحلات التجارية والدوائر الرسمية واللقاء بالعاملين هناك من الامور التي تثير دافعية الطلبة نحو التحصيل، قد تدعو المدرسة رجلا معروفا لكي يلتقي بالطلبة لقاء جماعيا ويتحدث لهم عن نجاحاته في ميدان ما، ويجيب على الاسئلة التي يثيرها الطلبة. ان تسجيل مثل هذه اللقاءات لعرضها على شاشة الجهاز المرئي وامواج الاذاعة لا يخلو من فوائد في اثارة دافعية الطلبة الآخرين الذين لم تسمح لهم الظروف بالحضور الفعلي في مثل هذه اللقاءات.

لقد اضحت طريقة المنافسة في اثارة دافعية الطلبة طريقة قديمة، ذلك لأن هذه الطريقة تؤذي الطلبة من ذوى المستويات الضعيفة، إذ لا يجدون في انفسهم القابلية لمجاراة الطلبة من ذوى المستويات الاخرى. توفر انماط التعليم الذاتي المستقل المنافسة بين الطالب ونفسه بدلا من منافسة الآخرين. وفي هذه الحالة يعمل الطالب بمفرده، ويتقدم في البرنامج حسب سرعته. ويكون دور التعزيز المباشر عاملا مهما في دفعه نحو الاستمرار في التعلم، وهكذا تكون وظيفة المعلم توفير برامج تعليمية من هذا النوع.

يتخلف كثير من الطلبة في المدرسة بسبب



جهلهم للعادات الدراسية الجيدة، ويكون انتاجهم اقل من الجـهـود التي يبـذلونهـا، ورغم أن المدارس لا تتضمن في مفردات برامجها شيئا عن تعليم الطلبة بالعادات الدراسية الجيدة، فان هذه المهمة تعتبر من مهمات المعلم القائد. يتولى هذا المعلم تعريف الطلبة بمراكز مصادر التعلم والمكتبات والمتاحف الموجودة في المنطقة، ويرشد طلبته الى كيفية الاستفادة من هذه المصادر.

ان التطبيق العملي وكشف اسرار الاجـهـزة والادوات والتآلف معها يدفع الطلبة الى معرفة المزيد عنها وتطبيقها في حياتهم المهنية المقبلة. ان التطبيق العـملي يثـيـر في الطلبـة تذوق العـمل الذى يؤدونه وممارستـه فترة طويلة من الزمن دون كلل أو ملل. لذا يجب أن يولي المعلم القـائد هذه الوظيـفـة اهمـيـة خاصة متى ما كانت هناك حاجة اليها.

٤ ـ الضبـــط :

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم والتي من شأنها اختبار أن وظيفتي التنظيم والتوجيه كانتا ناجحتين في تحقيق الاهداف التربوية الخاصة التي تمت صياغتها مسبقا. وفي حالة عدم تحقيق هذه الاهداف فان اعادة النظر في وظيـفـتى التنظيم والتـوجيـه أو حـتى التـخطيط تكون حـاجـة ضرورية.

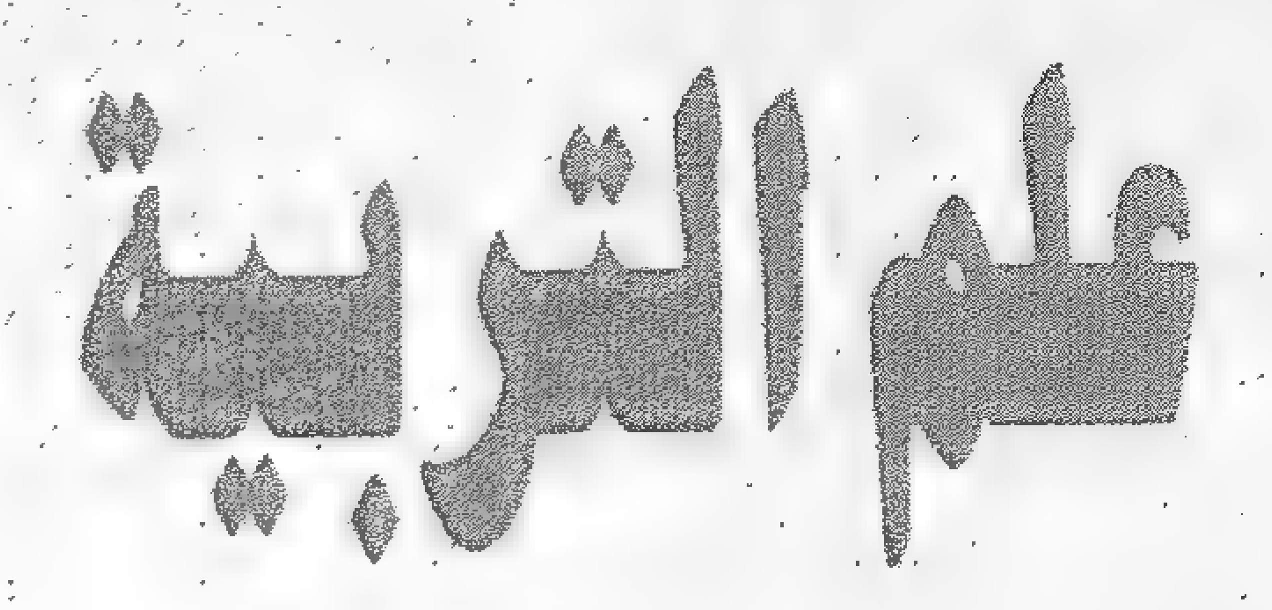
يقـوم المعلم القـائد في دوره هذا بالتـاكـد من التقدم الذى احرزه الطلبة، وبذلك فان الانحـرافات تصحح قبل أن يكون الوقت قد مضى، أى أن المعلم يتولى مـهمة علاجية للطلبة الذين لم يحققوا الاهداف التربوية الخـاصة، يجب أن تستند القرارات في هذه المرحلة على المقارنات التى تجرى بين ما كان يتوقع أن ينجز وبين ما انجز فعلا.

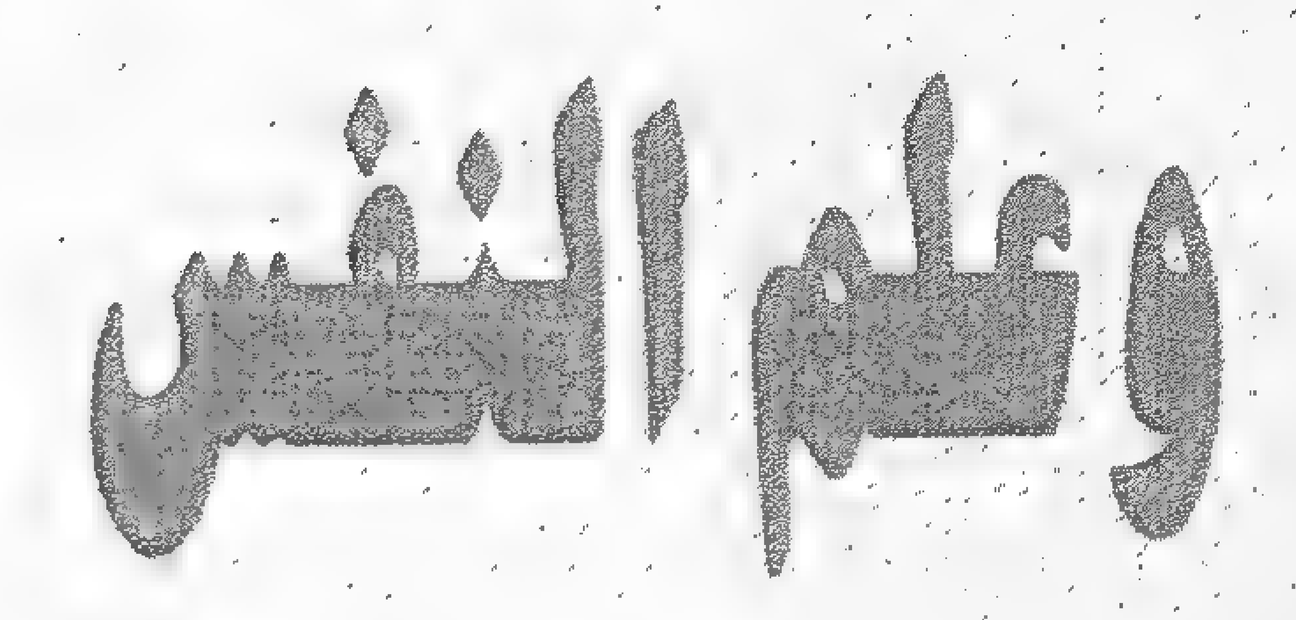
تعني وظيفة الضبط بعبارة اخرى، تقييم وقياس نتائج التعلم، إن للتقييم والقياس اغراضا عديدة، يعتبر التـاكد من تحقيق الاهداف التربوية الخاصـة احـد هذه الاغـراض. ولربما يكشف تقـيـيم المعلم المتكرر أن بعضـا من اهدافه صـعـبة التـحـقيق ولا تناسب طلبته في هذه المرحلة وتحتاج الى تعديل.

عندمـا ينهي المعلم صـيـاغـة اهدافـه التـربوية الخـاصـة، فانه يستطيع أن يصمم اخـتبـاره، وواقع الحال أن المعلم يجب أن يفكر في التـقييم والقياس عندمـا يصـوغ اهدافه الخاصـة، إذ أن صـيـاغـة كل هدف تتطلب منه التفكير في امكانية تحقيقه، وهذا يعني أن فـقـرات الاخـتبـار الذى يصـمـمـه يجب أن ترتبط ارتباطا مباشرا بالاهداف التربوية الخاصة. وفي هـذه الحـالة يسـمى الاخـتـبـار من هذا النوع بالاخـتبـار المحكي، يخبرنا هذا النوع من الاختـبـار فـيـمـا يستطيع الطالب أن يؤديه دون الرجـوع الى الطلبـة الآخـرين، نحكم على اداء الطالب بمقـارنتـه بمحك مطلق قدّر مسبقا، كأن نقول: يستطيع الطالب أن ينجـز ٩٠٪ من الاهداف التـربوية الخـاصـة. يختلف الاختبـار المحكي بذلك عن الاختبار المعيارى الذى يقـارن فـيـه اداء طالب مـعين باداء الطلبـة الآخرين.

يفضل أن يعطي المعلم اختبارات كثيرة للطلبة بحيث يحفظ دافعيتهم العالية للدراسة. ورغم أن استخدام نمط من الاختبار دون غيره يعتمد اساسا على الاهداف التربوية الخاصة، إلا انه ينبغي على المعلم أن يستخدم الاختبارات الموضوعية متى ما كان ذلك ممكنا. تمتاز الاختبارات الموضوعية بعدد من الخـصـائص التي تدفـعنا الى ترجيـحـهـا على الاختيارات المقالية. يمتاز هذا النوع من الاختبارات بأن تصحيحه موضوعي، واسئلته شاملة، ولا تحتاج الاجابة عليهـا من قبل الطلبة، وتصحيحها من قبل المعلم الا فـترة قصيرة من الوقت، وتتمتع بالصدق والثبات العاليين.







تتعدد الآراء وتختلف وجهات النظر عند بعض الناس فيما يخص العلاقة بين علم التربية أو فن التربية Pedagogy *وعلم النفس* Psychology *فالبعض يرى أنهما شيء واحد، والبعض الآخر يفصل بينهما تماماً، وهناك من يقول بوجود نقاط التقاء واتفاق بينهما؛ الأمر الذي دفعني لمحاولة تسليط الضوء على العلاقة بين هذين العلمين بشيء من الإيجاز. فالعلاقة بين علم التربية وبين وعلم النفس تبدأ في كونهما جزء لا يتجزأ من العلوم التربوية المنتمية بدورها الى العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تعنى بدراسة الظواهر التربوية والنفسية المختلفة عند الإنسان.*

ولأن «التربية ليست مجرد علم وإنما هي مجال واسع كبير يضم عدداً من التخصصات العلمية والفروع المختلفة التى تهتم بالعملية التربوية وتتناولها من زواياها المختلفة»[١].

فإن التربية تعتمد اعتماداً كبيراً على علم النفس وتفيد منه ومن دراساته وأبحاثه ونظرياته في حل المشكلات التربوية المختلفة على الرغم من أن بعض تلك المشكلات قد أمكن علاجها بطرق مختلفة قبل نشوء علم النفس «كعلم موضوعي مستقل عن الفلسفة والفيزيولوجيا في سنة ١٨٧٩م»[٢]. وبما أن علم النفس يُعد واحداً من العلوم التطبيقية التي تهتم بدراسة المجتمع ومن فيه من أفراد أسوياء أو معاقين، ومن ثم التعرف على أيسر وأفضل السُبل لنموهم نمواً سليماً وتعليمهم التعليم المناسب لطاقاتهم وقدراتهم المختلفة حتى تتحقق استفادة المجتمع منهم بصورة ايجابية تُسهم في نموه وتطوره. كل هذا يعني أن علم النفس يهتم بالإنسان الذى يُعد موضوع التربية ومحور اهتمامها منذ ولادته وحتى مماته. وقد أشارت الدكتورة/ نازلي صالح أحمد الى العلاقة بين التربية وعلم النفس بقولها:

«وأصبحت التربية وعلم النفس الآن متصلين بالمجتمع في إعداد المعلم وفي التطبيق العملي في العملية التعليمية، وأدى ذلك الى تطوير المناهج والخطط وأسلوب التدريس وفق أساسيات علم النفس، وزاد الاهتمام في التربية بميول التلاميذ واهتماماتهم وإشباعها، وخصائص نموهم وتعديل سلوكهم، كما تدخَّل علم النفس أيضاً فنظَّم وسائل التقويم المختلفة للتلاميذ، فأعدَّ المقاييس



بقلم : صالح بن على الشهري
جامعة ام القرى ـ كلية التربيه ـ مكة المكرمة



لقياس تحصيلهم واتجاهاتهم، كما أعد المقاييس لقياس مستوى ذكائهم واكتشاف المتخلفين واقتراحات العلاج. وأصبح لزاماً على التربية أن تتعامل مع كل فرد وفق إمكانياته وقدراته وحالته النفسية وظروفه الاجتماعية وأصبحت ايجابية التلميذ وايجابية المدرس أساسيتان في عملية التعلم»[٣].

كما يرى عالم النفس السويسرى جان بياجيه «أن الروح العامة للبحوث النفسية وطرق الملاحظة ذاتها هي التي أنعشت علم التربية، وذلك عندما تجاوزت ميدان العلم البحت الى ميدان التجريب المدرسي»[٤].

من هنا يمكن القول أن التربية تعتمد كثيراً على علم النفس بفروعه المختلفة التي لها علاقة بالعملية التربوية والتعليمية. ومنها ما يلي:

١ - علم النفس التربوي

Educational (Pedagogical) Psychology

وقد يُسمى علم النفس التعليمي Teaching Psychology وهو «علم يدرس التعلم عند الإنسان مفيداً في ذلك من بعض التجارب على الحيوانات، كما يعرض العلاقات القائمة بين التعلم والدوافع والذكاء، ودور الدافعيه في التعلم، وأنواع الذكاء، والعمليات العقلية في التعلم، وأساليب القياس العقلي، ونظريات التعلم والأسس التي قامت عليها هذه النظريات والاختبارات والمقاييس. وغير ذلك من موضوعات التعلم»[٥].

٢ - علم نفس النمو

Developmental Psychology

ويسمى علم النفس التكويني Genetical Psychology أو علم النفس التطورى وهذا العلم يدرس مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الفرد في حياته، والخصائص السيكولوجيه لكل مرحلة، والمبادىء العامة التى تصنف مسيرة هذا النمو والارتقاء. وتتضمن الدراسة مظاهر النمو المختلفة مثل النمو الحركي والنمو العقلي والانفعالى والاجتماعي. ويهدف علم نفس النمو الى دراسة نمو السلوك البشري وتطور الوظائف النفسية في مراحل

حياة الإنسان المختلفة لتحديد أحسن الشروط البيئية الممكنة التى تؤدى الى أحسن نمو ممكن ولتيسير اكتساب أصح أساليب التكيف الاجتماعي»[٦].

٣ـ علم نفس الفروق الفردية



Differential Psychology

وقد يسمى «علم النفس الفارق ويُعنى بدراسة الفروق الفردية في السمات النفسية والعقلية والانفعالية بين الأفراد وارتباطها بالعوامل المختلفة مثل عامل السن أو الجنس أو الوراثة أو البيئة أو الوضع الاقتصادي والاجتماعي»[٧].

٤ـ علم النفس الإكلينيكي والإرشادي

Clinical and Counseling Psychology

وقد يُسمى علم النفس العلاجي حيث «ينصب اهتمام العاملين فيه على مظاهر الاضطراب التي تصيب سلوك الفرد وشخصيته وطرق تشخيص هذه الاضطرابات ووسائل علاجها، ومن هذه الاضطرابات المرض العقلي، وانحراف الأحداث، والسلوك الاجرامي، والادمان على المخدرات، والتخلف العقلي، والصراعات العائلية والزوجية»[٨].

٥ـ علم النفس الاجتماعي والشخصية

Personality and Social Psychology

وهو علم يهتم بطبيعة علاقات الفرد الاجتماعية، وتأثر سلوكه بالعوامل الاجتماعية المختلفة، كما يدرس تأثير الآباء والاخوة ورفاق اللعب وزملاء الدراسة على شخصية الفرد وعلى سلوكه واتجاهاته. ويهتم هذا العلم بدراسة سلوك الجماعات كقياس الرأي العام ومسح الاتجاهات ومعرفة آثار وسائل الاعلام المختلفة على سلوك الأفراد والجماهير. ويدرس الإشاعة ووسائل الاقناع والاخضاع والصراع بين الجماعات وقضايا التعصب والتميز... الخ»[٩].

وليس هذا فحسب، فهناك فروع أخرى لعلم النفس وثيقة الصلة بالعملية التربوية مثل علم النفس المقارن الذي يُقارن بين سلوك الفئات المختلفة (كالإنسان والحيوان، والطفل والراشد، والإنسان البدائي والإنسان المتحضر)، وعلم نفس الشواذ الذى يهتم بفئة معينة من أبناء المجتمع (الموهوبين والنوابغ أو المرضى) وغيرها من الفروع التي تفيد منها التربية وتستخدم نتائجها ومعطياتها لضمان تحقيق الأهداف التربوية المنشودة من العملية التعليمية بشكل عام.

وقد أشارت الدكتورة/ نازلي صالح الى ذلك بقولها:

«إن تقدم علم النفس بفروعه المختلفة قد أثَّر تأثيراً جذرياً على التربية وأساليبها، وعلى التعليم من جميع جوانبه ونواحيه، ومناهجه وطرقه ونظمه



وكتبه ووسائله وغير ذلك. ويبيَّن أنه لا انفصال بين علم النفس والتربية فكلاهما يهدف إلى إسعاد الفرد وإلى إسعاد المجتمع، وكلاهما يضيء للآخر الطريق ويُنمِّي كل منهما الآخر»[١٠].

والخلاصة: أن العلاقة بين التربية وبين علم النفس علاقة قوية ووطيدة ويمكن تلخيصها في التالي:

١ - أنهما يشتركان في الاهتمام بالإنسان الذي يمثل محور اهتمام كل منهما؛ فالتربية «عملية إنسانية هي في الأصل طبيعة أساسية من طبائع النفس البشرية أساسها قابلية الفرد الفطرية للتكيف»[١١]. وعلم النفس كما يُعرِّفه أحد المهتمين: «العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن حي له نشاطاته الداخلية والخارجية المتفاعلة مع مختلف ظواهر حياته الإنسانية»[١٢].

٢ - أن العلاقة بين العلمين علاقة تبادلية حيث إن كلا منهما يعتمد على الآخر في تقدمه وتطوره.

٣ - أن تطور علوم التربية وفروعها المختلفة مدين بالفضل الكبير لجهود علماء النفس وما قدموه من اسهامات كبيرة للمشتغلين بالتربية سواء على شكل حقائق أو قوانين أو نظريات ساعدت جميعها في إنجاح العملية التربوية عامة وخدمة العملية التعليمية على وجه الخصوص.

٤ - أن علم النفس بتطبيقاته العلمية ودراساته وأبحاثه وتجاربه المختلفة يُشكِّل جزءاً من الجانب العلمي للتربية.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن ضرورة البحث العلمي هي وحدها التي تقتضي التفريق بين علم التربية من جهة وعلم النفس من جهة أخرى تفريقاً تفرضه ضرورة التخصص العلمي الذي يستوجب التعمق في دراسة الوقائع والظواهر المختلفة لكل علم منهما على حدة.

الهوامش:

(١) محمد سعد القزاز وزميله، ١٤١٦هـ - المبادئ العامة للتربية، الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ط(٣)، ص ٣٥.

(٢) عبد الرحمن عدس وزميله، ١٩٨٦م. المدخل الى علم النفس، نيويورك: جون وايلي وأولاده، ط(٢)، ص ٦.

(٣) نازلي صالح أحمد ١٩٨٣م، مقدمة في العلوم التربوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٨١.

(٤) غي بالماد، ١٩٧٠م، مناهج التربية، ترجمة: جوزف عبود كبَّة، بيروت: دار منشورات عويدات، ص ٧.

(٥) محمد عبد السلام حامد وزميله ١٤٠٦هـ، مقدمة في العلوم التربوية، القاهرة: مطبوعات الأزهر الشريف، ص ٩٧ - ٩٨.

(٦) مختار حمزة ١٩٩٢م، مبادئ علم النفس، جده: دار البيان العربي، ط ٤، ص ٣٧ - ٣٨.

(٧) بيومي محمد ضحاوي ١٩٩٨م، قضايا تربوية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٦.

(٨، ٩) عبد الرحمن عدس، مرجع سابق، ص ١٧.

(١٠) نازلي صالح أحمد، مرجع سابق ، ص ٦٥.

(١١) بيومي محمد ضحاوي، مرجع سابق، ص ١.

(١٢) عبد الحميد محمد الهاشمي، ١٤١٣هـ، أصول علم النفس العام، جده: دار الشروق، ط ٣، ص ١٢.



تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز

المجلات السعودية في عهد الملك عبد العزيز:

بعد أن درسنا في الفصل الأول الصحف السعودية التي صدرت في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.. ننتقل الى الفصل الثاني لدراسة المجلات السعودية التي صدرت في عهد طيب الذكر المغفور له ـ بإذن الله الملك عبد العزيز.

تعريف:

المجلة هي دورية تتناول معارف ومعلومات متنوعة عن جانب أو جوانب من الحياة ويعبر عنها باللغة الانجليزية بـ Review أو Magazine والكلمة الأولى تعني معاينة، والكلمة الثانية تعني مخزن للبضائع والمعلومات، والمجلة احدى الوسائل الهامة للاتصال بالجماهير، تصدر في دورية، وأقل فترة لهذه الدورية أسبوعاً، وهي بين الصحيفة والكتاب، تأخذ من الكتاب عمقه.. ومن الصحيفة تنوع مادتها. وكلمة مجلة في اللغة العربية تعني قائمة بمجموعة من المعارف، وجمعها مجلات أو مجال، ومفهوم المجلة يعني أيضاً إعادة النظر في شيء ما، أو معاينة شيء ما واستعراضه، بمعنى أن المجلة هي عرض أهم أحداث الأسبوع، أو الشهر، المنصرم تبعاً لدورتها وإعادة النظر فيها ومعاينة أسبابها وما سيترتب على هذه الأسباب من نتائج عند قرائها والمستقبلين لها[١].

ومن الشائق أن كلمة Magazine كلمة عربية الأصل وأول استعمال لها كان في عام ١٧٣١م، عندما ظهرت مجلة باسم The Genteleman's Mag[٢].

الاصلاح:

تعتبر مجلة «الاصلاح» التي صدرت عن شعبة الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة بمكة المكرمة أول مجلة صدرت في العهد السعودي الزاهر.

ولقد صدر العدد الأول منها في يوم الأربعاء ١٥ صفر عام ١٩٤٧هـ ـ أغسطس ١٩٢٨م، أي بعد صدور جريدة أم القرى بنحو أربعة أعوام.

والمجلة تعني بالشئون الدينية أكثر من عنايتها بأي مجال آخر، وتشتمل على تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمواعظ الدينية وأخبار العالم الإسلامي وهي صحيفة دينية علمية اجتماعية أخلاقية[٣].

وأشارت المجلة في افتتاحيتها بأنها لا تألو جهداً في القيام بدورها الإسلامي الشريف، لأن هذا هو الذي يفيد المسلمين



بقلم :
د. أمين ساعاتي ـ جدة

وينشئهم نشأة جديدة يكونون بها أمة، ذات مجد وسلطان، فما هو إلا أن وفق الله، وأعان على تحقيق هذه الأمنية، وأنشئت «الاصلاح» في بلد الله الحرام بمعونة ورعاية جلالة الملك المصلح والإمام المخلص عبد العزيز آل سعود أدام الله تأييده وتوفيقه ونصره، وكان أول عدد صدر منها في ١٥ من صفر ١٣٤٧هـ[٤].

ولقد أوضح رئيس تحريرها محمد فقي إنه عندما سنحت له الفرصة بمقابلة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز تحدث إليه عن إصدار مجلة دينية تقوم بالإرشاد والتوجيه الديني فوافقه على ذلك ووعده بالمساعدة.

وطبعت مجلة «الاصلاح» في أول صدورها بالمطبعة السلفية بمصر، ثم نقلت طباعتها إلى مكة المكرمة ـ بالمطبعة الماجدية ـ وبعد أن أسست المطبعة السلفية بمكة المكرمة التي أسسها الشيخ محمد صالح نصيف بالإشتراك مع الشيخ عبد الفتاح قتلان نقلت طباعتها إلى هذه المطبعة، ويرجح أن المجلة استمرت في الصدور طوال سنتين ثم توقفت، ولا تتوفر إحصائية عن الكمية التي تطبعها الاصلاح عند كل إصدار.

ويبدو أن أهم سبب من أسباب توقف المجلة يعود إلى أنها لم تنظم إدارياً تنظيماً جيداً، بحيث يتوفر لها الكادر الفني ويرصد لها المال اللازم لتحقيق الاستمرارية والتطوير.

المنهل:

صدر العدد الأول من مجلة «المنهل» في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ ـ فبراير ١٩٣٧م، وصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وهي مجلة شهرية تعنى بالعلوم والآداب والأبحاث التاريخية والأثرية واللغوية.

وكانت المجلة تطبع في المدينة المنورة عند بداية صدورها ثم نقلت إلى مكة المكرمة، وبعد ذلك نقلت إلى مطابع الأصفهاني بجدة.

ولقد كان الترخيص لإصدار المجلة من خلال «حجّة شرعية» صدرت من المحكمة، حيث ورد في الحجة: «وصدرت بموجبه إرادة من صاحب الجلالة الملك المؤيد في ١٣٤٩/٤/٢٨هـ تنص بأن لا بأس بذلك على شرط أن يتجنب فيها أمر السياسة والاعتراضات على الحكومة، وأن لا يعترض لدولة من الدول، ولا للحوادث التي تحصل بين الممالك المستعمرة والدول، وإنما تكون في الأمور الأدبية، والحث على المصالح الداخلية وأمور الدين خصوصاً على مذهب السلف الصالح[٥].

ويروي الأستاذ عبد القدوس الانصاري قصة الترخيص لاصدار مجلة المنهل فيقول: قابلت الأستاذ فؤاد حمزة، وهو من كبار مستشاري جلالة الملك المعظم في منزله أمام باب السلام، وكان قد جاء إلى المدينة زائراً، وقلت له إني في ١٠ ذي الحجة ١٣٤٨هـ كنت تقدمت بطلب اصدار المجلة، وانتهت كل الإجراءات الرسمية والقانونية، فأجابني بقوله: انني غداً متوجه إلى الرياض وعليك أن تنتظر بعد ١٥ يوماً فقط، ولقد تلقت أمارة المدينة المنورة من سمو النائب العام لجلالة الملك (الأمير فيصل) برقم ١٥٤١ في ١٣٤٩/٥/٧هـ الارادة الملكية عدد ١٢١٣/ ١٠٦٠ في ١٣٤٩/٤/٢٨هـ التي تنص على: (أن لا بأس بذلك ولكن على شرط أن يتجنب فيها ـ أي المجلة ـ أمر السياسة والاعتراضات على الحكومة، وأن لا يتعرض لأي دولة من الدول ولا للحوادث التي تحصل بين الممالك المستعمرة والدول،

وإنما هو في الأمور الأدبية والحث على المصالح الداخلية أو أمور الدين خصوصاً على مذهب السلف الصالح وغير ذلك ليس له حق أن يتداخل فيه، وإذا تعدى ذلك فيحصل عليه جزاء).

وهكذا بدأت إجراءات إصدار المجلة، وتحدثت مع الصديق السيد أحمد الخياري فرحب بذلك كثيراً، ورحب به فضيلة السيد أحمد الفيض أبادي مدير مدرسة العلوم الشرعية، ورحب به الفضيل السيد محمود احمد، ثم ان الحالة المادية ونظام المطابع والمطبوعات القائم الآن يضطران إلى أن التمس من ولاة الأمر أموراً جديدة تمهيدية للشروع في إصدار المنهل، فلابد من دفع رسم التأمين وقدره مائة جنيه أو طلب الاعفاء منه، ولابد من دفع رسوم البريد في الداخل أو طلب الاعفاء منها أو على الأقل طلب الاستعاضة عن رسم التأمين - وهو باهظ جداً - وهو المنصوص عليه في المادة (١٥) من نظام المطابع والمطبوعات بالكفالة.

إزاء هذا لم أملك سوى أن أتقدم بطلب الاعفاء من رسم التأمين ورسم البريد، أما الكفالة إذا قبل الاعفاء من رسم التأمين فإن أمرها أيسر.

ودارت المعاملة من سنة ١٣٤٨هـ حتى أواسط سنة ١٣٥٥هـ، فصدرت الإرادة الملكية بالإعفاء من رسم التأمين والاعفاء من رسم البريد، ولكن هناك عقبة جديدة فقد صدرت (ارادة ملكية في خطاب الشعبة السياسية وبلغت لامارة المدينة من سمو نائب جلالة الملك الأمير فيصل برقم ١٥٣٢ في ١٣٥٥/٧/١٠هـ بأن تؤلف هيئة من شخصين أحدهما من طلبة العلم والثاني ممن لهم علم بالسياسة لأجل الاشراف على ما يقصد نشره بهذه المجلة قبل الطبع.

وقد عينت أمارة المدينة المنورة كلا من فضيلة الشيخ سليمان العمري للأمور الدينية والشيخ عبد العزيز الخريجي للأمور السياسية، ورفع ذلك ووافق عليه سمو النائب العام لجلالة الملك بالعدد ١٩٠ في ١٣٥٥/٨/٥هـ، وبقيت عقبة الكفالة المالية التي صدر الأمر بضرورة أخذها وقد رأيت أن أفاتح بشأنها الصديق السيد أحمد الخياري وبادرني قائلا: (أنا أكفلك في كل شيء)، وهكذا ازيحت هذه العقبة الكبرى من طريقنا أيضاً وذهبنا يوم ١٣٥٥/٨/٢٧هـ إلى المحكمة المستعجلة الشرعية بسفل عمارة دار الأمارة، وجلسنا بجانب فضيلة القاضي الشيخ سليمان العمري وأبدى له السيد احمد الخياري استعداده لكفالتي فقبل ودونت الكفالة الاعتبارية إلى حد (٥٠) جنيهاً ذهباً بالمحكمة.



الأستاذ عبدالقدوس الانصاري
مؤسس المنهل

وبقيت العقبة الأخيرة وهي صدور (الرخصة) الرسمية فعلا بالاذن للمجلة بأن تصدر، والححنا على الشيخ العمري وعلى كاتبه وألح عليه الشيخ اسماعيل حفظي رئيس ديوان الامارة فوعد بانجاز الموضوع بعد غد وقال لي بأن أحضر غداً أي يوم ١٣٥٥/٨/٢٨هـ وحضرت مبكراً إليه وأمر الكاتب بتحرير (صك الرخصة للمجلة، على المنوال التقليدي في الصكوك الشرعية بالمدينة المنورة، فحرر ذلك وسجله وأخرج لنا صك الرخصة[٦].

وجاء في إفتتاحية العدد الأول من المجلة:

أما بعد فإن من دلائل نجاح المنهل أن تكون أول مجلة أدبية ثقافية من نوعها تصدر بالحجاز في عهد حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الذي جعل مبدأه الحميد،

أن يأخذ من أسباب المدنية الحديثة كل جديد نافع وصالح لأمته، مع الاحتفاظ بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف والاستضاءة بهديه القويم. ففي هذا العهد السعيد نرى الأمة قد بدأت تتحفز للوثوب إلى استعادة مركزها التاريخي الرفيع في مرافق الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية، وفي هذا العهد الميمون شاهدنا الأدب الحجازي يخطو إلى الأمام خطوات واسعة ملؤها الطموح والاستبشار والابتهاج[٧].

وصاحب المنهل الأستاذ الانصاري رجل علم وأدب وبحث، وله عناية كبيرة بالآثار التاريخية.. وكثيراً ما قام برحلات في الجزيرة العربية لتحقيق تاريخ تلك المنطقة وما بها من آثار. ولقد استمرت المنهل في الصدور - ولازالت حتى اليوم - بعد وفاة مؤسسها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ويملكها ويرأس تحريرها الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري الابن الأوحد. ويحتل منصب المدير العام ونائب رئيس التحرير حفيد الاستاذ عبد القدوس الزميل زهير بن نبيه الانصاري. ولقد أدخل الأستاذان نبيه وابنه زهير الكثير من التطوير على مجلة المنهل سواء في المضمون أو الشكل حتى أصبحت بحق منارة للفكر والعلم والتنوير[٨].

النداء الإسلامي:

صدرت مجلة «النداء الإسلامي» من مكة المكرمة في شهر ربيع الثاني ١٣٥٦هـ - يونية ١٩٣٧م، باللغتين العربية والملايوية، في (٤٠) صفحة، العشرون صفحة الأولى باللغة العربية والعشرون الثانية باللغة الملايوية، وكان يرأس تحريرها الأستاذ مصطفى اندرقيري وتصدر شهرية، وكانت تطبع بالمطبعة الماجدية أول صدورها ثم طبعت في المطبعة العربية بمكة المكرمة (مطبعة الشركة العربية للطبع والنشر)، وتوقفت عن الصدور بعد أزمة الورق بسبب الحرب الكونية الثانية. ولم تتوفر لنا إحصائية عن الكمية التي تطبعها المجلة عن كل إصدار. ولم تستمر مجلة «النداء الإسلامي» في الصدور لأكثر من سنة ونصف ثم توقفت واختفت، ولقد كتب في مجلة النداء الإسلامي مجموعة من كوكبة الأدب السعودي كالأساتذة محمد حسن عواد وأحمد عبد الغفور عطار، ومحمد حسين زيدان، وإبراهيم الشوري، وعبد الحميد الخطيب[٩].



التضامن الإسلامي (الحج):

في شهر رجب من عام ١٣٦٦هـ - مايو عام ١٩٤٧م، أصدرت المديرية العامة للحج بمكة المكرمة[١٠]، مجلة تحت اسم مجلة «الحج» وبعد أن صدرت الإرادة الملكية بتعيين معالي السيد حسن كتبي وزيراً للحج والأوقاف أمر بتعديل اسمها من مجلة «الحج» إلى مجلة «التضامن الإسلامي» لتعبر عن المشروع الإسلامي الذي كان يتبناه جلالة المغفور له بإذن الله الملك فيصل بن عبد العزيز.

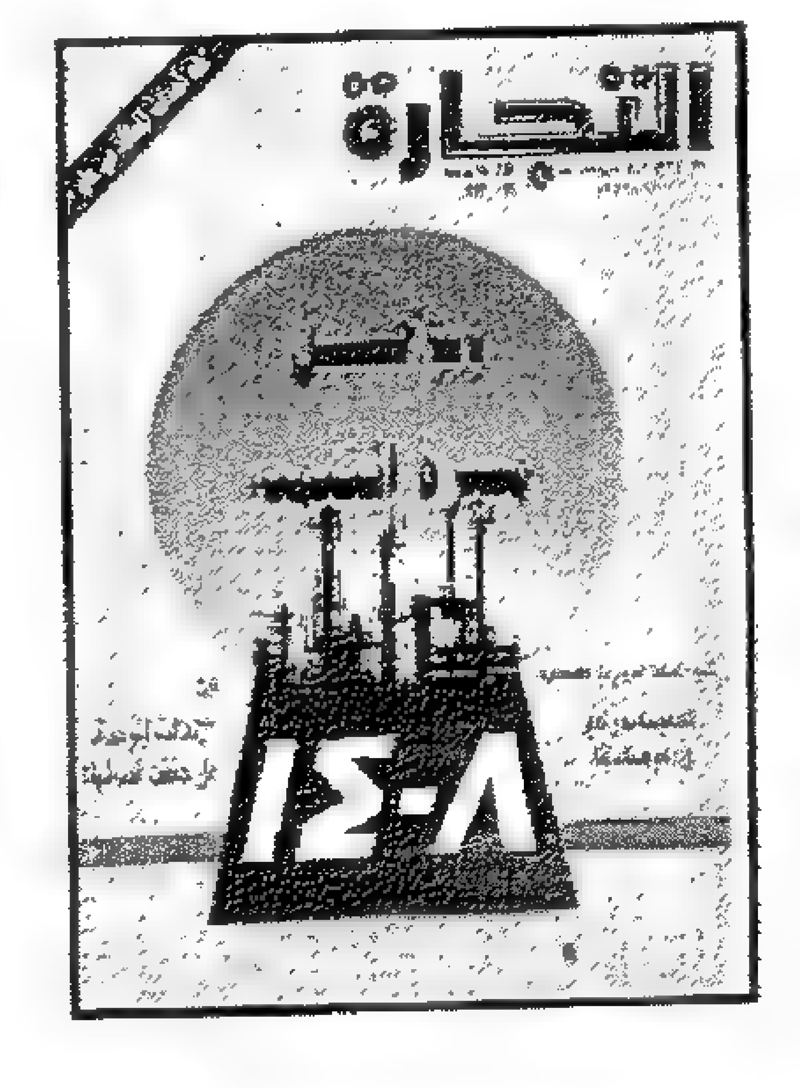
وقد رأس تحرير هذه المجلة في أول صدورها السيد هاشم زواوي وبقي إلى منتصف عام ١٣٦٩هـ، ثم عهد برئاسة تحريرها إلى الأستاذ محمد سعيد العامودي.

وكانت تطبع في مطبعة الحكومة، ثم نقلت طباعتها إلى مؤسسة الطباعة والصحافة بجدة، ثم

أعيد طبعها بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة، وتعتبر مجلة التضامن الإسلامي من المجلات الحكومية المتخصصة في شئون الحج.

وتمتاز المجلة ببحوثها الإسلامية والتاريخية وتهتم كثيراً باختيار كتابها من الشخصيات الإسلامية المعروفة في البلاد العربية والإسلامية.. كما تهتم بنشر الموضوعات والبحوث المتعلقة بالحج والحجاج من أنظمة وتعليمات وأخبار وتوجيهات وإحصاءات وبحوث ومقالات.

وفي موسم الحج تصدر مجلة التضامن الإسلامي بعدة لغات لتوعية الحجاج بتعاليم الحج ونسكه وشعائره، وكذلك تنشر المجلة كل ما يتعلق بشئون الأراضي المقدسة أثناء الحج من كيفية أداء النسك، وفكرة عن المطوفين والوكلاء والنقل والسفر.



مجلة التجارة (مجلة الغرفة التجارية والصناعية):

أصدرت الغرفة التجارية بجدة مجلتها (مجلة الغرفة التجارية والصناعية) في شهر ربيع الأول ١٣٦٧هـ - يناير ١٩٤٨م، وهي مجلة تجارية واقتصادية شهرية. وكان يدير المجلة ويرأس تحريرها الأستاذ محمد راسم، يوم أن كان مديراً لمكتب الغرفة التجارية والصناعية بجدة، وكان رئيسها معالى الشيخ محمد عبد الله علي رضا، وكان سعر النسخة الواحدة ريالان.

وكتب معالي رئيس الغرفة التجارية الشيخ محمد عبد الله علي رضا مقالا مطولا تحت عنوان التقرير الأول للغرفة، شكر فيه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز على تفضله بالأمر الكريم بإنشاء الغرفة التجارية في عهده الزاهر. وأوضح فيه سياسة الغرفة وميزانيتها وانتخاب رؤسائها وتعيين مديرها وتعيين اللجنة الإدارية وما يؤمله للغرفة من تحسين الوضع التجاري والصناعي. ولكن رغم أن المجلة كانت تخاطب شريحة هامة من شرائح المجتمع إلا أنها تعثرت حتى توقفت بعد مجموعة قليلة من إصداراتها.

ثم عاودت الصدور في عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م حيث أصدرت الغرفة نشرة تجارية بإشراف الأستاذ محمد حسن عواد مدير الغرفة التجارية في ذلك الحين. وفي عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م أسندت مديرية الغرفة التجارية للشيخ جميل مكي الذي تولى مسئولية الإشراف على تحرير النشرة.

وفي عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، عين الأستاذ أحمد طاشكندي مديراً فنياً للغرفة التجارية بجدة وكان الشيخ أحمد باغفار يرأس مجلس إدارة الغرفة التجارية، وقرر مجلس الإدارة آنذاك إصدار المجلة تحت اسم مجلة «التجارة» مع السعي للحصول على رخصة رسمية لها من الجهات المسئولة، فصدرت المجلة «التجارة» وصدر العدد الأول منها في عام ١٣٨٠هـ.

وكان يشرف على تحريرها مجلس إدارة الغرفة ومدير التحرير أحمد عيسى طاشكندي، وكان الإشتراك السنوي ٢٠ ريالا سعودياً داخل المملكة، وتضاف أجرة البريد في الخارج.

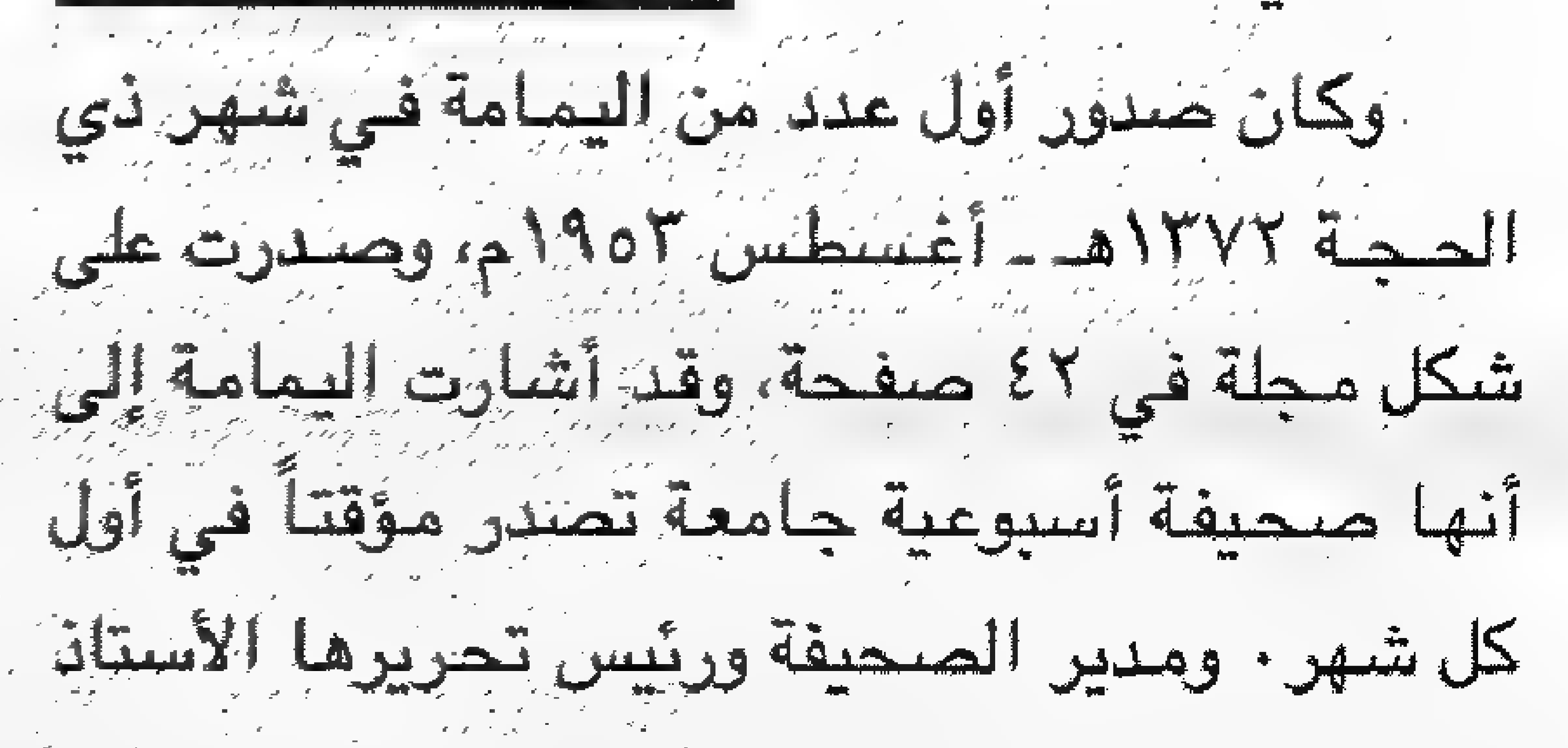
وفي شهر ذي القعدة عام ١٣٨٢هـ ابريل عام ١٩٦٣م، تولى الأستاذ عباس عبد المجيد مديرية إدارة الغرفة التجارية وتولى إدارة تحرير المجلة. وفي عام ١٣٨٨هـ تولى الأستاذ محمد يوسف بنان

إدارة الغرفة، فتولى معها إدارة تحرير المجلة.

وقد تطورت مجلة التجارة تطوراً كبيراً مع تطور الحياة التجارية من حيث المادة والإخراج وعدد الصفحات والصور والموضوعات والتحليلات والأخبار ومتابعة الأحداث الإقتصادية والتجارية المحلية والعالمية.

ولذلك فإن مجلة التجارة مجلة شهرية تجارية اقتصادية أخذت على عاتقها مواكبة الحياة التجارية والاقتصادية في المملكة ومناقشة مشاكلها ووضع الحلول لها مكملة في ذلك الدور الذي تقوم به الغرفة التجارية والصناعية.

ومجلة التجارة التي تصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بجدة هي أولى المجلات الاقتصادية في البلاد وظلت سنوات طويلة تقوم بدورها الصحفي حتى صدرت زميلات لها عن الغرف التجارية والصناعية في كل من مكة المكرمة والرياض والدمام والمدينة المنورة وأبها. وتعتبر مجلة التجارة من المراجع الهامة للتجار والاقتصاديين والباحثين والدارسين[11].



اليمامة:

أصدر علامة الجزيرة الأستاذ حمد الجاسر صحيفة «اليمامة» في الرياض وهي أول مطبوعة تصدر في الرياض.

وكان صدور أول عدد من اليمامة في شهر ذي الحجة ١٣٧٢هـ - أغسطس ١٩٥٣م، وصدرت على شكل مجلة في ٤٢ صفحة، وقد أشارت اليمامة إلى أنها صحيفة أسبوعية جامعة تصدر مؤقتاً في أول كل شهر. ومدير الصحيفة ورئيس تحريرها الأستاذ حمد الجاسر يعاونه في التحرير الأستاذان محمد العبد، وعمران محمد عمران.

ويروي الأستاذ الجاسر قصة إصدار المجلة فيقول:

قابلت الملك سعود يرحمه الله حينما كان ولياً للعهد قلت له: مدينة الرياض ينبغي أن يكون فيها جريدة. رحب بالفكرة وقال: أنا مستعد، وبالفعل أمر وكتب كتاباً بأنه قد سمح لحمد الجاسر أن يصدر جريدة في مدينة الرياض باسم «الرياض» قلت له: ينبغي أن تصدر في أول الأمر مجلة لأنه لا توجد في البلاد معدات طباعية، ثم طبعتها في مصر سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م، فصدر العدد الأول من مجلة الرياض الذي اشرف على طباعته أبناؤنا الطلاب هناك من بينهم الاستاذ ناصر المنقور (السفير السعودي الاسبق في لندن) والاستاذ إبراهيم العنقري (المستشار الخاص لخادم الحرمين الشريفين)[12].

ولكن الحكومة اعترضت على اسم «الرياض» فأسميتها «اليمامة»، اعتباراً من صفر ١٣٧٥هـ تحولت صحيفة اليمامة من مجلة شهرية إلى جريدة أسبوعية تصدر في ٤ صفحات على المقاس الكبير، وتطورت تطوراً كبيراً بعد صدورها أسبوعية واشترك في تحريرها نخبة من رجال العلم والأدب والفكر.. وممن ساهم في تحريرها الأساتذة عبد الكريم الجهيمان، سعد البواردي، على حسن فدعق، حسن قرشي، عثمان شوقي، ابراهيم الحجي، عبد الله بن ادريس، ابراهيم الهاجري وغيرهم من الأدباء والكتاب.

واليمامة أول صحيفة اهتمت بشئون البادية، فأصدرت عدداً خاصاً عن البادية عالجت فيه الكثير من شئون البادية، ودعت إلى رفع مستوى حالتها

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما أنها أول صحيفة في الرياض نادت بتعليم المرأة وتثقيفها.

واعتباراً من شهر رمضان ١٣٨١هـ - ١٩٦١م انتقلت ملكية «اليمامة» إلى الأستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض فأصبح صاحبها ورئيس تحريرها. وقد صدرت في عهده مرتين في الأسبوع الاثنين والخميس وكانت تصدر في ٦ صفحات بالمقاس الكبير، وبصدور نظام المؤسسات الصحفية وتأسيس مؤسسة اليمامة الصحفية اصبحت اليمامة تصدر كمجلة، وتولى الأستاذ حمد الجاسر رئاسة تحرير اليمامة مرة أخرى، ثم أصدرت مؤسسة اليمامة جريدة الرياض اليومية.

ولقد طبعت صحيفة اليمامة في أول صدورها بمطبعة دار الكتاب العربي بمصر، ثم نقلت طباعتها إلى مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة ثم نقلت طباعتها إلى بيروت، وبعد أن تم تأسيس مطابع الرياض في مستهل عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م أصبحت تطبع في مطابع الرياض، وكان تأسيس هذه المطابع سبباً في إصدار صحف أخرى بالمنطقة الوسطى ومن بين الصحف التي كانت تصدر في مطابع الرياض.. جريدة القصيم ومجلة الجزيرة[١٣].

قافلة الزيت:

صدرت مجلة «قافلة الزيت» عن شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، وكانت تصدر شهرياً من الظهران، وصدر العدد الأول في شهر صفر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م. وكانت تطبع في بيروت حتى شهر جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ - سبتمبر ١٩٦٥م حيث نقلت طباعتها إلى الدمام، ومازالت تطبع بالدمام.

وتصدر مجلة «القافلة» على ورق صقيل أبيض، وتعتني عناية كبيرة بالصورة وتلوينها وتركيزها وتختار للغلاف الخارجي والداخلي صوراً طبيعية وتاريخية وفنية ملونة.

وكان يرأس تحريرها السيد حافظ البارودي ويتولى سكرتارية تحريرها الأمريكي البرت اردلا، وفي رمضان عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م تولى رئاسة تحريرها الاستاذ شكيب الأموي، ثم تولى الأستاذ عبد العزيز مؤمنة سكرتارية التحرير، ثم تولى مدير تحرير «القافلة» الاستاذ سيف الدين عاشور مع بقاء الأستاذ الاموي في رئاسة التحرير والأستاذ مؤمنة في الإشراف على التحرير، وفي ذي القعدة عام ١٣٨٢هـ - مارس عام ١٩٦٣م اسندت رئاسة التحرير للاستاذ عاشور مع بقائه مديراً للإدارة.

وفي صفر عام ١٣٨٨هـ - ابريل عام ١٩٦٨م تولى الأستاذ منصور مدني رئاسة التحرير مع مديرية الإدارة، وفي رمضان عام ١٣٨٩هـ - نوفمبر عام ١٩٦٩م عين الاستاذ مصطفى حسن الخان مديراً عاماً للمجلة والأستاذ على حسن قناديلي مديراً مسئولا والأستاذ منصور مدني رئيساً للتحرير والأستاذ عوني ابو كشك محرراً مساعداً، والمدير العام لمجلة قافلة الزيت حالياً الأستاذ سالم سعيد آل عائض ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الله خالد الخالد.

وتستكتب مجلة «القافلة» الكتاب اللامعين في مختلف مدن المملكة العربية السعودية والعالم العربي، ولا تتطرق للمواضيع التي تهدف إلى إثارة الجدل الديني أو الفلسفي، كما أنها لا تخوض في نقاش سياسي أو حوار مذهبي. وتطبع القافلة نحو ٢٠٠٠٠ نسخة شهرياً توزع مجاناً.

مجلة الرياض:

بدأ التخطيط لإصدار مجلة «الرياض» الأسبوعية في عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، وصدرت المجلة شهرية مؤقتاً. أصدرها بمدينة جدة الأستاذ السيد أحمد عبيد ورئيس تحريرها الأستاذ مدني بن حمد. وقد صدر العدد الأول منها في شهر شعبان عام ١٣٧٣هـ في طباعة أنيقة، ومادة دسمة.

وفي افتتاحية المجلة قال الأستاذ أحمد عبيد: إن هذه المجلة جاءت لتكون ندوة مبوبة لكل من يريد أن يساهم في عمل صالح. إنها للكاتب حين يكتب، وللقصصي حين يقص، وللعالم حين يوجه، وللطبيب حين يرشد، وللمكافح حين يعمل للإنشاء. إنها منبر لكل إنسان طيب يريد أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع الإنساني الكريم.

وكان من كتاب وشعراء مجلة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل (محروم)، محمد حسن عواد، محمد حسين زيدان، أحمد عبيد، محمد مدني بن حمد. ولقد صدر من مجلة الرياض اثنا عشر عدداً في ٩ أجزاء، وتوقفت بعد ذلك نهائياً. وكان الإشتراك في مجلة الرياض ١٢ ريالا في الداخل و٢٤ ريالا في الخارج.

وتعتبر المسائل المالية سبباً في توقف مجلة الرياض، ولقد قال الأستاذ مدني بن حمد احد كبار موظفي المديرية العامة للجمارك بجدة.. قال للمؤلف عن أسباب إيقاف المجلة.. إن الإمكانات المالية كانت ضعيفة وكنا ندفع من جيوبنا لطباعتها وإخراجها كما أن الآمال التي كنا نتوقعها في بعض المواسم لم تتحقق، بالإضافة إلى أن الكتّاب كانوا يطلبون مكافآت مالية على مقالاتهم حتى أصبح ما يردنا من المقالات قليل جداً، كما أن مؤسسة الطباعة والنشر ضاقت ذرعاً وهددت بالتوقف عن طبع المجلة إذا لم نسدد الحسابات، وأمام هذه الضغوط توقفنا.

الهوامش:

(١) د. محمود أدهم، التعريف بالمجلة، ماهيتها قصتها مادتها خصائصها، القاهرة - دار الثقافة ١٩٨٥، ص ١٣ - ١٤هـ.

(٢) د. غازي زين عوض الله، الأسس الفنية للمجلة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص ٩ - ١٣.

(٣) عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٤) مجلة الاصلاح، العدد ١٧ ، ١ صفر ١٣٤٩ - ٢٧ يونية ١٩٣٠م.

(٥) الكتاب الفضي للمنهل، بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على إصدار المنهل.

(٦) المؤلف قابل الأستاذ عبد القدوس الانصاري مرات عديدات في صالون صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبد الله الفيصل، وفي مكتبه بمجلة المنهل بالبغدادية.

(٧) مجلة المنهل، العدد (١)، ذو الحجة ١٣٥٥هـ - فبراير ١٩٣٧م.

(٨) تم الحصول على هذه المعلومات عبر اتصال هاتفي مع إدارة المجلة في ٦ جمادى الأولى ١٤١٩هـ - ٧ سبتمبر ١٩٩٨م.

(٩) د. محمد عبد الرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز، بيروت: دار الأمانة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ١٦٣.

(١٠) قبل أن تتحول إلى وزارة الحج والأوقاف في ١٣٨١/١٠/٩هـ، ثم إلى وزارة الحج في ١٤١٤/١/٢٠هـ.

(١١) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(١٢) حمد الجاسر، علامة الجزيرة يستجمع الثمانين، جريدة الشرق الأوسط، ١٣ اكتوبر ١٩٩١م.

(١٣) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ١٨٣ - ١٨٦.

مولد الن

نكراك ذكرى .. لها في القلب إجلالُ
ما استقبلت فرحة الميلاد أجيالُ

نكراك يا مولد الآمال أمنية
لمن تولوا .. وعن ركب الهدى مالوا

نكراك تأتي .. فيا أشواقنا اتئدي
سيف المحبة - لو تدرين - قتال

إنّ الذي أيقظ الدنيا بمقدمه
ما غاب عنك، وما أقصته أميال

في القلب .. منذ ابتدأت الخطو .. أغنية
عليك من ساحة الرضوان تنهال

وفي وجودك معنى، ليس تدركه
في رحلة البحث عن معناه .. أقوال

فاستقبلي فرحة الميلاد موقنة
أنّ اليقين به تخضر آمال

تسمعي نبض قلبي .. إنه نغمٌ
به المحب .. أمام الناس .. يختال

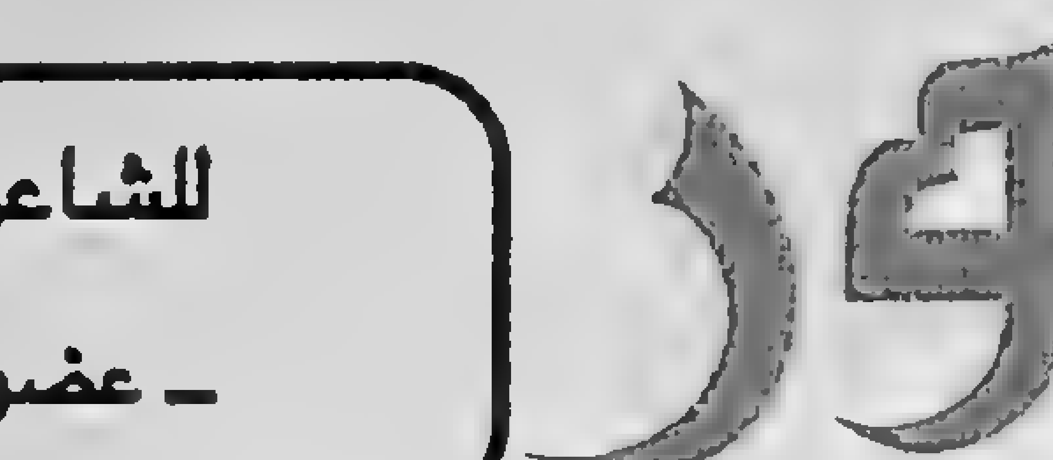
# # #

نكراك نكرى .. وما نيل المنى بيدي
فدون ما تبتغيه النفس أهوال

إني أحب .. وهذا الحب مفخرتي
لا عذر .. كلُّ وراء الغيث رحال

ولستُ أطلب - حتى - أن تبادلني
حبا بحب .. فحالي في الهوى حال

يا سيدي .. أنت بالأنداء تمطرني
فهل يطيب لمثلي عنك ترحال؟



للشاعر : يس قطب الفيل

ـ عضو اتحاد كتاب مصر ـ

أنا الذى بك أستعصى على زمن

بالادعاء .. على من شاء .. يختال

أنا الذى بك أجتاز المدى أملا

في العفو . إن أحكم المكيال كيال

أنا الذى بك .. أنجدنى .. فقد عجزت

عن نشوة البوح .. عند الوصل .. أوصال

كن أنت لي منقذا .. واحفظ خطاي على

هذا الطريق.. فإن العجز إذلال

###

ذكراك ذكرى .. أنا منها على حذر

وإن أفضت بها .. فالشرح إجمالى

أحس أنّ وجودى كله ملأ

من الكمال، وأنى فيه جوّال

وأنت هالة ضوء .. لست أدركها

أنا الذى لم أزل للضوء ميال

يا سيدى.. ضل من لم يصطحبك.. هدى

يحمي خطاه.. إذا ما امتد زلزال

فابسط يديك لنا.. إنّا على سفر

وقد أضرت بنا .. في السعى .. أغلال

ذكراك .. ذكرى .. بها تخضر أودية

وفي مداها لمن يهواك أفضال

فامنن علينا بفيض منك يجمعنا

على صفاء .. فأنت العم والخال

لو لم تكن أنت .. ما كانت زوارقنا

حول الضياء.. بها تلتف أجيال

الوعي الجماعي وجماعية النص

«الوعي الجماعي وجماعية النص» عبارة بثها د. عبد الله محمد الغذامي، وضمنها كتابه (تشريح النص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة» في حديثه عن «الخطاب الشعري الجديد»[١]، وأراد منها أن تكون خصوصية - بحسب تعبير الدكتور - من خصوصيات المنجز العربي في خطابه الشعري الجديد، وقد استفزت هذه العبارة قلمي على استكناه سيرة المنجز العربي بخطابه المرسل سلفاً. والبحث عن حضور هذه (الخصوصية) أو غيابها فيه.

ولست أقصد من هذه الورقة: المساجلة النقدية مع الدكتور الغذامي، بل هي مشروع تعميم لهذه التقنية الحاسرة، واطلاق عنانها في فضائنا الشعري العربي.

فلو ولجنا سيرتنا العربية في منجزها الشعري الكلاسي واستقصينا رسائل مبدعيه وشفراتهم الخاصة لوجدناه ينشطر الى شعب تحتوي كل شعبة منها على آلية من آليات بنائية النص: فنجد شعبة «الشعرية الادبية» التي تحدد قوانين خطابهم والمتجسدة بـ «العمودية» عمود الشعر[٢]، الذي تحاكمُ على وفقه شعرية النص الكلاسي. وتجد شعبة «الاستهلال: الطلل/ الخمر» التي تعد ركيزة من ركائز آليات البناء النصي. وتجد شعبة «المضمون وتقنيات رسمه» ناهيك عن شعب أخرى تخرق فضاءات العام - الخطاب الشعري كله - لتحصره بفضاء الخاص - شفرة المبدع المميزة له ممّن سواه - .

وبعد أن رصدنا شُعب المنجز العربي على خارطة الابداع الشعري نعدل صوب بيان استراتيجية هذه الشُعب وخط سيرها (أفقياً وعمودياً) في رسائل المبدعين.

ولعل شعبة الشعرية (الأدبية) الكلاسية أولى بالبدء لكونها الريشة الراسمة لملامح اللوحة الشعرية في المنجز العربي. إذ نجد الشعراء ينصاعون اليها «العمودية عمود الشعر» ويحققون من خلالها وعياً جماعياً ايديولوجياً لالتزامهم بقانون واحد يحدّ آليات الاتساق النَصّية. مما يدفع من باب أولى أن تكون الصفات «الجينية الابداعية» متشاكلة وكلهم توارثوا الخطاب شكلياً. مما يفضي من دون شك الى (جماعية النص) وتحققها من خلال السير على نهج واحد وبنائية واحدة. فـ «الوعي الجماعي وجماعية النص» تبعاً لما مرّ ذكره - خصوصية تجسّدت في الخطاب الشعري الكلاسي من جهة الشكل وقانون الابداع[٣].

أما من حيث شعبة «الاستهلال» التي عدّها بلاغيونا التراثيون[٤] (القدامى ومن سار على هديهم من المحدثين) ركيزة من ركائز البناء النصي الجيد. فنجدها سُنّة أمن بها مبدعونا القدامى وتعويذة يعلقونها على افتتاحيات نصوصهم. وقد اختلفت مضامين هذه الاستهلالات وكان لكل مضمون أناس ينافحون عنه بحدّ القصيد. فالاطلال.. كانت عتبة يقف عندها مبدعو الجاهلية في خطابهم الشعري ولا تكاد تجد قصيدة تحلو مرابعها من هذا النمر. ولعل أقرب شاهد على ما نريد، جُلُّ معلقات ذلك العصر ناهيك عن دواوين مبدعيه كامرئ القيس والنابغة الذبياني ومن لفّ لفّهما. كما تستوقفك في خريطة الاستهلال مواطن يقدّمها الشعراء في افتتاحيات نصوصهم، كالمقدمة (الخمرية) التي كان بذرها على أرض القصيد عريقاً يمتد الى يد الاعشى في قصائده الخمرية التي أورثها الى مبدعين جاءوا بعده لعل أشهرهم (الاخطل).. لكنها لم تنمُ وتثمر أغصانها حتى استحالت شجرة باسقة إلا في موسم (النواسي ابي نواس) الذي جعلها مقدمة لابداع ومفتاحاً لرسالة، تابعه فيها قسم من المبدعين. فاصبح لهذا اللون الاستهلالي مريديه ومتبعيه. فشكل بذا وعياً جماعياً يقصد اليه المبدعون في رسائلهم فاتسمت بـ (جماعية النص) فكان (الوعي الجماعي وجماعية النص) خصوصية اتسم بها

بقلم: مشتاق عباس معن
كلية الآداب - جامعة بغداد

خطابنا الشعري الكلاسي من حيث بنائية النص وآلية انتاجه.

اما من حيث المضمون، فقد لا يستقيم الحكم معه عند أغلب الشعراء الكلاسيين، لأنّ المضمون يوحي بدلالة النص، والدلالة النصية ملك النّاص، ورسم ملامحها مناط به، فله ان يشاكل سالفيه، وله ان يغور في خصوصيته، فان كانت البنى الدلالية مستندة الى الاول (السلف) يكون حينها متبعاً للسياق الابداعي الذي يمكن وصفه بالعمومية، وان كانت البنى مستندة الى الثاني (الذات) دخل حينها محجر الشفرة التي لا يشاطره فيها من المبدعين سواه.



د. عبدالله الغذامي

ولعل لنا منفذاً نلج من خلاله الى فضاء النص الدلالي ونعمد فيه للكشف عن تقنيات بنائه من حيث المضمون، لعل أقربها للتعميم: (حوارية الذنب) التي اصبحت متناً سردياً يعمد لاستغلاله وفضح مضامينه المبدعون الذين أوكلوا (علاميته) الى النص الشعري لينتجوا (شعرية سردية، أو سردية شعرية) مضمّنين إياها مقدماتهم أو بنية نصوصهم الرئيسة. وكان منبع هذا الرسم (السردي/الشعري) المضمّن في المنجز الابداعي العربي ينبع من مناهل الجاهلية ومروراً بالحقب الابداعية التي تلته. ولعل اخر مصور أجاد رسم ملامح هذا المتن (السردي المتشاعر أو الشعري المتسارد ـ إن جاز لنا التعبير) مبدع من مبدعي العصر العباسي (البحتري).

فكان هذا الرسم الشعري رسماً ذا وعي جماعي شكل نصوصاً تتيح مضمونه على نحو يصدق عليه وصف (جماعية النص) فكانت هذه الحوارية مخصوصاً ابداعياً تعامل معه المبدعون على وفق تقنية (الوعي الجماعي وجماعية النص) لتكون خصوصية من خصوصيات شعرنا الكلاسي من حيث المضمون.

وباستقراء الشُعب الرئيسة التي تشكل منها خطابنا الشعري الكلاسي نلفه أن خصوصية (الوعي الجماعي وجماعية النص) من خصوصياته ايضاً. لذا نرى أن نوسّع نطاق هذه اللفتة النقدية (الغذامية) من حدود الخصوصية الى مطلق العمومية، فنقول عمومية (الوعي الجماعي وجماعية النص) في خطابنا الشعري العربي، مع الأخذ بنظر الاهتمام الفوارق الجزئية بين المتنين القديم والحديث، بحكم الفارق الزمني والنضوج الفكري والثقافي تبعاً لتقنيات التطور وآلياته[٥].

الهوامش:

(١) ينظر: تشريح النص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة: د. عبد الله محمد الغذامي: ٧٠، دار الطليعة، بيروت ـ الطبعة الاولى: ١٩٨٧م.

(٢) ينظر في مسألة عمود الشعر: كتاب: شرح ديوان الحماسة: المرزوقي: ٨ وما بعدها، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣م.

(٣) أفاض د. عبد الله الغذامي الحديث عن (العمودية: عمود الشعر) بوصفها شعرية: (أبنية) للانتاج الشعري الكلاسي وطرائق تعامل الشعراء معها بين الانصياع والانفلات من حلقتها: المشاكلة والاختلاف (قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف): المركز الثقافي العربي، بيروت: الطبعة الاولى ١٩٩٤م.

(٤) جعل بلاغيونا التراثيين بنائية النص الشعري مستندة الى ثلاثة لبنات: لبنة (براعة الاستهلال) ولبنة (حسن التخلص) ولبنة (الانتهاء: حسن الختام)، وعدّوا النصوص التي تعتمد على هذه اللبنات الثلاثة في بنائيتها نصوصاً جيدة تستحق لقب (الشعر)، ينظر: التلخيص في علوم البلاغة للامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تحقيق وشرح الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي: ٤٢٩. وينظر ايضاً: البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب وكامل البصير: ٤٦٢ وما بعدها، مطابع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جامعة بغداد، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٥) نكر هذه المسألة وفصل القول فيها أغلب نقادنا المحدثين، أمثال: أدونيس في كتابه (مقدمة للشعر العربي)، دار العودة، بيروت، ود. يوسف خليف في كتابه (حركات التجديد في الادب العربي: ٢٤ دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٥م.

تعريف ... وتاريخ

تعتبر القصة القصيرة لوناً من ألوان الأدب اختلف في تاريخه، ومراحل تطوره، ولكنه اختلاف يكاد ينتهي عندما تبرز بوضوح تعريفات القصة القصيرة كفن إبداعي يناسب العصر الحديث، ويلتصق به. فمعظم المسميات التي أطلقت على أي عمل إبداعي «قديمه وحديثه» نراها مسميات حديثة جاءت بعد تراكم الأعمال الإبداعية المتفاوته. والقصة القصيرة في شكلها الحالي كلون من ألوان الأدب الحديث ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر مكبلة بخصائص ومميزات معينة في الشكل والمضمون، ولكي نفهم هذا النوع من الأدب كفن إبداعي مصنف عند كثير من النقاد على أنه الأرقي والأكثر سمواً في عالم الإبداع، فلابد أن نعلم، ونؤمن بأن كل بناء جميل ومنسق ومرتفع إلى الأعلى، لابد وأن يقوم على قاعدة قوية تحمله وتنبيء بتاريخه.

والقصة القصيرة في هذا الإطار تعود إلى أزمان موغلة في القدم، وقد تكون بدأت مع أول رحلة صيد قام بها الإنسان الأول، فلا شك أنه كان يعود إلى كهفه أو مسكنه ويحدث أسرته بالإشارة أو اللغة عن مغامراته مع الحيوانات، وكيفية صيدها، ولهذا نستطيع أن نقول بلا تردد «أن القصة القصيرة بدأت مع الإنسان وقت بداية تعامله مع الحيوان وتفاعله مع بيئته المحيطة به، فكل صلة تمت بين الجماعات المختلفة لابد أن تبرز حدثاً أو حكاية. فلقد قرأنا كيف اكتشف الإنسان النار، وكيف صنع الأدوات، وكيف تعامل مع مخلوقات الله من أحياء وجمادات، وكيف نسج قصصاً من خياله كان منشؤها الخوف والقلق.

ولكي نفصل القصة القصيرة عن غيرها من ألوان الإبداع، لابد من إبراز تعريف يوضح الإطار العام لهذا اللون من الأدب.

فالقصة القصيرة: هي إبراز حدث معين، أو فكرة، بإسلوب مختصر وغني بالإشارات المضيئة، تمسك على القارئ أنفاسه في بعض الأحيان. يقول الناقد والكاتب الامريكي «إدجار ألن بو»[١]: بأن القصة القصيرة تعد مجالا أكثر ملاءمة من غيرها لتدريب القرائح الأرقى سمواً، مما يمكن أن تقدمه مجالات النثر العادية الأخرى.

بينما يقول الناقد الأرجنتيني «إندرسون إلبرت» إن القصة القصيرة «حكاية قصيرة ما أمكن، ويمكن أن تقرأ في جلسة واحدة».

ومهما تعددت تعريفات القصة القصيرة، فإننا نجد أنها لون ربما يستعصي على كتاب الرواية والمسرحيات، لأنها تحتاج إلى «إيجاز دقيق واهتمام شديد، وتوتر قسري، وومضة كاشفة لا يقدر عليها إلا كاتب خلاق متمكن. ولكي نفهم ونستوعب تطور القصة القصيرة ووصولها إلى شكلها الحالي، لابد أن نستعرض مراحلها عبر السنين.

تاريخ القصة القصيرة[٢]:

ولكي لا نخلط بين القصة القصيرة وألوان الأدب الأخرى، فإننا سنقسم تاريخ القصة القصيرة الى مرحلتين:

١ ـ مرحلة ما قبل القرن التاسع عشر.

٢ ـ مرحلة القرن التاسع عشر.

مرحلة ما قبل القرن التاسع عشر:

أولى المحاولات كانت في القرن الرابع عشر، وبالتحديد في مدينة روما حيث كانت تجتمع مجموعة من موظفي الفاتيكان مع أصدقائهم وبعض الأهالي في

رفيق موسى
ـ السعودية ـ

غرفة واسعة في الفاتيكان، وفي هذه الغرفة التي كانوا يطلقون عليها « مصنع الأكاذيب» كانت تروى النوادر والقصص عن سكان روما، وكان يقود هذا الجمع رجل اسمه «بوتشيو» Poggio ، عمل سكرتيرا للبابا مدة طويلة، وقد جمع هذا الرجل مما قصّه وما سمعه في كتاب أسماه «الفاشيتيا» Focetio وقد تميزت قصص هذا الكتاب بالبساطة، وكان هدفها التسلية، وغالباً ما كانت تبتعد عن القصد الديني أو الاخلاقي.

أما المحاولة الثانية فكانت على يد «بوكاتشيو Boccocioâ وهو إيطالي وسمّي كتابه «الديكاميرون» يعني «الليالي العشر»، وتضمن الكتاب «مائة قصة» وقد تميزت قصصه بالتفصيل والتروي، والنهاية الواضحة، التي تبعث في النفس السرور، والراحة.

أما المحاولة الثالثة فكانت على يد «ألفونسو مرتينيث» وهو إسباني كان كاهنا لمدينة طلبيرة (ت ١٤٧٠) وقد سمّى مجموعته «كرباج» وتميزت هذه المجموعة بالواقعية وربما تأثرت بالقصص العربية.

بينما المحاولة الرابعة كانت من تأليف «بنيد للولومبرادو» وهو إيطالي وقد كتب ٢١٤ قصة، وقد عكست قصصه إلى حد بعيد تقاليد وعادات عصره.

ثم توالت الكتابات «دي بربيه» في كتاب «تسليات جديدة، وعظات بهجة» والإسباني «ثرفانتيس» (ت ١٦١٦) في مجموعته «روايات نموذجية»، ثم جاء الفرنسي «شارل بيترو» الذى صور التقاليد الشعبية على أيامه، وقد تميزت من بينها مجموعة «حكايات أمي لوا» وأسعدت أجيالا من الأطفال الأوروبيين[٣].

- ثم بدأت القصة القصيرة تخبو تدريجيا وتدنت إلى مستويات أقل في القرن الثامن عشر، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى بثوب جديد أكثر قوة وإثارة.

مرحلة القصة القصيرة الحديثة في القرن التاسع عشر:

لقد تميز القرن التاسع عشر في أوروبا وأمريكا بأنه عصر القصة بحق فقد ظهر فيه «موباسان» ودوديه، وتشيخوف، وأوسكار، وايلد، وإدجار ألن بو، وهوفمان، وجوجول ... وغيرهم.

ومن أكثر الإسهامات في بداية القرن كانت كتابات «جوجول» الذى أضاف في الموضوع على حساب الشكل الفني، وأبتعد بالقصة عن «الرومانسية» كما أسهم الأمريكي «إدجار ألن بو» في دفع القصة إلى الامام، وكانت قصصه إما تحليلية وإما خيالية، وكانت من النوع الذى يحبس على القارىء أنفاسه.

ثم ظهر «موباسان» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذى يعتبر بحق رائد القصة القصيرة في العصر الحديث. وقد قال عنه أحد كبار النقاد: إن القصة القصيرة هي «موباسان» - وموباسان «هو القصة القصيرة»[٤].

ولقد رأى «جي دي موباسان» الفرنسي أن تصوير اللحظات والمواقف العابرة بشكل واضح وصريح هو الوسيلة الوحيدة الطبيعية لإفهام القارىء الواقعية المليئة بالحقائق. وقد كان في ذلك ينتمى إلى الطبيعيين أمثال «زولا» و«فلوبير» وغيرهما.

وقد ظهر في الفترة نفسها «أنطون تشيخوف» الروسي الذى أبدع في مجال القصة القصيرة بحيث جعل لها مذاقاً خاصاً، وقد اتسمت قصصه بالسلبية تجاه الحياة الإجتماعية والسياسية وتميزت شخصيات قصصه باللامبالاة وضعف العزيمة على عكسه هو فقد كان نشيطاً يؤمن بكل القيم ويعيشها.

ومع دخول القرن العشرين[٥] صار للقصة القصيرة عشرات المبدعين في كل قطر، وقد أخذت القصة أشكالا جديدة وتناولت مواضيع شتى ضمن خصائص متفاوته في الشكل والمضمون.

الهوامش:

(١) القصة القصيرة دراسات ومختارات - د. الطاهر أحمد زكي ص ٦٤.

(٢) لا يشمل القرن العشرين.

(٣) القصة القصيرة «دراسات ومختارات. د. الطاهر أحمد زكي ص ٤٤.

(٤) فن القصة القصيرة - د. رشاد رشدى.

(٥) تحتاج القصة القصيرة في القرن العشرين إلى دراسة خاصة ومنفصلة.

نظرة في تحولات المنظور في القصة القصيرة

ربما كان الحديث عن المنظور القصصي هو حديث عن تلك التقنيات التي ما انفكت تفعل فعلها التجديدي في صنع الخطاب القصصي، من منطلق التعدّد في مستويات النظر وغائية الحدث في سياق المبنى القصصي، ذلك أن تجدد الأساليب وتعدد المدارس الادبية قد قاد الى تجديد وتعدد مماثل للمنظور القصصي، وبمقدار ما لحق بالبطل في القصة من تحولات فإن تلك التحولات تمثلت أكثر ما تمثلت في رؤيته للأشياء والأماكن، ونظرته للأشخاص ولنفسه وللماضي، وفي ظل ذلك تحقق تنويع متعدد الوجوه في سياق المنظور القصصي قدّمت فيه القصة انماطاً متعددة من الرؤى التي إن كانت قد أخرجت القصة عن طابعها المدرسي فإنها قدّمت فناً عرض فيه المبدع مهارته في ملاحقة الحدث بعد الحدث في تصاعد متصل حفلت به القصة المعاصرة.

ولعله من الواضح ان هذه المسألة إن كانت تمتلك استقلالها في البناء القصصي فإنها تشتبك واقعياً مع منظومات السرد المتعددة التي شكلت علامة اساسية من علامات التطور الذي طرأ على القصة القصيرة.

ومع تعدد منظومات السرد تعددت الرؤى وذلك في اطار ما يسميه (اوسبنسكي) بـ (البوليفونية) اي تعدّد الاصوات. وإذا ما اردنا ان نلج هذا المحور المهم من مداخله المتعددة فإننا سنواجه أولا محور المنظور الذاتي الذي طبع النص القصصي المعاصر من منطلق سيادة وجهة نظر الشخصية في حكمها على المواقف وفهمها وتفسيرها للأحداث. انها أحادية المنظور التي ما انفكت تلقي بظلالها على البناء القصصي في الاغلب الأعم.

فالطبيعة (الاحادية) للإبداع القصصي - على خلاف الشكل الجماعي للابداع السينمائي أو المسرحي مثلا، قد قادت قدماً الى ترسيخ هذه التقنية وحددت بناء النص في حدود ذلك المنظور، ولذا فإن كانت تلك الأحادية تتسع أو تضيق في بناء النص، فإنها في الغالب تقوم على تقمص الكاتب لإحدى شخصياته والتعبير عن تفاعلاتها. ومن المعروف ان تقنية المنظور المحدود أخذت شكلا جمالياً متكاملا تأسيسياً على يد فلوبير في روايته مدام بوفاري من منظور (ايما) الذاتي العمود الفقري لبناء الرواية، ونجد ما يقابل ذلك في قصص موباسان وبلزاك وغيرهما. وسط هذا نجد أن الخواص الحكائية للنص قد فرضت في الغالب نمطاً من التلقي دفع باتجاه الحرص على (تتابعية الحدث) ونموّه المضطرد، وقيادة القارىء الى تصاعد موضوعي متوازن ومقنع ومبرر.. واذا كنا في مجموعة انفعالات ناتالي ساروث مثلا نعدم ذلك التناغم الذي طبع ذائقة جيل بكامله مع القصة في اطارها المدرسي المألوف فإننا وجدنا نتاجاً وظف احساس الشخصية بما يحيط بها باتجاه تشظي وجهة النظر، لأن الشخصية إذ فقدت ذلك المنظور التقليدي القائم على (تقديس الحكاية) والعناية بها، فإنها راحت تتلمس افقاً حكائياً يتناسب مع تحوّلاتها هذه فراحت تقدّم منظورا مركباً لا يقوم بالضرورة على شكل موضوعي نام بل على ما تشعر به في لحظتها الراهنة كما هي

بقلم: طاهر عبد مسلم
جامعة الفاتح - ليبيا

الحال في نماذج فرجينيا وولف رواية (دالاواي - خاصة) ان هذا (الارث) المتداخل المتنوّع الشاسع الذي تدفق على القاص العربي عبر الترجمات، قدّم صورة مبعثرة في الغالب للقصة الغربية بعد أن عصفت بها الحربين الكونيتين وما تمخضتا عنه من (منظور) جمعي وفردي في آن معاً، ثم عندما تماهت مع الحوار الحداثة وما بعدها وما استجلبته من طمس لفرادة النص القصصي والروائي وما احيط به من هالة مدرسية عمقت في العديد من المدارس الغربية من ازمته، ولهذا قادت الى ذلك الرفض الحاد للأشكال التقليدية للحكاية واستغوار منافذ جديدة للمنظور الروائي، خرجت به عن تلك الأحادية التي حجمت من تفسير الاشياء وحددت من فهمها وهو ما يجسده (جيرار جينيت) في تفسيره للمنظور القصصي بأنه يقع بين (الرؤية) و(الصوت) فبينما تتعلق الرؤية بالعين والنفس اللتين تخبران عن العالم التخيلي فإنّ الصوت هو الصياغة على المستوى التعبيري وهو ما فصّلته سيزا قاسم في كتابها «بناء الرواية»، إنّ هذا الموقف القائم على ثنائية (الرؤية/ الصوت) هو مبعث السؤال عن طبيعة المنظور وفاعليته في النص القصصي، ذلك ان التحوّلات في الرؤية انما احالت قدماً الى متغيرات اسهمت في صنع رؤى اجتماعية وفكرية وفلسفية، ولهذا صارت وجهة النظر الأحادية امام خيارات لا حصر لها في لحظتها المعايشة أو زمنها الكلي، فهي محاطه وفي وقت واحد بأحساسها الذاتي ومنظورها الآني من جهة ونظرتها للآخر، ومن ثم استذكاراتها وماضيها وبعد ذلك التحوّلات المتعلقة بالآتي من جهة اخرى. يضاف لذلك وجود الآخرين حيث يجري وضعهم وسط وجود اشكالي متسائل متشكك حذر.. لذا تبلورت شخصيات محملة بهذا الارث المتداخل المتنوّع القائم على تداخل الازمنة واشتباكها من جهة واسئلة الذات وهي تحاول ان تفسر واقعها الموضوعي من جهة اخرى. ومن هنا وجدنا أن هذا التراكم الثقيل قد فتح رؤى مركبة ومتداخلة ليس من اليسير الفصل بين اي منها او تأطيره في حدود غرضية خالصة مرتبطة بغائية المنظور نفسه المقترن بغائية الشخصية.

ان هذه الخطوط المتعددة للمنظور هي التي اججّت في القصة واحدة من أهم مشكلات (التوصيل) في إطار علاقتها بمتلقيها، قارئها الذي إن كانت السبيل ممهّدة بالنسبة له وهو يتتبع السرد الخطيّ القائم على وجهة النظر والمنظور الواحد فإنه مع الرؤى المتشظيه والاصوات المتعددة صار ازاء بلبلة مركّبة ربما كان مبعثها الاساس تلك النمطية الشائكة التي أثقلت المتن القصصي وانهكت مكوناته بسبب التكرار وتآكل الاشكال المستهلكة. وليس غريبا ان تحكي فرجينيا وولف في اطار من التشظية احدى حكاياتها من وجهة نظر (كلب) يعرض تاريخ حياته وعبر منظوره يفسر الاخرين المحيطين به كما يفسّر وجود المدينة ايضاً وعبره ثمّة وجهات نظر اخرى متنوعة غريبة وذلك في رواية (فلاش). ولعلّ الخوض في هذا الجانب انما يحيلنا الى كم هائل من المنجز القصصي العربي الذي هو في اغلبه في أمسّ الحاجة الى التفسير في اطار فهم المنظور وتحوّلاته. فهذا المنجز القصصي قد تراوح بين اقصى درجات الاستسلام للذاتية والمحور المنظوري الأحادي من منطلق تفسير القصة على انها نشاط وجداني شخصي يتيح للمرء ان يقص على الناس ما يعج في ذهنه ونفسه من أفكار وتجارب وتذكُّرات.

وفي المقابل نجد اقصى درجات الانجذاب للاشكال المترجمة والاتجاهات ما بعد الحداثة في ملاحقة صاخبة لذلك المنجز القصصي الغربي بأجوائه وتفسيراته الخاصة وما بينهما ثمة منظور قصصي ما لبث ان تشكل مؤكداً نظرة اخرى ربما وجدت في التفاعل مع معطيات التيارات الحديثة والحفاظ على الشكل القصصي المدرسي حلا موضوعياً ومتوازناً وهو ما ميّز جُلّ النتاج الذي ظهر خلال العقود الأربعة الماضية على ايدي روّاد القصة العربية، فقدّم نماذج متنوّعة من النتاج القصصي المواكب للتحديث في البناء القصصي والمتفاعل مع متطلبات واقعية موضوعية ملحة توجب نتاجاً قصصياً مواكباً للمتغيرات الاجتماعية والواقع الثقافي في آن معاً.

فن الكتابة للأطفال

بقلم : د. قرش عبدالقادر
معهد اللغة والأدب العربي - جامعة الجزائر

يمكن أن نرصد في أدب الطفل ظاهرتين متميزتين، الأولى شعرية والثانية قصصية، وهذان الجانبان الأدبيان لهما دور فعال في التربية والتعليم والتثقيف، ولهما دور سلبي اذا أسيء استخدامهما، والقضية تتوقف على مقدرة الكاتب الذي يكتب شعرا أو قصة للأطفال، فمن أبرز مميزات الكتابة لهذا العالم الصغير أن يرسم الأديب للطفل على الورقة من وجهة نظره كأنه يتقمص شخصية الطفل، ويستخدم الأشياء استخداما مختلفا عن واقعها في عالم غير معقول ولكنه ممكن من وجهة نظر الطفل ومنطقه.

فالكاتب يحدد العالم بمنطق المتلقي الصغير في التفسير والتعليل والإستخدام، ولا يخلق عالماً لا يتماشى مع منطق الطفل، ويجده الطفل عالما غريبا وأحيانا يضحكه لسذاجته ويفهم أنه يخدعه.

فلابد أن نحمل هذا الأدب محمل الجدّ، ونضعه سوية مع ادب الكبار القصصي والشعري، فقاص الكبار ليس ارفع شأنا ومكانة من قاص الصغار، واعلم بأن القص للصغار لا يتأتى لكل من هبّ ودبّ، فالمضطلع بذلك ينبغي أن يعرف مراحل الطفولة وخصائصها ومراحل نموها العقلي والانفعالي والنفسي، والمعجم اللغوي الذي يستخدمه في كل مرحلة من مراحل الطفل.

فإذا كان كاتب الصغار يكتب بمنطق الكبار، فان ما يكتبه لا يقرأه الأطفال، فالطفل القارىء جاد إذا وجد بين يديه ما يثير اهتمامه ويتعلق بمحيطه ويروي نزعاته ورغباته النفسية، فاقباله على القصص التي ينبغي أن تتوفر فيها شروط قصص الأطفال شكلا ومضمونا، فالطفل يحتاج في كل مرحلة عمرية الى قصص تختلف عن المراحل الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للاشعار والمسرحيات.

ولكي نتحدث عن أدب الطفل ومميزاته في البلاد العربية لابد من إلقاء نظرة موجزة على خلفيته التاريخية عند الغرب وعند العرب.

فالبداية الأولى لهذا الأدب كانت في فرنسا في القرن ١٧ حيث كانت السباقة في اخراج كتب الأطفال فقد ألف بيرو أقاصيص وحكايات الزمن الماضي، وكتب بعده لبرنس دي بومون عددا كبيرا من القصص، ونشر جان جاك روسو اراءه في تعليم الأطفال[١] وحدث نفس الشيء في انجلترا فظهر كتاب ادب الأطفال في القرن ١٧ فأنشأ نيوبري مكتبة خاصة بالأطفال وألف توماس داي قصصًا للأطفال وظهر بعدهما ديفو مؤلف قصة روبنسون كروزو، وتتابعت قصص الأطفال في انجلترا وفي غيرها من بلدان اوروبا وروسيا وامريكا والشرق الأوسط[٢].

وهذا الفن بشكله الأجنبي لم يكن موجودا في الساحة العربية بل وصل متأخرا بعد الاحتكاك بالآداب الغربية شأنه شأن القصة والمسرحية، وتأخر هذا الفن الى بداية القرن ١٩ وظهرت أول بادرة مترجمة على يد رفاعة الطهطاوي، وتبعه محمد عثمان جلال وأحمد شوقي والهراوي وكامل الكيلاني وسعيد العريان وظهرت العديد من المجلات وكتب خاصة بالأطفال[٣].

فقد كتب أحمد شوقي ديوان شعر للأطفال فيه حكايات عن (الصياد والعصفور)، وعن (الديك الهندي والدجاج البلدي) و(الثعلب الواعظ) وغيرها فلأحمد شوقي فضل المحاولة الأولى وقد كان رائداً في الكتابة للطفل، غير أنه كما يقول سليمان العيسى أنه كتب للصغار بلغة الكبار ونسيجهم وتركيبهم.

أما كامل الكيلاني فقد اهتم بالكتابة للطفل في

ميدان القصة فأغنى مكتبته بعشرات القصص المؤلفة والمترجمة والمقتبسة من شتى الآداب العالمية، وعني بشكل خاص بتبسيط بعض الكتب العربية للشباب والأطفال الناضجين مثل حي بن يقطان، ورحلة ابن جبير، وبعض قصص (ألف ليلة وليلة)، وعني أيضا بشخصية (جحا) لارتباطها بعالم الفكاهة.

ولم تكن الكتابة عنده عملا عشوائيا بل كانت تخضع لدراية تامة بمراحل نمو الطفل، فكان يؤلف للطفل الصغير والمتوسط والكبير ووصل الى درجة من الكمال جعلته مثلا للذين يكتبون للأطفال من بعده[٤].



وقد أخذ هذا الفن ينتزع اعتراف الهيئات العلمية والأدبية وسلك طريقه فاهتم به الكثير من الكتاب وخبراء التربية لدراسة قواعد تأليفه ورسم مناهجه وبيان اجناسه كما ظهرت العناية بدراسة قاموس الأطفال اللغوي، وحُصرتْ الكلمات التي تناسبهم في مختلف مراحل العمر[٥].

وهناك جملة من الكتاب السوريين كتبوا في الموضوع مثل سليمان العيسى له مجلدات في القصص والأناشيد والأغاني والمسرحيات، وكذلك زكريا تامر وعادل أبو شنب الذين لهم آراء قيمة حول هذا الفن، فسليمان العيسى يقول: ثم تأتينا قصائد شوقي للأطفال فإذا هو يدق الباب الموصود ويدنو من العالم الذي أهمل حقبا طويلة ويلجه في كثير من المحبة والالفة، ان له فضل الزيادة، فضل المحاولة الأولى، ولكن المحاولة تظل صلبة وعرة يسودها الجفاف في معظم الاحيان، لقد كتب شوقي للصغار ولكن بلغة الكبار وتعبيرهم، ولكن كان الرائد وتمضي الايام ويأبى شعراؤنا المرموقون أن يترجلوا عن خيولهم الخشبية ليداعبوا طفلا بانشودة أو يضعوا على ثغره أغنية[٦].

ولابد من تسليح الاطفال بقيم جديدة منها الكلمة الحلوة والفكرة النبيلة والصورة الجميلة والموسيقى[٧] ويحاول زكريا تامر ان تكون قصصه على مستوى فني يؤهلها لأن تصبح وسيلة تساعد الطفل على حب لغته العربية وتنمي قدراته على تنوق الادب الذي يخاطب قلبه وعقله دون ترفع ودون اسفاف[٨].

ويحاول عادل أبو شنب كتابة قصص ومسرحيات تحض على التعاون وتقاوم الروح الإتكالية.

وكلهم يريدون توظيف الكلمة في خلق مناخات اخلاقية وقيم جديدة تبني الطفل العربي.

ومن قصائد سليمان العيسى هذه الأنشودة التي ارادها أن تكون اغنية صباحية:

- القُبْلةُ الأولى من الصباح.
- لجبهة الفلاح.
- لساعد الفلاح.
- لمعول الفلاح.
- الساعد المفتول.
- تعطيه ما يشاء ثمر.
- من غلة كدفقة المطر.
- وتضحك البلاد.
- لموسم الحصاد.
- ويسعد البشر[٩].

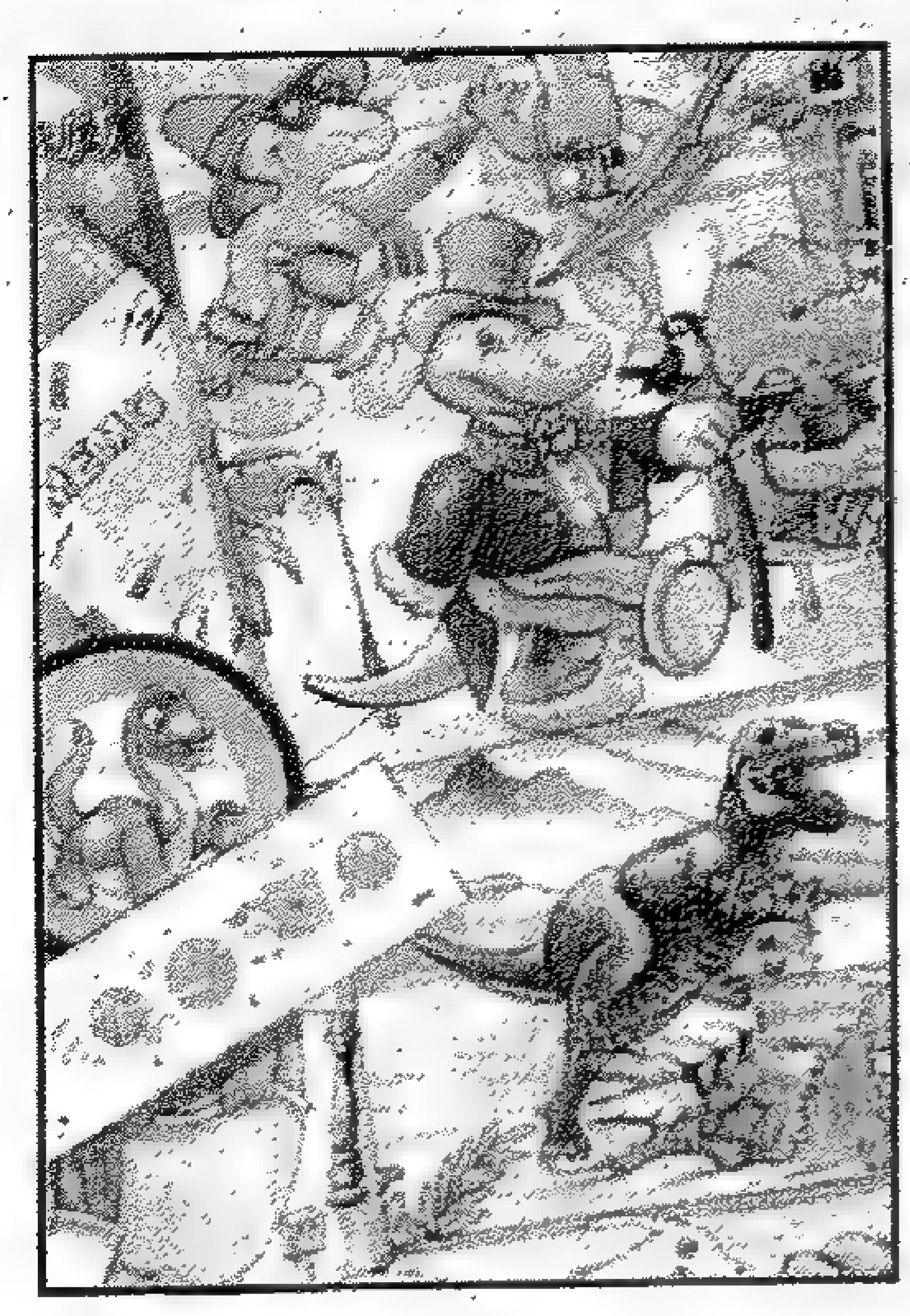
ومن المجموعات الشعرية الجيدة التي غناها مصطفى عكرمة للاطفال حب بلادي - بابا ماما - هري - البحر - الساعة - المطر - الشرطي .... الخ مع رسوم جميلة ملونة تمثل المشهد ولنأخذ قصيدة بابا ماما كمثال:

بابا ماما	...	لكما شكري
ملء الدنيا	...	أبد الدهري
حبي لكما	...	يملأ صدري
وعلى ثغري	...	نغم يجري
بكما أحيا	...	أحلا عمري
لكما مني	...	كل الشكر[١٠]

ولعل الكلمة المأثورة (خاطبوا الناس بما يفهمون) خير ما ندخل به في الحديث عن لغة الطفل التي ينبغي ان تلائم عالمه ودرجة ادراكه ومحيط تخيله ودائرة معرفته، ومن هنا كانت الكتابة للطفل اصعب انواع الكتابة لما تقتضيه من المعرفة الدقيقة لمعطيات التبليغ حتى يحصل التجاوب.

ولعل الكاتب العربي لقصص الطفل يتوقف عند لغة ادب الطفل بسبب الانقسام الذي يعانيه المجتمع بين الفصحى والعامية.

ولابد في قصص الاطفال من عدد معيّن من الكلمات في الصفحة الواحدة حسب العمر وتشكيل الكلمات وكتابتها بحروف بارزة حتى يركز عليها الطفل، ويعوّد الطفل على خط ألفه في المدرسة يكتب به ويقرأه في المدرسة وفي القصص، وعن طريق تشكيل الكلمات يتعلم الطفل النطق السليم وتنمى ملكته اللغوية، فقد كان من المفروض ان لا ينشر القصص حتى تمر على مصححين لغويين وتمر على لجنة السلامة الفكرية حتى لا نبقى في مرحلة التردي اللغوي.

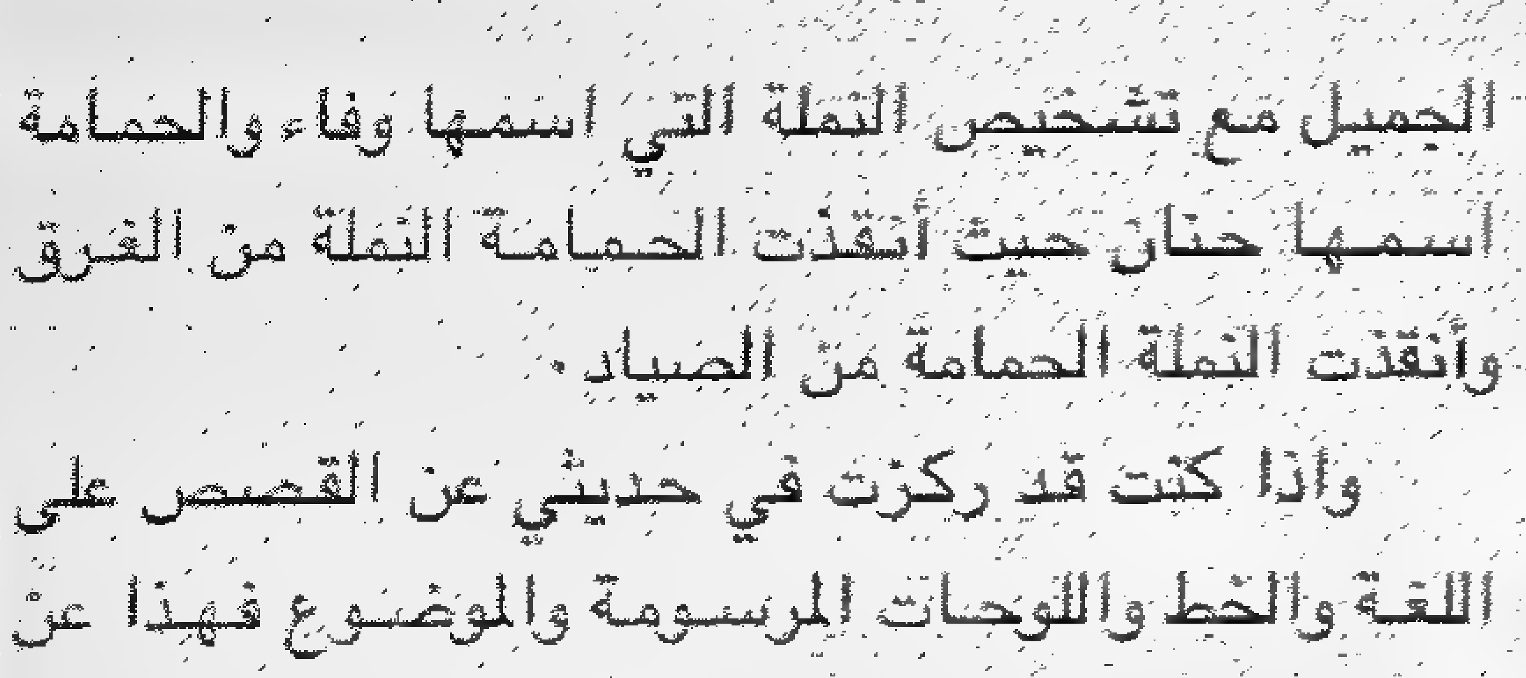


فالكتابة للطفل تتطلب دراية واسعة وجلدا وصبرا، وانها محاولة لرصد الشخصية الانسانية في مراحل نموها وتطورها وتكاملها، وهي تراعي مستويات الذكاء المختلفة، والأمر لا يتوقف على كتابة الشعر والقصة للاطفال بل هناك في المجلات يلاحظ تنوع في الموضوعات والاركان وتعدد اساليب التعبير، وهي تنحو منحى تعليميا وترفيهيا وتحاول اقرار بعض القيم كالاخلاق الحميدة والصدق وعمل الخير والتعاون والعطف على الضعيف وبإمكاننا أن نقف قليلا مع بعض المجلات المختصصة للطفل والتي تنوّع في مواضيعها، فمجلة الكابتن سمير للصفوف الابتدائية من المجلات الرائعة غنية وثرية فيها عدة اركان:

القصة القصيرة المشوقة، التعرف على الشخصيات تاريخية عربية وعالمية - التعرف على مستحدثات الحضارة - الرسم والتلوين - بريد كابتن سمير - والتعرف على الاصدقاء - ضحكة وابتسامة - سؤال وجواب - نادي الموهوبين - المسابقة، إلى غير ذلك.

ومن القصص المترجمة سلسلة عالم ديزني العجيب، وتتكون هذه المجموعة من مغامرات وقصص مثيرة، من أبطالها: ميكي وبطوط ودامبو وغيرهم من شخصيات والت ديزني العجيبة، صدر منها: كلوب

وثعلوب ـ المطحنة السحرية ، روبين هود وعيد ميلاد الأرنب إسكيبي، بندق راعي بقر، ميكي في بلاد الأقزام.



وكذلك الأمر هو في مجلة سلسلة ثورمان المترجمة[١٢] فالغلاف فيه لوحة ناطقة ومعبرة وجذابة ويتخلل قصة ثورمان المغامر الجبار استراحة بين كل اثنين أو ثلاثة صفحات تقدم فيها مثلا ركن (اضف الى معلوماتك ـ اختبارات الذكاء). الاعلان على قصص أخرى ومغامرات أكس مان وسبيدرمان مثلا: كلام من ذهب (حكم)، نادي العلوم ـ حكايات عربية، كلمات متقاطعة.

وهناك سلسلة دونالداك القصصية المترجمة منها: دونا الكسول ـ سارق البيتزا ـ مدينة البط ـ سباق الكلاب ـ الأميرة الذهبية.

فالتشخيص هو الأساس في هذه القصص فمثلا قصة دونا الكسول[١٣] الغلاف لوحة مرسومة بالألوان معبرة واللوحات الداخلية كثيرة في أعلى وأسفل الصفحات أو بجوار الكتابة، ويستطيع التلميذ ان يعيد سرد القصة من خلال هذه اللوحات.

ـ فهذه القصة تجعل البط بطلا وتلك تجعل الذئب أو الثعلب أو السلحفاة، وأغلبها تؤكد على أن يكون الأبطال من عالم الحيوان، لأن قصص الأطفال فيها من الرمزية الشيء الكثير ومشكلاتنا كالحرية والوحدة والتعاون تعالج على لسان الحيوان في قصص الأطفال ونادرا ما ترى قصة أبطالها من البشر فهي مناسبة للكاتب يقول ما يشاء، ومالا يستطيع قوله في الواقع.

وهناك بعض القصص الصادرة في لبنان كقصة الحمامة والنملة[١٤] التى تجسد فكرة الاحسان ورد الجميل مع تشخيص النملة التي اسمها وفاء والحمامة اسمها حنان حيث أنقذت الحمامة النملة من الغرق وأنقذت النملة الحمامة من الصياد.

واذا كنت قد ركزت في حديثي عن القصص على اللغة والخط واللوحات المرسومة والموضوع فهذا عن قصد لأن الاخراج الفني للقصص وجمال الغلاف يجذب الطفل الى الكتاب فالغلاف لوحة فنية يحتاج الى جهد ووقت وابداع وهو أكثر فائدة للأطفال والأمر نفسه ينطبق على اللوحات الداخلية التى تقوم بمساعدة الطفل على القراءة لأنها تلخص جملة من المعاني عن طريق الخطوط والألوان وهذه ينبغي وضعها الى جانب الرموز الكتابية والا فقدت تأثيرها في الطفل، واحيانا يطغى التعبير بالرسم على التعبير بالكلمات بحيث تغدو اللوحة العامل الوحيد لفهم القصة وهذا النوع من اللوحات في الكثير من قصصنا مفقودة ومفقود ايضا المضمون، الذي غالبا ما يكون بعيدا عن واقع الطفل، وصورة الغلاف تساعد الطفل على الاحتفاظ بالقصة أو تبادلها أو اهدائها أو شرائها.

فليس كل من دب وهب يكتب قصة للأطفال فتكون هزيلة المحتوى بعيدة الموضوع عن واقعه وتطلعاته، ليس فيها ما يجذب به الطفل اليها، باهظة الثمن، وما انصراف الطفل عن قراءتها الا راجع لهذه الأسباب.

الهوامش:

(١، ٢، ٣) الموقف الأدبي ص ١٥٩، ١٦١، ١٧٤.

(٤، ٥) الموقف الأدبي ع ١٠٤/ ١٥٠ ص ٢١٩، ص ٢٢٢.

(٦) الموقف الأدبي عدد ١٠٤ ـ ١٠٥ ص ١٩٣، ١٩٤.

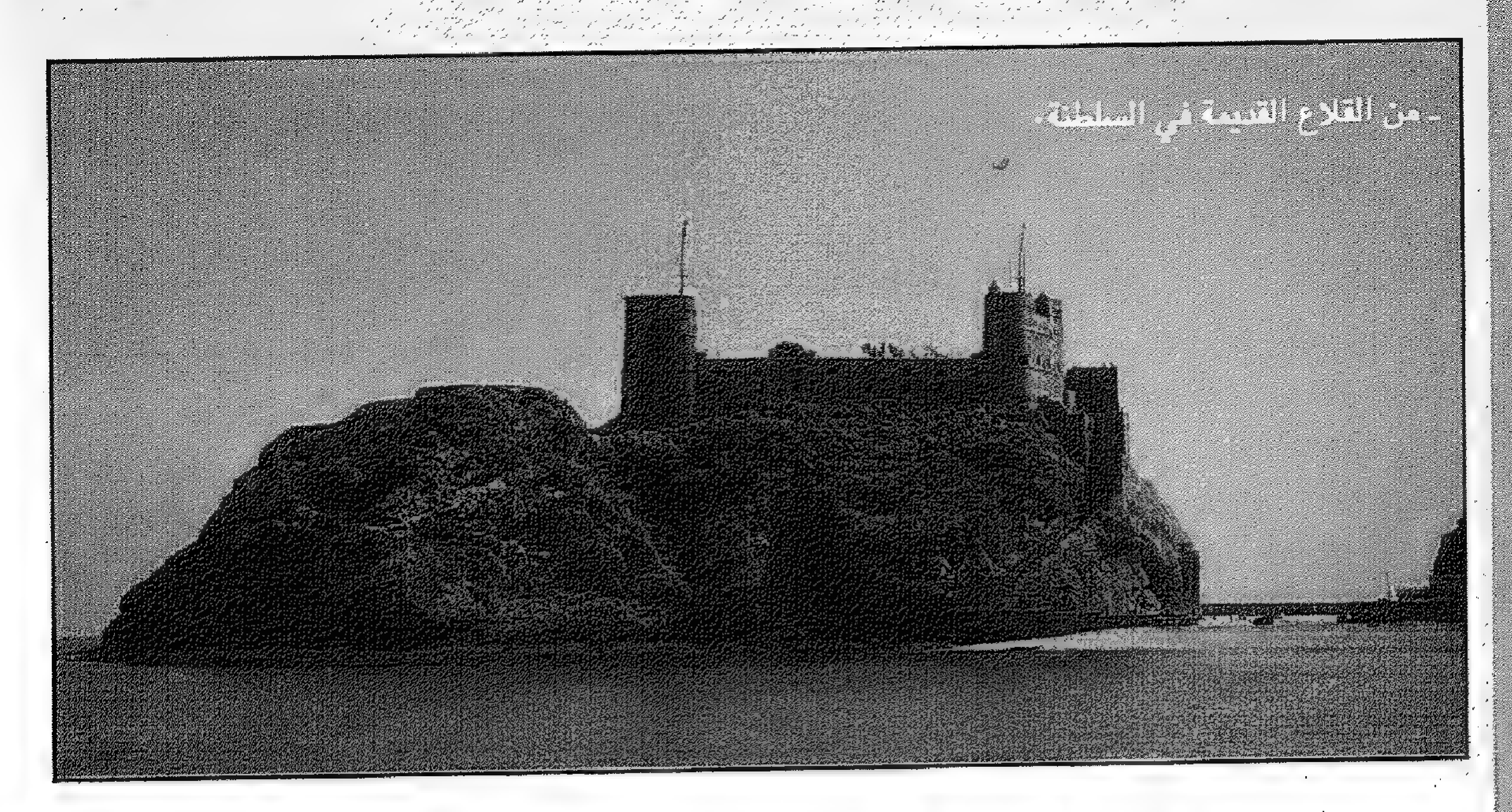
(٧، ٨، ٩، ١٠) نفس المصدر ص ١٩٥، ص ١٩٥، ص ١٩٥، ص ١٦٨/١٦٩.

(١١) روبين هود وعيد ميلاد الأرنب اسكيبي دار المعارف للطباعة.

(١٢) تورمان دار السلام للنشر ، مدينة نصر.

(١٣) دونالد الكسول شركة رشاد برس لبنان.

(١٤) الحمامة والنملة مكتبة الحياة بيروت.


ـ من القلاع القديمة في السلطنة.

حضارة سلطنة عُمان في كتابات الجغ

شهدت سلطنة عمان حضارات عديدة متتالية منذ عصور ما قبل الاسلام، كما التقت على ارضها عدة حضارات بحكم موقعها الجغرافي الفريد مثل حضارة الشرق القديم في الصين والهند وبلاد ما بين النهرين، فضلا عن الصلات مع حضارات شرق البحر المتوسط ووادي النيل وشمال افريقيا.

كان لعمان أهميتها البالغة في مجال التجارة بحكم موقعها[١] الجغرافي الهام

بقلم: د. عبدالله كامل موسى عبده
قسم الآثار الإسلامية ـ كلية الآداب بقنا ـ مصر

بالنسبة لطرق التجارة القديمة بين العالم ككل، حيث تسيطر على أقدم وأهم الطرق التجارية والبحرية في العالم، وهو الطريق البحرى بين الخليج العربي والمحيط الهندي، ومن هذا الموقع ايضا اتصلت طرق القوافل عبر شبه الجزيرة العربية لتربط ما بين غربها وشرقها وشمالها وجنوبها، وقد لعب هذا الموقع دورا هاما في النواحي الفنية في التأثر والتأثير بين الفن في عمان وبين الفنون الاخرى القديمة والاسلامية، كما كان لهذا الموقع اثره على الجانب الآخر، فيما تعرضت له عبر تاريخها الطويل من مطامع وغزوات وتيارات داخلية كثيرة[٢].

- شكل (١) خريطة لعمان عن وزارة الاعلام العمانية (عمان ٩٥).

وقد ازدهرت صحار[٣] حاضرة عمان قبل الاسلام وبعده ازدهارا عظيما، فقد كانت احدى اسواق العرب السنوية قبل الاسلام، كما كانت مركزا هاما لنسج الثياب الصحارية، وقد انتشرت هذه الثياب في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي، وكانت تنتج بكميات كبيرة وتصدر الى عدة بلاد منها الحجاز، فقد أورد الواقدى ما نصه «وخرج رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من المدينة يوم الاثنين لهلال ذى القعدة، فاغتسل في بيته ولبس ثوبين من نسج صحار»[٤]، كما اورد ايضا في المغازي وكذلك ابن سعد في الطبقات عند ذكرهما سعد بن معاذ ما نصه «ثم كفن في ثلاثة اثواب صحارية»[٥]، وفي موضع آخر قال ابن سعد «ان النبي [صلى الله عليه وسلم] كفن في ثلاثة اثواب، ثوبين صحاريين وثوب حبرة»[٦].

والواقع ان رحلات الرحالة وكتب الجغرافيين قد افادت عمان افادة كبيرة خلال العصور الوسطى نظرا لما سجله اصحابها عن حضارتها الاسلامية، حيث كان لهذه الرحلات وما ورد في كتب الجغرافيين دور هام وبارز في كشف العديد من أوجه الحياة في عمان جغرافيا، وتاريخيا، ودينيا، وثقافيا، وعمرانيا، وفنيا، حيث توافد عليها في اوقات مختلفة رحالة وجغرافيون سجلوا عنها كل ما عاينوه في كافة نواحى الحياة، فيحدثنا الاصطخرى في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي عن عمان ونخيلها وفواكهها فيقول «وعمان مستقلة بأهلها، وهى كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك»[٧]، وقد امدنا الاصطخرى بمعلومات غاية في الاهمية عن صحار، حيث وصف لنا موقعها ومتاجرها وثراءها وعمارتها فذكر ما نصه «وقصبتها صحار وهى



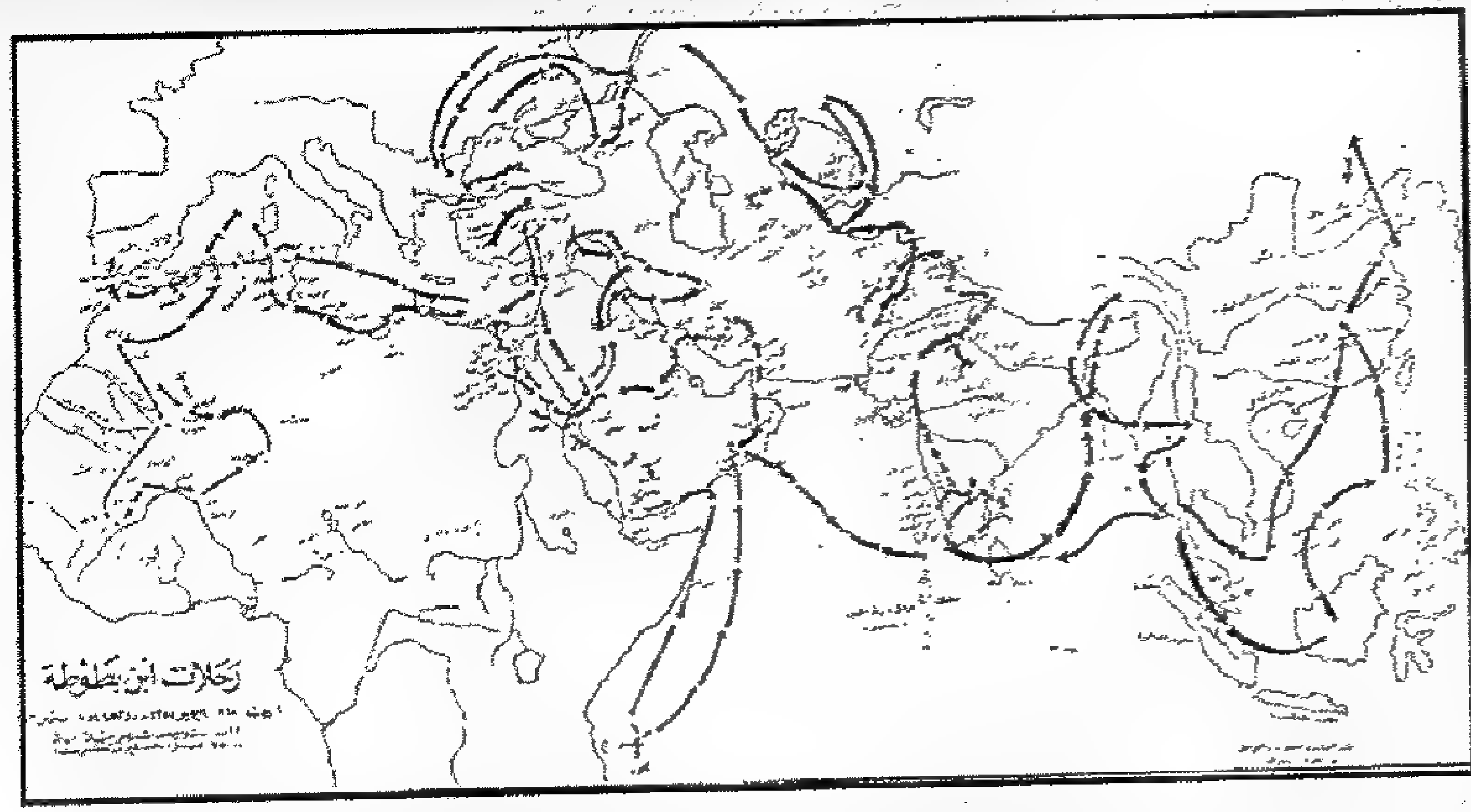
Rabia 1-2, 1420 H -- July -- Aug , 1999 C

على البحر، وبها متاجر البحر، وقصد المراكب، وهى أعمر مدينة بعمان واكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار»[٨].

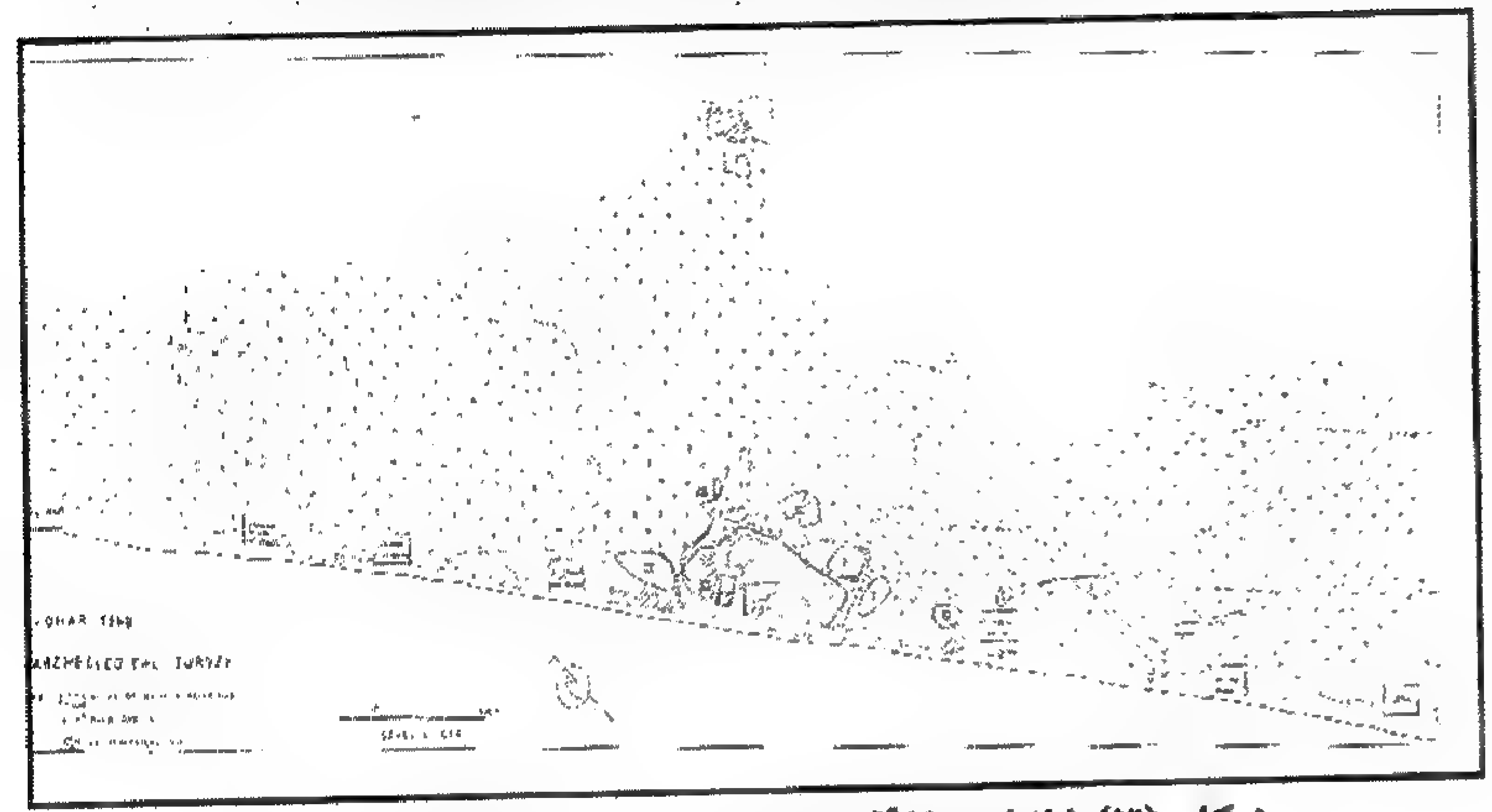
وقد أمدنا الاصطخرى بالفكر الاسلامى الغالب في عمان، كما أمدنا بمعلومات تاريخية هامة تتناول فتح عمان للخليفة العباسى المعتضد.

وتنتمي سلطنة عمان الى المناطق الحارة الجافة، وفي ذلك يذكر الاصطخرى ما نصه «وعمان بلاد حارة جدا، ويلغنى ان بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق، ولم أر احدا شاهد ذلك الا بالابلاغ»[٩].

ويتطابق ما اورده ابن حوقل[١٠] في صورة الارض في بداية النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي مع ما اورده الاصطخرى.



- شكل (٢) صحار عن Kervran.



- شكل (٣) المواقع الأثرية في صحار عن: Kervran.

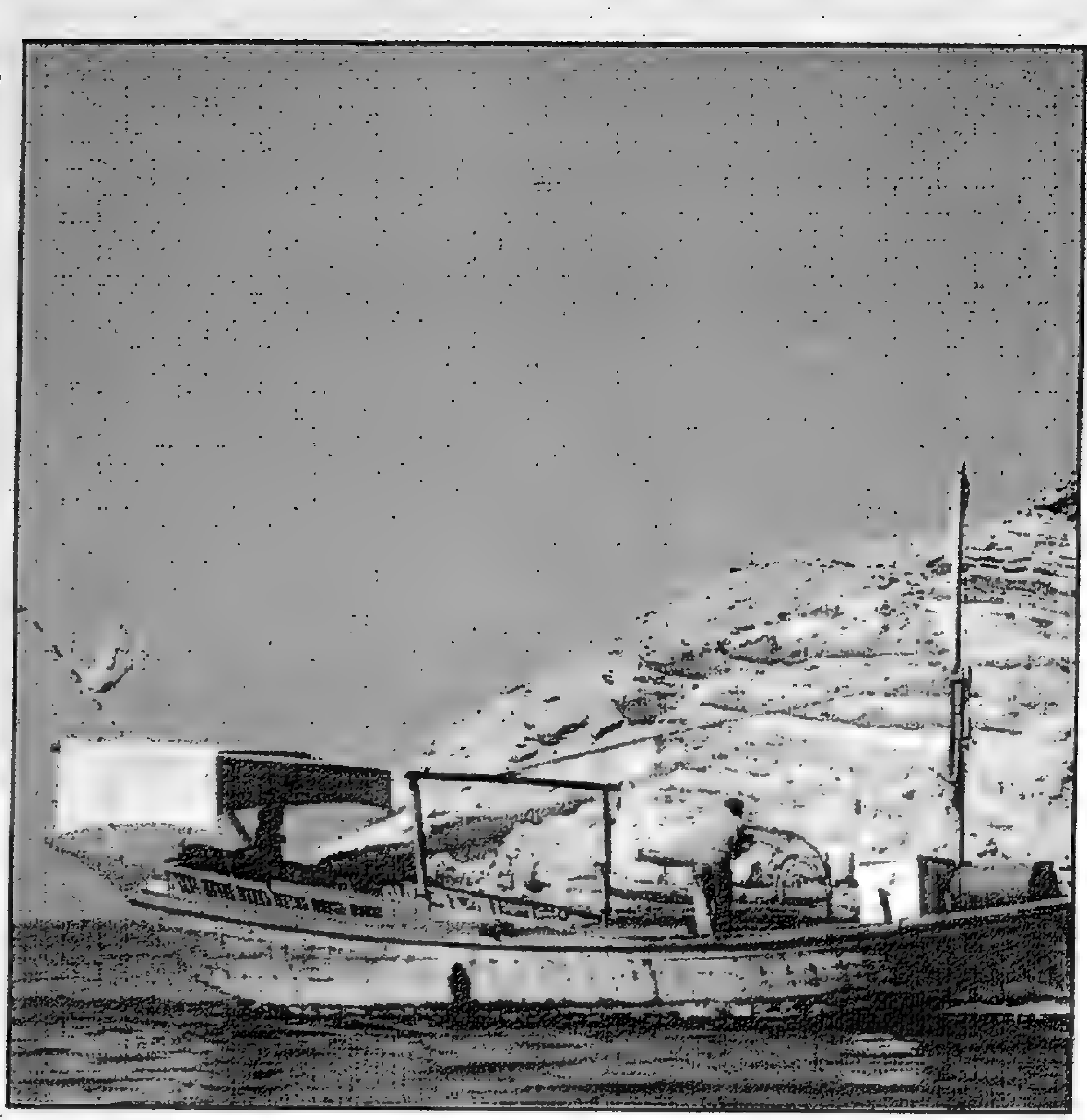
ويحدثنا المقدسي في الربع الاخير من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي عن عمان مساحتها ونخيلها وبساتينها ومائها فيذكر ما نصه «وعمان كورة جليلة تكون ثمانين فرسخا في مثلها كلها نخيل وبساتين عامة سقياهم من آبار قريبة ينزعها البقر اكثرها في الجبال[١١]. كما امدنا المقدسي بالفكر الدينى السائد في البلاد.

وقد امدنا المقدسي بوصف رائع لحاضرة عمان مدينة صحار فتحدث عن اهميتها وعمارتها وحسنها وخيراتها بما نصه «صحار هي قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه عامر، آهل، حسن، طيب، نزه، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات»[١٢].

ويتضح مما اورده المقدسي ان صحار بلغت درجة عظيمة من الرقى والازدهار بحيث فاقت زبيد وصنعاء، فقد قال عنها «اسرى من زبيد وصنعاء اسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر»[١٣]، ولكى نتبين مدى ما وصلت إليه صحار من رقى وازدهار نذكر ما اورده المقدسى عن زبيد وصنعاء، فقد قال عن زبيد «زبيد قصبة تهامة وهو أحد المصرين لانه مستقر ملوك اليمن، بلد جليل حسن البنيان يسمونه بغداد اليمن لهم ادنى ظرف وبه تجار وكبار وعلماء وأدباء مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه آبارهم حلوة وحماماتهم نظيفة عليه حصد من الطين باربعة ابواب... وحولها قرى ومزارع»[١٤].

كما أورد عن صنعاء ما نصه «صنعاء هى قصبة نجد اليمن وقد كانت اجل من زبيد واعمر ... بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هيئة وعقلا ثم بلد رحب كثير الفواكه رخيص الاسعار اخبار حسنة وتجارات مفيدة اكبر من زبيد ولا تسئل عن طيب الهواء فانه عجب»[١٥].

وترد اول اشارة للعمارة الدينية الاسلامية في عمان على لسان المقدسي، حيث ذكر جامع صحار وموقعه من المدينة والاسواق ومحرابه فقال «والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق ولهم آبار عذيبية وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومفوثة اليمن قد غلب عليها الفرس، المصلى وسط النخيل، ومسجد صحار على نصف فرسخ ثم بركت ناقة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد بنى احسن بناء وهواؤه اطيب هواء من القصبة ومحراب الجامع بلولب يدور تراه مرة اصفر وكرة اخضر وحينا أحمر»[١٩].



- السلطنة حاضرة البحر.

واغلب الظن ان منارة الجامع من خلال موقعها وارتفاعها كانت تؤدى وظيفة ابراج المراقبة وارسال الاشارات في اوقات الخطر انذارا باقتراب ما يهدد سلامة المدينة، وهداية من ضل بهم السبيل، حيث ان من وظائف المئذنة أو المنارة اضافة للأذان ارسال الاشارات والمراقبة والهداية، كما هو الحال في رباطي سوسة والمناستير.

ويدل وصف المقدسي لمحراب الجامع انه كان يزدان بزخارف زجاجية بديعة جاء تصميمها من ثلاثة خطوط تباينت الوانها بين الاصفر والاخضر والاحمر في تكوين زخرفي هندسي رائع.

ويتضح مما ورد على لسان المقدسي من وصف لجامع صحار ودورها ان العمائر الاسلامية في عمان الدينية والمدنية قد شهدت تطورا كبيرا خلال القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي، حيث انه من المرجح

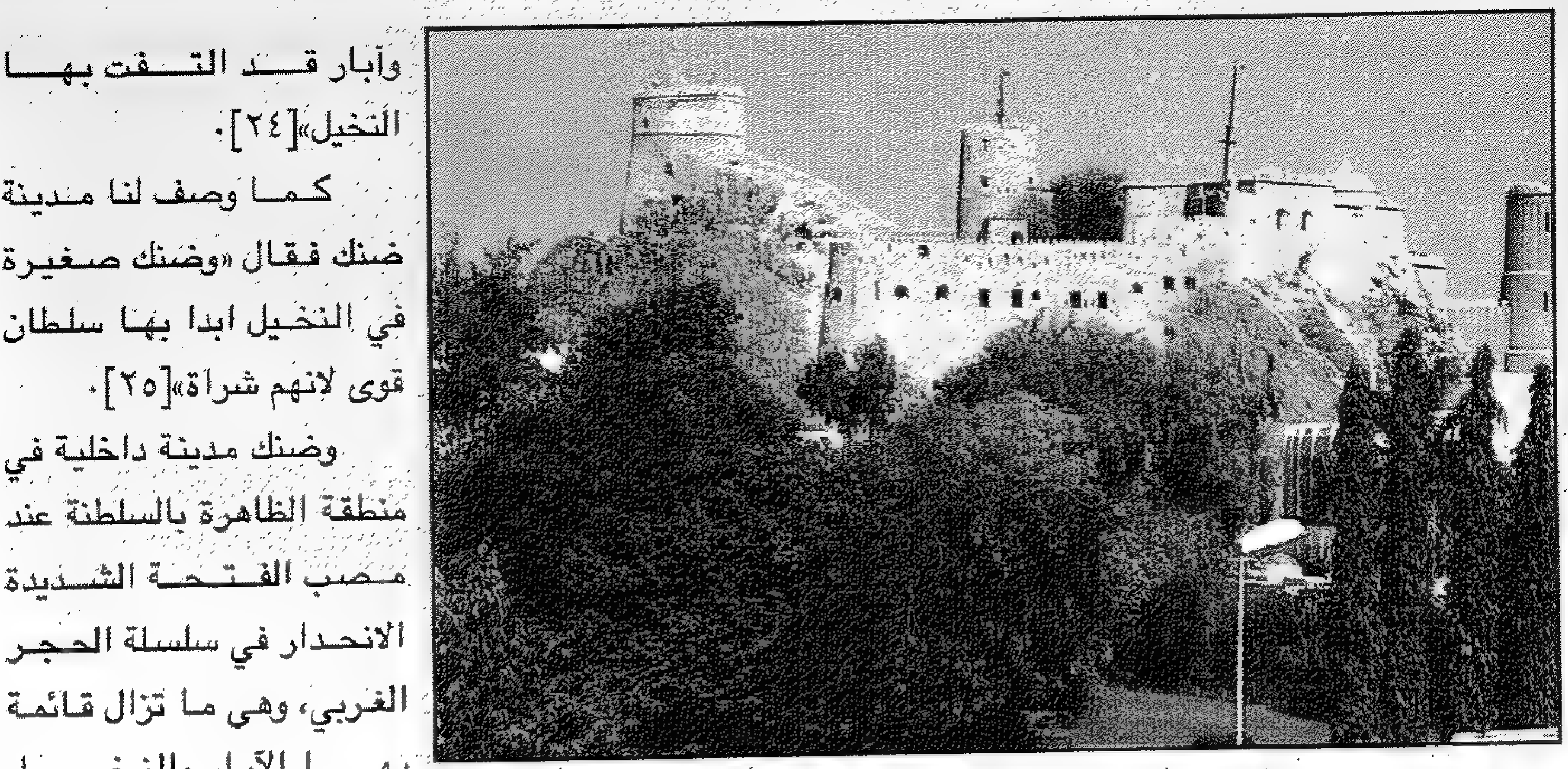
وقد امدنا المقدسي بمعلومات هامة عن العمارة السكنية في صحار، ومادة البناء التى تستخدم في تشييدها وتميزها بالارتفاع الشاهق، مما يدل على انها كانت تتكون من عدة ادوار، حيث قال «دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة»[١٦] ودور وقصور صحار كما وصفها المقدسي تبين انها كانت عمائر استحكامية في غالبها فهى اقرب الى الاستحكامات الحربية[١٧] منها الى العمارة السكنية العادية، وقد يكون لوقوعها على البحر اكبر الأثر في ذلك.

اما فيما يتعلق بخشب الساج فانه يعد من اهم الاخشاب التى استخدمت بكثرة في الحضارة الاسلامية، وكان يجلب من الهند والسند والزنج، حيث تفتقر عمان وبقية البلاد العربية انتاج عدة انواع من الاخشاب مثل الساج، والابنوس، والخيزران، والصندل، والنارجيل[١٨].

وآبار قد التفت بها النخيل»[٢٤].

كما وصف لنا مدينة ضنك فقال «وضنك صغيرة في النخيل ابدا بها سلطان قوى لانهم شراة»[٢٥].

وضنك مدينة داخلية في منطقة الظاهرة بالسلطنة عند مصب الفتحة الشديدة الانحدار في سلسلة الحجر الغربي، وهى ما تزال قائمة بها الآبار والنخيل والبساتين.



- قلعة الميراني.

انها مرت بعدة مراحل من التطور منذ نشأتها خلال عصر الرسول [صلى الله عليه وسلم]، وهو التطور الذى ارتبط ارتباطا وثيقا بتطور العمارة الاسلامية في العالم الاسلامى عامة والمدينة المنورة[٢٠] وبلاد الشام[٢١] خاصة في عهد الخلفاء الراشدين بدءا من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك العهد الذى يمثل في اعتقادى مرحلة انتقالية للعمارة الاسلامية انتقلت فيها العمارة من دور التأسيس والبساطة إلى مظهر الفخامة، ومرورا بالعصرين الاموى والعباسي.

وقد زار المقدسي العديد من المدن العمانية فذكر لنا نزوة وموقعها ومادة البناء الرئيسية التى يستخدمها العمانيون في بناء عمائرهم بها، حيث قال «ونزوة في حد الجبال كبيرة بنيانهم طين[٢٢]، كما ذكر جامع نزوة وموقعه من المدينة ومصادر المياه فيها فقال «والجامع وسط السوق ... شربهم من انهار وآبار»[٢٣].

وتتميز مدينة السر التى ذكرها المقدسي بوجود النخيل الا أن مساحتها اقل من نزوة، ويقع جامعها في السوق، وتتفق هذه المدينة ومدينة نزوة في أن شرب اهلها من الانهار والابار، حيث قال المقدسي «والسر أصغر من نزوة والجامع في السوق مشربهم من انهار

ومن المدن التى وصفها المقدسى حضيت التى ذكر جامعها وموقعه من المدينة فقال «وحضيت كثيرة النخيل من نحو هجر الجامع في الاسواق»[٢٦]، كما وصف لنا مدينة سلوت فقال «وسلوت مدينة كبيرة على يسار نزوة»[٢٧].

كما ذكر لنا مدينة دبا ومدينة جلفار فقال «وهما من نحو هجر قريبتان من البحر»[٢٨]، ومدينة دبا ميناء على خليج عمان كان يسكنها من ازد عمان العتيك بن الازد.

ومن المدن التى ذكرها المقدسي مدينة سمد التى تقع على الجانب الايسر لوادى سعد في الحجر الشرقى في عمان، وهى واحة تتوفر فيها المياه والمزارع قال عنها المقدسي «وسمد منبر لنزوة»[٢٩]، ويدل وصف المقدسى لها على انها كانت مركزاً إداريا، وهى قائمة محتفظة باسمها القديم الى الآن.

وقد ذكر لنا المقدسى من مدن عمان لسيا، وملح، وبرغم، والقلعة وضنكان[٣٠]، كما وصف لنا مدينة مسقط، وقد حرص على أن يذكر انه رآها فقال «والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية ورأيته موضعا حسنا كثير الفواكه»[٣١] ومسقط مدينة تقع على مدخل الخليج تحيطها جبال شاهقة فتأمن السفن فيها من اخطار العواصف واضطرابات البحر، مما

جعلها ميناءً طبيعيا ممتازا، وكانت مسقط من اكثر الموانيء التى اجتذبت العمانيين لركوب البحر.

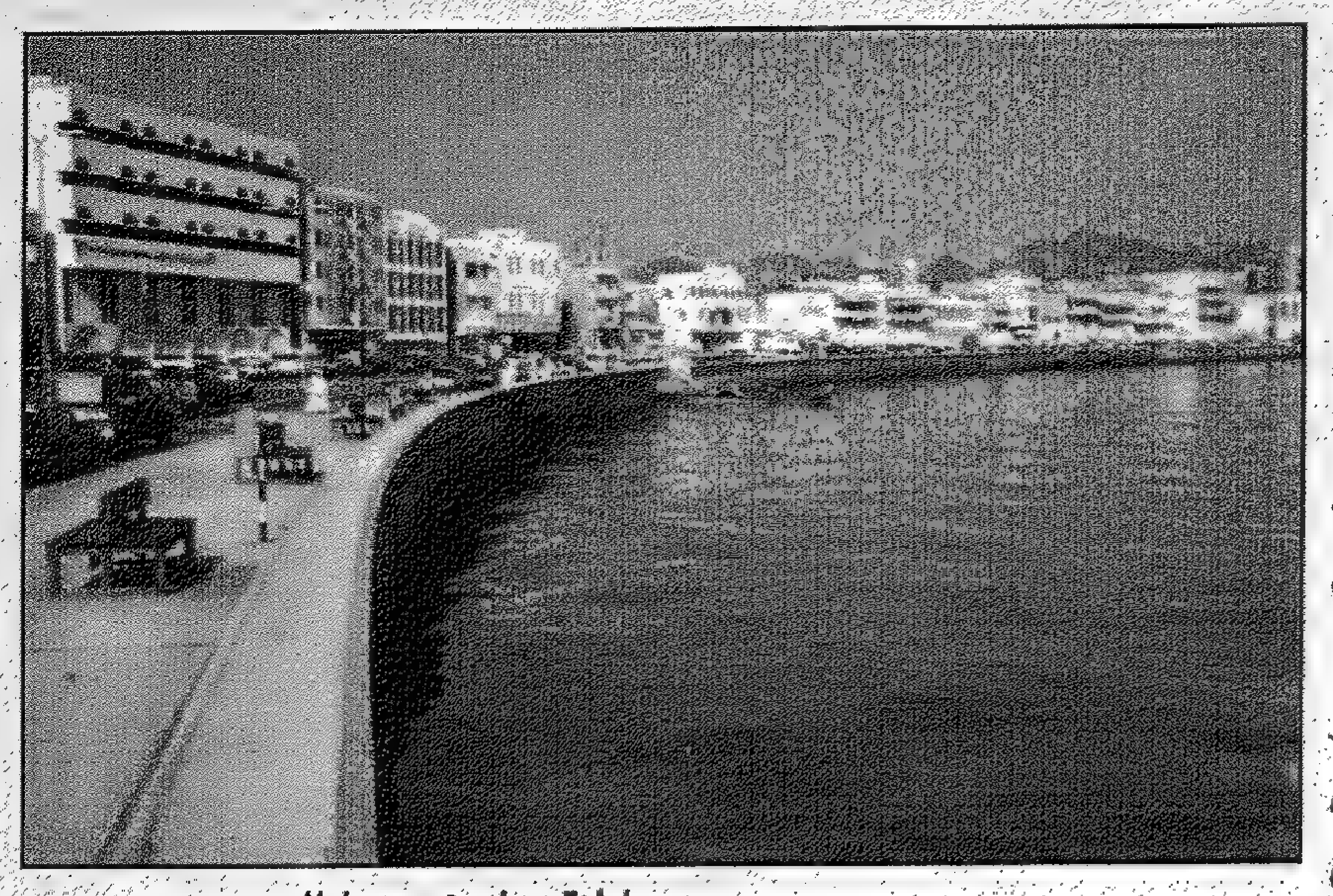
وكانت آخر المدن التى ذكرها المقدسى هى مدينة توأم، حيث قال، وتوأم قد غلب عليها قوم من قريش فيهم بأس وشدة»[٣٢].

وقد اورد ناصر خسرو في النصف الاول من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى عند ذكره الحسا عمان فقال «واذا سار المسافر... يبلغ عمان، وهى بلاد العرب، وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها»[٣٣]، وفي ايجاز شديد ذكر ناصر خسرو عمان مساحتها ومناخها وخشب النارجيل بها فقال «ولاية عمان ثمانون فرسخا في مثلها وهى حارة الجو، ويكثر بها الجوز الهندى المسمى نارجيل»[٣٤].

وقد ذكر البكرى في الممالك والمسالك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى حاضرة عمان مدينة صحار، حيث اورد ما نصه «وصحار سوق عمان»[٣٥]، وفى موضع آخر ذكرها عند ذكره بلاد عمان فقال «ومنها مدينة صحار وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر مقدارها فرسخ في فرسخ، ومياهها من الآبار»[٣٦].

وقد ذكر البكرى من مدن عمان مدينة نزوة، حيث قال «نزوة اعظم مدن عمان»[٣٧]، كما ذكر لنا مدينة مسقط فقال «مسقط وهو مجتمع المراكب التى تخرج من صحار»[٣٨]، كذلك ذكر البكرى من مدن عمان اضافة لما تقدم مدينة ترون، مدينة صحم، مدينة يتجر، وقد وصف لنا مدينة صحم فقال «وهو ايضا في الجبل ماؤها من العيون بها نخل كثير وقصب السكر وبها اشجار يقال لها طلوق»[٣٩].

ويحدثنا الادريسى عن عمان في القرن السادس



- سلطنة عمان في زيها الحديث.

الهجرى/ الثاني عشر الميلادي عمرانها ونواكهها فيقول «وتتصل بارض مهرة بلاد عمان وهى مجاورة لها في جهة الشمال وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها وهى كثيرة النخيل والفواكهه الجرمية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك»[٤٠].

ويذكر لنا من بلاد عمان مدينتين لم يرد ذكرهما في احسن التقاسيم هما صور وقلهات، وهما مدينتان عامرتان، يصطاد بهما اللؤلؤ، فقد اورد ما نصه «ومن بلاد عمان مدينتان صور وقلهات وهما على ضفة البحر الملح الفارسي، وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان وشربهما من الآبار ويصطاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلا وبين صور وقلهات مرحلة كبيرة في البر وفي البحر دون ذلك»[٤١].

وصور مدينة ساحلية، وهى الآن ميناء منطقة جعلان ومعظم المنطقة الشرقية من عمان، وبها تصنع السفن، اما مدينة قلهات فقد سكنها من ازد عمان مالك بن فهم بن اوس، ويدل ما اورده الادريسي عنها انها قد ازدهرت في القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادى، فهى ميناء يقع على مدخل الخليج العمانى متميزا بموقع حصين، وقد جاء ازدهار قلهات في فترة لاحقة لعهد الادريسى بعد تدهور حاضرة عمان مدينة صحار.

وقد وصف لنا الادريسي قرية دما التى بها مغاص اللؤلؤ، وهى قرية لم يرد ذكرها في احسن التقاسيم فذكر ما نصه «ومن قلهات على الساحل الى مدينة صحار مائتا ميل ويقرب منها على الساحل قرية دما وهى قرية يكون في الشتاء عامرها قليل ومعايشها كاسدة وتصرف اهلها قليل، واما في الصيف فانها تكون كالمدينة العامرة لأن بها مغاص اللؤلؤ الجيد جدا وهى مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج بها»[٤٢].

كما امدنا بوصف رائع لحاضرة عمان مدينة صحار فذكر موقعها وثراءها ووفود التجار عليها فقال «ومن مسقط الى صحار وهما مدينتا عمان اربع مائة وخمسون ميلا لا ساكن بها ومدينة صحار على ضفة البحر الفارسى وهى اقدم مدن عمان واكثرها أموالا قديما وحديثا ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد مالا يحصى عددهم واليها يجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بانواع التجارات»[٤٣].

كما اعطانا الادريسي وصفا رائعا لثراء اهل صحار ونخيلها وفواكهها فقال «واحوال اهلها واسعة ومتاجرهم مربحة وبها نخل كثير ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين فانقطع ذلك»[٤٤].

وذكر الادريسي قريتين بمدينة نزوة لم يرد ذكرهما في احسن التقاسيم وهما سعال والعقر، حيث ورد ما نصه «ويقابل صحار في البرية على مسير يومين بلدان متصلان بينهما واد يسمى وادى الفلج واسم احد البلدين سعال والآخر العفر وهما مدينتان صغيرتان عامرتان بهما نخل كثير ومزارع وحدائق نخل وتمر وهما متقاربتان في القدر وشربهما من نهر الفلج وتسمى الارض التى هما فيها نزوة»[٤٥].

ومن المدن التى ذكرها الادريسى وتتصل بهاتين المدينتين ولم يرد ذكرها في احسن التقاسيم مدينة منح، حيث اورد ما نصه «وهى مدينة صغيرة في اسفل جبل يسمى شرم بها نخيل وعيون ماء، وهى على ضفة نهر الفلج ومن منح لى سر عمان مرحلتان»[٤٦].

وقد وصف لنا الادريسي نهر الفلج فقال «وهو نهر كبير عليه قرى وعمارات متصلة الى ان يصب في البحر بمقربة قرية جلفارة»[٤٧].

اما فيما يتعلق بحدود عمان ومناخها فقد قال «وفيما يقال ان حدود بلاد عمان دورا تكون تسع مائة ميل وهى بالجملة بلاد حارة ويذكر بأن جبل شرم ينزل باعلاه ثلج قليل»[٤٨].

ويحدثنا ياقوت الحموى عن نزوة في القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى فيقول «يعمل فيها صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل فى شيء من بلاد العرب مثلها ومآذر من ذلك الصنف يبالغ في اثمانها رأيت منها واستحسنتها»[٤٩]، وهو الأمر الذى يتضح في ضوئه أن نزوة كانت مركزا هاما لنسج الثياب.

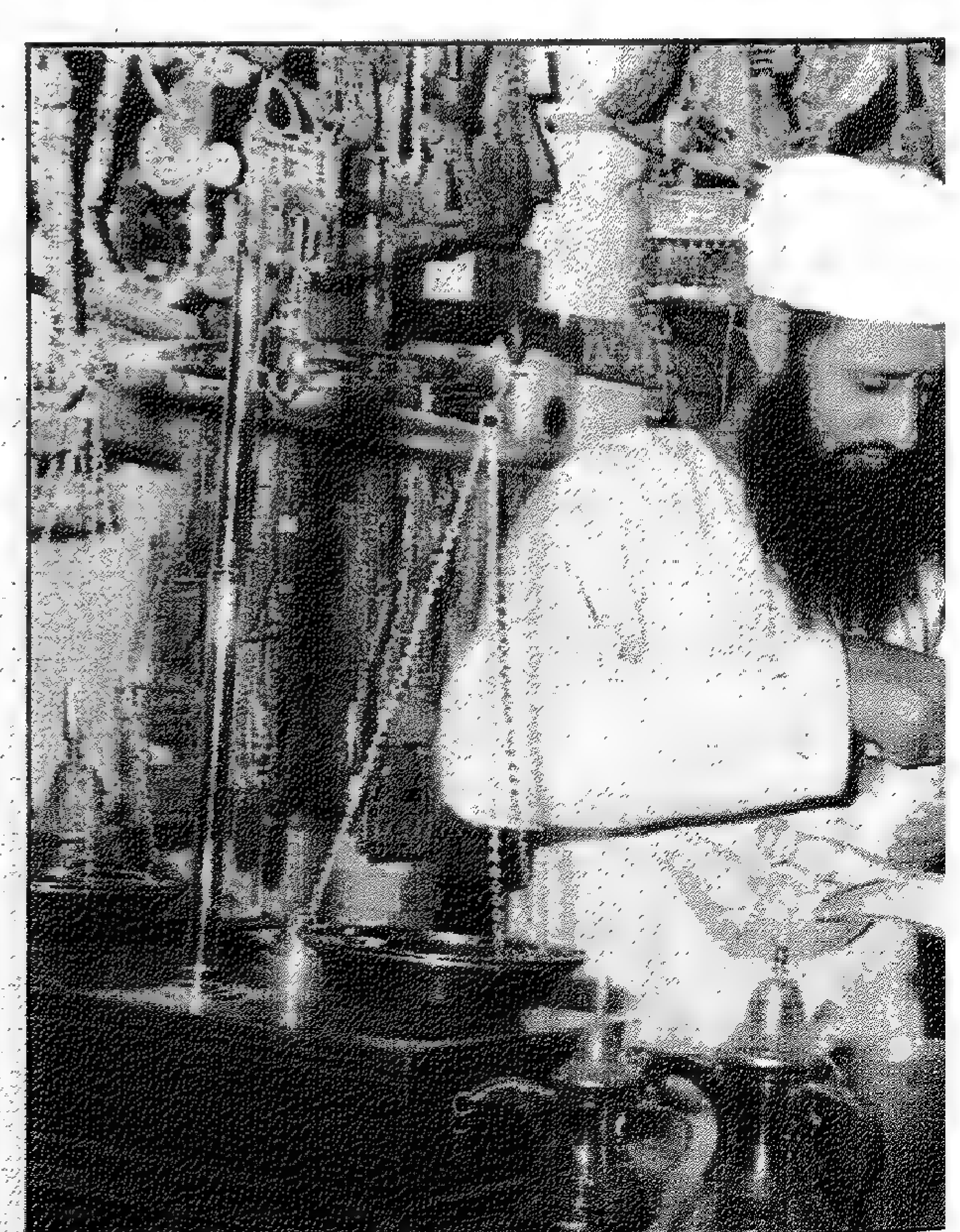
وقد وصف لنا ياقوت من مدن عمان مدينة صحار، حيث قال «وقصبة عمان صحار»[٥٠]، وفي موضع آخر ذكر ازدهار كافة احوالها ومادة البناء المستخدمة في تشييد عمائرها فقال «وصحار مدينة


من الصناعات التقليدية في عُمان

طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج ليس في تلك النواحي مثلها»[٥١].

وقد وصف لنا ياقوت مدينة دبا فقال «سوق من اسواق العرب بعمان»[٥٢]، كما ذكر جلفار فقال «بلد بعمان عامر كثير الغنم والجبن والسمن يجلب منها الى ما يجاورها من البلدان»[٥٣].

وذكر ياقوت لنا من مدن عمان مدينة مسقط[٥٤] فقال «ومسقط ايضا مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر»، وقد كان يحيط بمدينة مسقط منذ العصور الوسطى اسوار وكتل كبيرة من الصخور الطبيعية، الا أن تلك الاسوار قد تهدمت فاعيد بناؤها على ما هي عليه الآن فيما بين عامي ١٠٣٣ - ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٣ - ١٦٢٦م، وتعد هذه الاسوار بمثابة خط الدفاع لتحصين المدينة، وتحيط اسوار مسقط بالجانبين الغربي والجنوبي، اما الجانب الشمالي والشرقي فهما على خليج مسقط والجبال الشرقية[٥٥].



وقد ذكر ياقوت من مدن عمان مدينة نبعة[٥٦]، ومدينة سمائم[٥٧]، ومدينة قلهات التى قال عنها «وهى مدينة بعمان على ساحل البحر اليها ترفأ سفن الهند وهي الآن فرضة تلك البلاد وامثل اعمال عمان عامرة اهلة وليست بالقديمة في العمارة ولا اظنها تمصرت الا بعد الخمسمائة»[٥٨].

وقد ذكر ياقوت الحموى من مدن عمان مدينة شبا[٥٩]، ومدينة خورفكان[٦٠].

ويحدثنا الرحالة ابن بطوطة عن عمان في النصف الاول وبداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى فيذكر «ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهى خصبة ذات انهار واشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس»[٦١].

وقد أمدنا ابن بطوطة بمعلومات غاية في الاهمية عن حاضرة عمان في عهده، وهى مدينة نزوى فوصف لنا موقعها وبساتينها وانهارها واسواقها، حيث قال «ووصلنا الى قاعدة هذه البلاد، وهى مدينة نزوا، مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والانهار، ولها اسواق حسنة»[٦٢]، كما اشار الى ازدهار العمارة الدينية في نزوا، حيث قال «ومساجد معظمة نقية»[٦٣].

وقد ذكر لنا أن صحون المساجد في نزوا كانت تستخدم لتناول الطعام، حيث انها عادة عند اهل نزوا فقال «وعادة اهلها انهم يأكلون في صحون المساجد، يأتى كل انسان بما عنده ويجتمعون للأكل في صحن المسجد، ويأتى معهم الوارد والصادر»[٦٤].

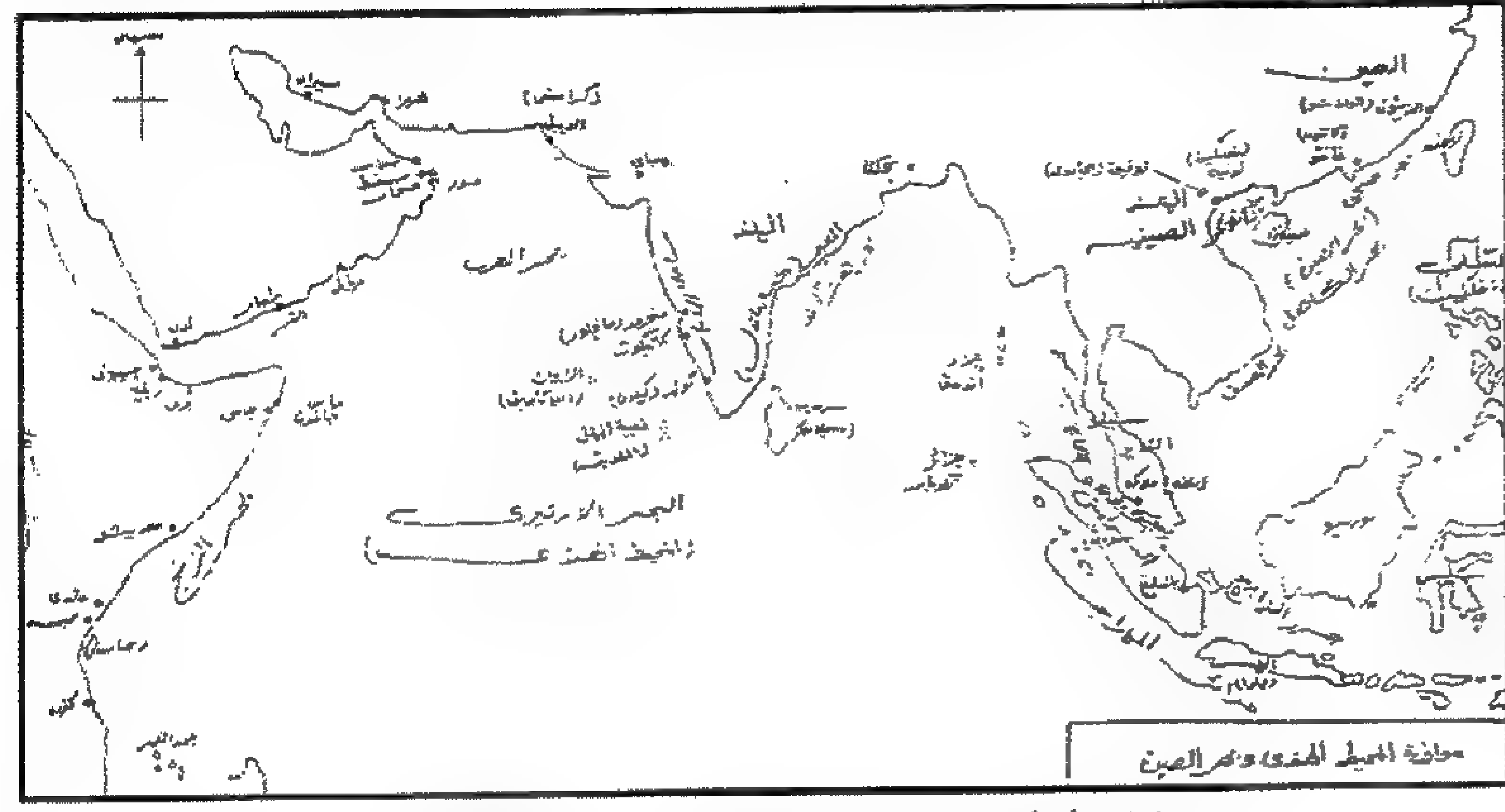
وقد اورد ابن بطوطة عدة مدن عمانية، حيث ذكر مدينة زكى، وقد حرص على ذكر انه لم يرها حيث قال «من مدن عمان مدينة زكى لم ادخلها وهى على ما ذكر لى مدينة عظيمة»[٦٥].

كما ذكر لنا من مدن عمان القريات، وشبا، وكلبا، وخورفكان، وصحار وقال عنها «وكلها ذات انهار وحدائق واشجار ونخل واكثر هذه البلاد في عمالة هرمز»[٦٦]، كما اورد ابن بطوطة منذ رحيله من ظفار الى وصوله عمان عدة مدن عمانية منها مسقط التى

قال عنها «وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس»[٦٧]، ثم ذكر مرسى القريات، ومرسى شبة، ومرسى كلبة، وقلهات.

والواقع ان العمانيين ساهموا من خلال نشاطهم التجارى والبحرى الكبير بدور بارز في نشر الاسلام والحضارة الاسلامية في الموانيء الاسيوية الهندية والصينية، وفي كثير من مناطق الساحل الشرقي لافريقيا ومناطق وسط افريقيا، وقد لاحظ ابن بطوطة وجود عرب من العمانيين على سواحل الهند يتولون مناصب هامة، فقد اورد ما نصه «فندرينا مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين واسواق، وبها للمسلمين ثلاث محلات، وفي كل محلة مسجد والجامع بها على الساحل، وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر، وقاضيها وخطيبها رجل من اهل عمان، وله اخ فاضل، وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين، ثم سافرنا منها الى مدينة قالقوط، وهى أحد البنادر العظام ببلاد المالبيار ويقصدها اهل الصين والجاوة وسيلان والمهل، واهل اليمن وفارس، ويجتمع بها تجار الافاق، ومرساها من اعظم مراسى الدنيا»[٦٨].

ـ شكل (٤) رحلات ابن بطوطة عن د. حسين مؤنس.



ـ شكل (٥) موانيء عمان عن د. شوقي عثمان.

الهوامش والتعليقات:

(١) د. عبد الرحمن عبد الكريم العاني: عمان في العصور الاسلامية الاولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الاسلامية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٤ ـ ٣١، د. عائشة على السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقية من ١٦٢٤ ـ ١٧٤١م، مخطوط رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٩٧٣م، ص ٨. وزارة الاعلام: عمان (٩٥)، سلطنة عمان، مسقط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٥ ـ ٦٠.

(٢) د. شوقى عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الاسلامية (٤١ ـ ٩٠٤هـ/ ٦٦١ ـ ١٤٩٨م) سلسلة عالم المعرفة، ١٥١، الكويت، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ يوليو ـ تموز ١٩٩٠م، ص ١٧٦، وزارة الاعلام: عمان (٩٤)، سلطنة عمان، مسقط ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) كانت صحار مركزا تجاريا هاما قبل الاسلام، حيث كان بها تجارات واسعة تجلب الى مختلف اقطار الجزيرة العربية، يجتمع في سوقها تجار الحبشة والهند والصين وفارس، وهى اليوم من اهم مدن ولايات منطقة الباطنة.

سعيد الافغاني: اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٥٦هـ/ ١٩٢٧م، ص ١٨٢ ـ ١٩٠، ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

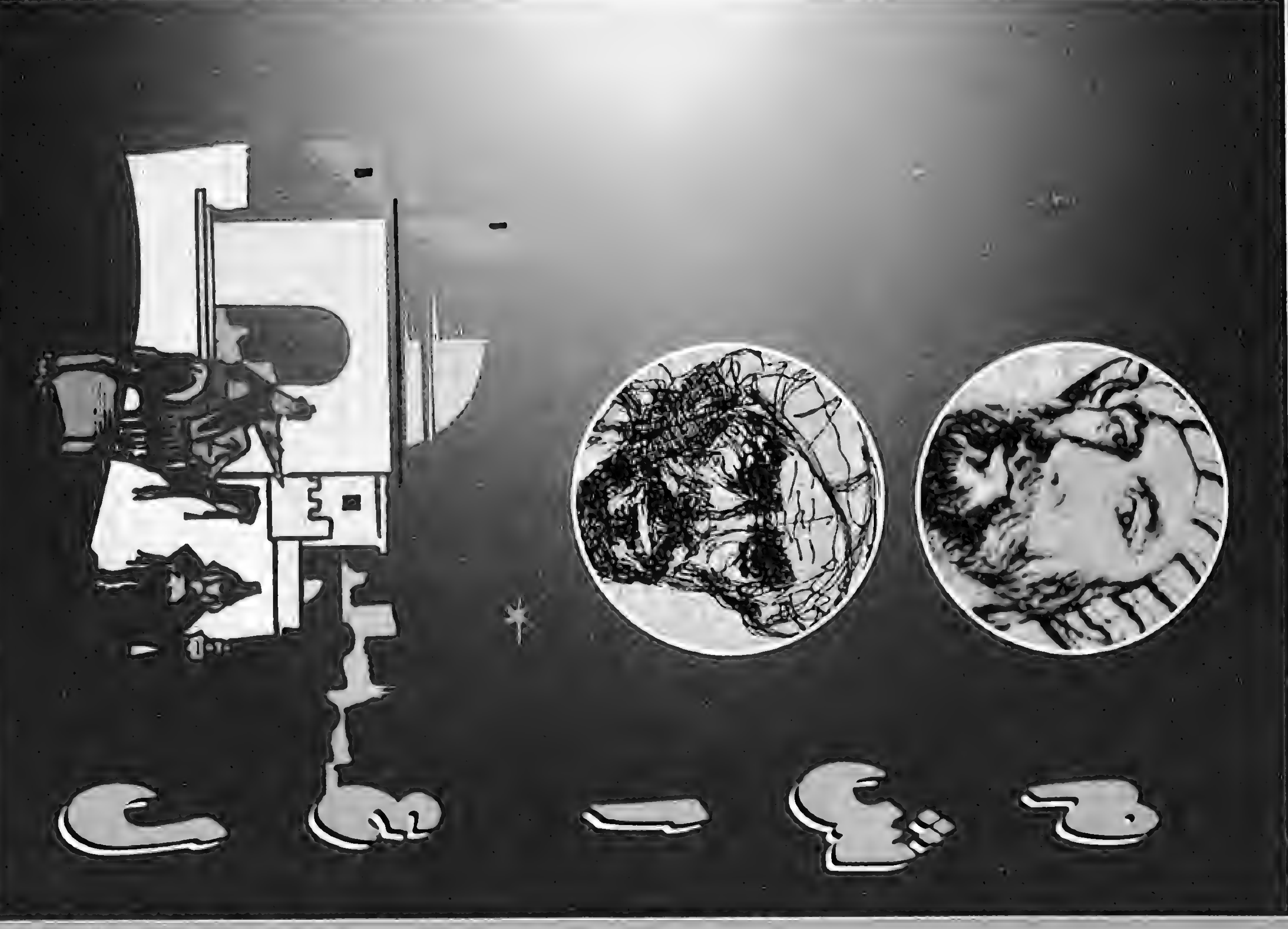
DAvid Nicolle: Ar ms Manufacture and the Arms Trade in South Eastern Arabia in the Early Muslim Period (The Journal of oman studies), Vol.6, Part.2, The Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1983, P.236.

(٤) الواقدى (محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ: المغازى، تحقيق

د. مارسدن جونس، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٥م، ص ٥٧٣.
(٥) الواقدي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٢٧، ابن سعد (محمد) ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م: "الطبقات الكبرى، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، مج٣ ، ص ٤٣٢.
(٦) ابن سعد: المصدر السابق، مج٢، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.
(٧) الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١هـ/ ١٩٧١م، ص ٢٧.
(٨) المصدر نفسه ص ٢٧.
(٩) الاصطخري: المصدر السابق ص ٢٧.
(١٠) ابن حوقل: صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ق١، ص ٤٤ - ٤٥.
(١١) المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٩٣.
(١٢) نفسه ، ص ٩٢.
(١٣) نفسه ، ص ٩٢.
(١٤) نفسه، ص ٨٤ - ٨٥.
(١٥) نفسه ، ص ٨٦.
(١٦) نفسه، ص ٩٢. انظر عن دور صحار في القرن التاسع عشر.

M. Kervran, C.Le Cour - Grandmaison.M Soubeyran and A. Vialattede Pemille: Suhari Houses, (The Journal of OMan Studies) Vol.6, Part.2, P.307, Figutes I - 7.

(١٧) د. سعاد ماهر محمد: العمارة الاسلامية على مر العصور، دار البيان العربي، جـ٢، ص ٧٩١ - ٧٩٥.
(١٨) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، جـ ٢، ص ٩. د. عبد الرحمن عبد الكريم: المرجع السابق، ص ١٦٠ - ١٦٤.
(١٩) المقدسي: المصدر السابق، ص ٩٢ - ٩٣.
(٢٠) اغلب الظن انه في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه تكامل الشكل النهائي لتخطيط المسجد النبوى بالمدينة المنورة، ومن ثم فقد صار نموذجا اهتدى به المسلمون وساروا عليه في تخطيط المساجد في العالم الاسلامى كله من المشرق الى المغرب، فقد ازدهر المسجد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ازدهارا كبيرا د. فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الاسلامية (عصر الولاة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م، ص ٦٧ - ٦٨، د. عبد الله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكي - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الاسلامي، مخطوط رسالة دكتوراه كلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٤م، ص ٧٠ - ٧٣.
(٢١) يمكن القول ان العمارة الدينية في بلاد الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان قد شهدت هى الاخرى ازدهارا كبيرا، حيث رغب معاوية بن ابى سفيان خلال ولايته على الشام في عام ٢١هـ/٦٤١م في تطوير عمارة المساجد واخراجها من بساطتها الى مظهر الفخامة فاذن له الخليفة عثمان بن عفان.
محمد كرد علي: خطط الشام، المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥م، جـ ٦، ص ٤٥ - ٤٦.
(٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢) المقدسي: المصدر السابق، ص ٩٣.
(٣٣، ٣٤) ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة د. يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م، ص ١٦١.
(٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩) البكري: الممالك والمسالك، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية غير مرقم الصفحات.
(٤٠) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الاول ص ١٥٥.
(٤١) المصدر نفسه، مج ١، ص ١٥٥.
(٤٢، ٤٣) نفسه، مج ١، ص ١٥٦.
(٤٤، ٤٥) نفسه، مج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧.
(٤٦، ٤٧، ٤٨) نفسه، مج ١، ص ١٥٨.
(٤٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤ ، ص ٧٧٦.
(٥٠، ٥١) المصدر نفسه ، مج ٣، ص ٣٦٩.
(٥٢) نفسه، مج ٢، ص ٥٤٣ - ٥٤٤.
(٥٣) نفسه ، مج ٢، ص ١٠٤.
(٥٤) نفسه، مج ٤، ص ٥٢٩.
(٥٥) د. سعاد ماهر: المرجع السابق، جـ٢، ص ٨٨٠ - ٨٩٠.
(٥٦) ياقوت: المصدر السابق، مج ٥، ص ٢٥٨.
(٥٧) المصدر نفسه، مج ٣، ص ٤٩.
(٥٨) نفسه، مج ٤، ص ٢٩٣.
(٥٩) نفسه، مج٣، ص ٢٤٧.
(٦٠) نفسه، مج ٢، ص ٤٨٩.
(٦١) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٢٦٢.
(٦٢، ٦٣، ٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.
(٦٥، ٦٦) نفسه ، ص ٢٦٣.
(٦٧) نفسه ، ٦٣٦.
(٦٨) نفسه ، ٥٥٣.


مشاعل



ملف خاص

علمـــاء المسلمين في عصورهم المتلاحقة، خدموا هذا الدين بجد واخـلاص ومثـابرة.. بل، وخـدموا الانسانية جمعاء بما كتبوا وألفوا ودونوا في جميع العلوم. بل في جـمـيع ميادين العطاء الانساني.

وفي كل ذلك كـان لهم سبـقـهم التـاريخي والموضوعي فيمـا ذهبوا اليه. وهذا مـا جعل منصفي المستشرقين، والدارسين الأثبات من أهل الغـرب يشيـدون بعطاء علمـاء المسلمين، بل يمجدونه.. بل ذهب الاثبات منهم الى ان أوروبا قد أفادت كثيراً من علم علماء المسلمين، في الطب والعلوم والفلك، في التـاريخ وعلم الاجـتـمـاع والفلسفة، في الادب والفكر. بل أفادوا من علماء المسلمين في أسلوبهم المميز في البحث والتقصي، وتوثيق المعلومة أو الخبر.

وعلماء بهذا القدر من المعرفة، وبهذا القدر من الجد والتفاني والاخلاص في الدرس والتمحيص، كـان جـديراً بنا نحن أبناء المسلمين، بل أحـفـاد أولئك الاقداد أن نكون على نهجهم، وإن كنا على شيء من ذلك، ما بلغ بنا الأمر ما نحن فيه الآن من جهل وتجهيل.

في هذا الملف الخاص (مشاعل) تنشر المنهل مجموعة من أعلام المسلمين ـ كنماذج ـ كان لها عطاؤها المتميز والمتفرد في مجالات عطائها ـ وكم كانت الموسوعية سمتهم وطابعهم. نجد فيهم الصحابي الجليل الذي حسنت صحبته لسيدنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم].. ونجد فيهم عالم التـفـسـيـر، والحديث والفقـه، وعـالم اللغة والأدب.. ونجد فيهم الشاعر المبرز، وعالم الطب والفلك والجراحـة، ونجد عالم التاريخ والجغرافيا والرحلات.

وهذا (الملف الخـاص) يمثل نماذج لعلمـائنا الابرار الذين أناروا الدنيا بعلمهم، وأفاد منهم من عرفوا قيمة العلم والعلماء.

ـ المنهل ـ

محمد بن مسلمة الأنصاري

(٣٥ ق.هـ - ٤٣هـ/ ٥٨٩ - ٦٦٣م)[١]

بقلم: د. مولود بن مصطفى كونكور

اسمه: محمد، وهو اكبر من اسمه محمد من الصحابة[٢]، ولم تكن العرب لتسمي محمدا قبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا نادرا.

نسبه من جهة أبيه: محمد بن مسلمة بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس[٣].

نسبه من جهة أمه: أم سهيم خليدة بنت أبي عبيد بن وهب بن لوذان بن ساعدة[٤].

كنيته: شهر بأبى عبد الرحمن، كما شهر ايضا بأبى عبد الله[٥]، وكما قيل فيه: «أبو سعيد»[٦].

لقبه: كان يلقب بفارس رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٧]، كما يلقب بفارس نبي الله[٨].

مولده: قال صاحب الأعلام: «ولد محمد بن مسلمة لخمس وثلاثين سنة خلت قبل الهجرة المحمدية الموافق لتسع وثمانين وخمس مائة ميلادية»[٩]. اما صاحب الاصابة يروى أنه ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة وكذلك يروى الواقدي[١٠].

صفاته: اختلفت روايات المؤرخين في صفات محمد بن مسلمة من الناحية الخلقية فمنهم من قال كان ابن مسلمة اسمر شديد السمرة طويلا اصلع[١١]. ومنهم من قال كان رجلا أسود طويلا عظيما وكان معتدلا أصلع[١٢]، والروايات الأخرى إما أن تزيد صفة أو تنقص صفة أو تبالغ في إحدى الصفات المذكورة.

أهله: وكان لمحمد بن مسلمة من الولد عشرة نفر وست بنات ومنهم: عبد الرحمن وبه كان يكنى، وأم عيسى وأم الحارث وأمهم: أم عمرو بنت سلامة بن وقش بن زغبة بن زعواء بن عبد الأشهل وهي اخت سلمة بن سلامة. وعبد الله وأم أحمد وأمهما: عمرة بنت مسعود بن أوس بن مالك بن سوداء بن ظفر وهو كعب بن الخزرج بن ضمضم من بني مرة بن عوف من قيس عيلان. وعمرو وأمه زهراء بنت عمار بن معمر من بنى مرة ثم من بني خصيلة من قيس عيلان. وأنس وعمرة وأمهما من الاطبا بطن من بطون كلب. وقيس وزيد ومحمد وأمهم: أم ولد. ومحمود لا عقب له وحفصة وأمهما أم ولد[١٣].

وصحب النبي {صلى الله عليه وسلم} من أبنائه: جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمر[١٤].

إسلامه: لم يكن محمد بن مسلمة من المتخاذلين على دعوة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بل كان من السابقين الى تلبيته فأسلم على يد مصعب بن عمير وذلك قبل اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير[١٥] فحسن اسلامه وأبلى البلاء الحسن في رفع راية الاسلام وبذل كل ما في طاقته لنصرة هذا الدين الحنيف. ولقد آخى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح[١٦].

عمله في أيام رسول الله {صلى الله عليه وسلم}:

لم يكن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليطلب

من اصحابه طلبا إلا ويكون محمد بن مسلمة أول من يجيب لتلبية طلبه وتحقيق رغبته. ولقد شارك محمد بن مسلمة في كل الغزوات والسرايا ما خلا تبوك. فإن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] استخلفه على المدينة حين خرج الى تبوك[١٧]. ويقول ابن مسلمة هو شخصيا محدثا بنيه: «يا بنيَّ سلوني عن مشاهد النبي عليه السلام ومواطنه. فإني لم اتخلف عنه في غزوة قط إلا واحدة في تبوك خلفني على المدينة. وسلوني عن سراياه [صلى الله عليه وسلم] فإنه ليس منها سرية تخفى عليَّ إما أن أكون فيها أو أن أعلمها حين خرجت»[٨].

قتله كعب بن الأشرف:

كان كعب بن الأشرف من المعاندين لرسالة محمد [صلى الله عليه وسلم]. وكان من كبار اليهود الذين يقفون الى صف المشركين وكان شاعرا فرثى من قُتل ببدر من قريش وشبب بنساء المسلمين وحرّضهم على المؤمنين. فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «من لي من ابن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة الأنصاري على الفور: «أنا لك به يارسول الله، أنا أقتله» فقال [صلى الله عليه وسلم]: «فافعل إن قدرت على ذلك» فقتله محمد بن مسلمة مع عدد من اصحابه حسب حيله مدروسة، وبذلك تخلص المؤمنون من هذا العدو الماكر.

محمد بن مسلمة رسول رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في اجلاء بنى النضير:

بعد غزوة أحد قرر بنو النضير من يهود اغتيال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فاخبر الله عز وجل رسوله [صلى الله عليه وسلم] عن تآمر اليهود بقتله، فأرسل [صلى الله عليه وسلم] يطلب محمد بن مسلمة وقال له: «اذهب الى يهود فقل لهم أخرجوا من بلادي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به من الغدر»، فذهب لهم ابن مسلمة وأخبرهم بما أمره الرسول [صلى الله عليه وسلم] فكان جوابهم: «يا محمد ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس» فقال محمد: «تغيرت القلوب ومحا الإسلام العهود»[١٩]، وتم اجلاء بنى النضير عن المدينة بعد محاصرتهم وقطع نخيلهم.

تولى محمد بن مسلمة قيادة الحرس النبوي:

وتولى ابن مسلمة رئاسة الحرس النبوي في غزوة بنى قريظة، وذلك بأمر من الرسول [صلى الله عليه وسلم] بعد أن أصيب سيد الأنصار سعد بن معاذ في غزوة الاحزاب. ولا شك فان اختيار الرسول [صلى الله عليه وسلم] هذا ليدل على مدى مكانته عنده وثقته بشجاعته.

محمد بن مسلمة على رأس عدة سرايا:

وكانت إذا انطلقت سرية من السرايا الى جهة من الجهات ولم يكن الرسول [صلى الله عليه وسلم] فيها كان يختار لقيادتها من المعروفين بالشجاعة والمشهورين بالقدرة العسكرية، ولقد أعطى النبي [صلى الله عليه وسلم] الى محمد بن مسلمة قيادة عدد من هذه السرايا التي خرجت تقاتل لإعلاء كلمة الله.

وفي بداية السنة السادسة للهجرة ارسله الرسول [صلى الله عليه وسلم] في رأس ثلاثين راكبا لشن غارة على بنى بكر بن كلاب فقتل منهم عشرة اشخاص وفر الباقون وعاد ابن مسلمة بسريته دون أن يصاب أحد منهم بشيء بأذى.

وفي السنة نفسها في شهر ربيع الأول ارسله الرسول [صلى الله عليه وسلم] في عشرة فوارس الى

ذى القصة وذلك لتأديب اهلها من بني ثعلبة، الا أن الخبر وصل الى أعداء المسلمين فتربصوا بهم حتى نام أميرهم ابن مسلمة واصحابه فظهروا عليهم فقتل اصحابه جميعا ونجا هو وحده جريحا فرجع الى المدينة وأخبر الرسول [صلى الله عليه وسلم] بما حدث[٢٠].

وفي السنة السابعة سار الرسول [صلى الله عليه وسلم] الى عمرة القضاء وسارت امامه كتيبة الفرسان فكان عدد الخيل مائة فرس وعين الرسول [صلى الله عليه وسلم] عليها بطلنا محمد بن مسلمة ولقد ادى المهمة على ما يرام[٢١].

وفي سنة عشرة للهجرة بعثه النبي [صلى الله عليه وسلم] الى القُرطاء في سرية تناهز الثلاثين راكبا من اصحاب رسول الله وكانت نتيجة ذلك ان غنم ورجع الى المدينة سالما[٢٢].

قتله مرحب اليهودي:

ولما كانت غزوة خيبر خرج مرحب اليهودي مدججا بالسلاح راجزا في ساحة الميدان طالبا المبارزة فالتفت رسول الله الى اصحابه وقال: «من لهذا؟» فقام محمد بن مسلمة وقال: «أنا له يارسول الله، أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخي بالأمس». قال رسول الله: فقم اليه، اللهم أعنه عليه». وتقدم محمد بن مسلمة الى عدو الله وجالا. وكانت حملة مرحب هي الأولى فوقع سيفه، فما كان من محمد الا أن قضى عليه بسيفه وضربه حتى قتله[٢٣].

وهكذا استمر محمد بن مسلمة طيلة حياة رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، يدافع عن الاسلام ويحمل لواءه ويحرس الرسول [صلى الله عليه وسلم] وتوفي نبي الله [صلى الله عليه وسلم] وهو راض عنه.

عمله في عهد عمر رضي الله عنه:

لم يذكر المؤرخون واصحاب السير والطبقات اعمالا لمحمد بن مسلمة في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه. ومما لا شك فيه أنه شارك في الحروب للقضاء على الردة وغيرها وكان معه كما كان مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم].

أما اعماله في عهد عمر رضي الله عنه فكانت تتمثل في «صاحب العمال» مثل «المفتش العام» اليوم. وقد استعمله عمر ايضا على الصدقات ونذكر هنا مثلا ارساله لتفقد سيرة سعد بن أبي وقاص عامل العراق آنذاك وذلك لمرتين[٢٤]، والى جهينة لجمع الصدقات(٢٥) وكما ارسله الى مصر ليقاسم مال عمرو بن العاص[٢٦].

عمله في عهد عثمان رضي الله عنه:

ولقد أقر عثمان رضى الله عنه محمدا في منصبه مفتشا عاما لعمال الخلافة الاسلامية، قد ارسله الى الكوفة متفقدا يأتي بخبرهم، وذلك في سنة خمس وثلاثين للهجرة[٢٧]. كما قام بدور الوساطة هو وعلي رضي الله عنهما بين الوفود الثائرة على عثمان، ونجحا في اقناع الثائرين، فعادوا الى امصارهم مطمئنين، غير ان حيلة ابن سبأ في ارسال كتاب مزور عن الخليفة عثمان سبب عودة الوفود الثائرة الى المدينة فاعترضهم محمد بن مسلمة عن سبب رجوعهم وهم من اقطار متشتتة وكيفية اعلامهم وهم جماعات متفرقة وأكد لهم براءة عثمان من الكتاب المزعوم[٢٨].

وما أن حلت سنة خمس وثلاثين للهجرة حتى تأججت نار المتجردين على عثمان رضي الله عنه ولم تنته الا بشهادته. وبقيت المدينة المنورة في نوع من الفوضى وبعد ايام وقعت بيعة علي رضي الله عنه وبايعه المسلمون الا سبعة من الصحابة ومنهم محمد بن مسلمة[٢٩]، وكان لهم اجتهادهم وهم لم يطعنوا في امامته ولم يتكلموا عنه بسوء وهم اعلم الناس بمكانته عند رسول الله وخدمته في الاسلام.

ولم يشارك محمد بن مسلمة في الحروب بين المسلمين واعتزل المدينة وسكن الربدة واعتصم بفسطاط مضروب له هناك[٣٠].

وفاته:

أما وفاته فقد مات شهيدا في المدينة المنورة، أما سنة وفاته فقد اختلفت فيها الرواة فمنهم من قال سنة ٤٢، ومنهم من قال ٤٣ ومنهم من قال ٤٦ ومنهم من قال ٤٧ للهجرة[٣١]. أما الشهر فكان صفر عند كلّ مؤرخ من هؤلاء وعمره فهو متفق عليه حيث عاش سبعا وسبعين سنة وقد صلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ كان اميرا على المدينة[٣٢].

رحم الله هذا الرجل الذى نذر حياته لطاعة الله ورسوله فغزا وانتصر حتى قيل «فارس رسول الله» وخدم باخلاص الدولة الاسلامية الجديدة في حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم] ومن بعده، فالتحق بربه وترك لنا تأريخا حافلا بالبطولات والتفاني في خدمة الاسلام والمسلمين واننا لنرجو أن يكون هذا الصحابي الجليل قدوة لشباب الاسلام.

الهوامش:

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ٣١٧/٧.
(٢) تقريب التهذيب للعسقلاني ٣٠٨/٣.
(٣) كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري ٨٠/١.
(٤) كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، تحقيق: سهل زكار ١٨٥/١.
(٥) تجريد اسماء الصحابة للذهبي ٦١/٢.
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ٣١٣/٣.
(٧) المعارف لابن قتيبة ٣٦٦.
(٨) الطبقات الكبير لابن سعد ١٨/٣.
(٩) الاعلام ٣١٨/٧.
(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة ٣٨٣/٣.
(١١) أسدُ الغابة في معرفة الصحابة ٣٣١/٤.
(١٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨/٣.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ٣٨٣/٣.
(١٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨/٣.
(١٦) الاصابة في تمييز الصحابة ٣٨٣/٣.
(١٧) الطبقات الكبرى ١٨/٣.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ١٤٥٠/٣.
(٢٠) المصدر السابق ١٥٥٤/٣، الكامل ٢٠٧/٢، الطبقات الكبرى ١٨/٣.
(٢١) تاريخ الرسل والملوك ١٥٩٦/٣ ـ ١٥٩٧.
(٢٢) الطبقات الكبرى ١٨/٣.
(٢٣) تاريخ الرسل والملوك ١٥٧٧/٣ ـ ١٥٧٨، الكامل ٣١٦/٢.
(٢٤) المصدر السابق ٢٤٦٣/٥، ٢٦٠٦/٥، الكامل ٥٣٩/٢، ٦٢٥/٣.
(٢٥) اسد الغابة ٣٣٠/٤.
(٢٦) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١٣٧٧/٣.
(٢٧) تاريخ الرسل والملوك ٢٩٤٣/٦، الكامل ١٥٤/٣.
(٢٨) تاريخ الرسل والملوك ٢٩٧١/٦، الكامل ١٥٥٠/٤.
(٢٩) تاريخ الرسل والملوك ٣٠٧٠/٦ و٣٠٧٢، الكامل ١٩١/٣.
(٣٠) الطبقات الكبير ١٩/٣.
(٣١) تهذيب التهذيب للعسقلاني ٤٥٤/٩.
(٣٢) الاستيعاب ١٣٧٧/٣.

قيس بن سعد

أول صاحب شرطة في الدولة الاسلامية

بقلم: د. احمد علي المجدوب

لم تحظ التنظيمات الادارية في الدولة الاسلامية التي اقامها الرسول [صلى الله عليه وسلم] في المدينة باهتمام المؤرخين والاخباريين وعلماء السيرة الذين تناولوا الاحداث التي وقعت سواء اثناء وجود الرسول بمكة المكرمة أو بعد هجرته الى المدينة المنورة، حيث بدأ يضع اسس الدولة الاسلامية ولعل ذلك يرجع الى عدة اسباب:

أولها: ان هؤلاء الاخباريين ورواة السيرة والمؤرخين لم يعاصروا قيام الدولة الاسلامية في المدينة، وانما دونوا ما سمعوه عما وقع في تلك الايام، وهي الاحاديث والروايات والاخبار التي انتقلت من جيل الصحابة الى جيل التابعين فتابعي التابعين وهكذا.

وثانيها: ان اهتمام اولئك الاخباريين ورواة السيرة والمؤرخين كان منصرفا في المكان الاول الى معرفة اخبار الرسول [صلى الله عليه وسلم] وصفاته واخلاقه وعاداته ومعجزته، وقد وجدوا من ذلك الشيء الكثير فيما حصلوا عليه من اخبار وروايات تناقلتها الاجيال المتعاقبة من التابعين. والواقع ان هذا النهج الذي انتهجه العلماء انما املاه عليهم اعجابهم الشديد بشخصية الرسول الكريم [صلى الله عليه وسلم] وتقديرهم العميق لاعماله وايمانهم القوي برسالته، وكلها امور من شأنها أن تصرف النظر عما عداها.

وثالثها: فهو ان اولئك العلماء لم يجدوا فيما قد يكتبونه عن الدولة الاسلامية الاولى ونظمها الادارية فائدة ذات بال بالنسبة للمسلمين وبخاصة بعد ان اخذت الدولة الاسلامية في القرن الثاني الهجري وعلى وجه الخصوص في ايام الخلافة العباسية شكلها الذي يختلف كل الاختلاف عن شكل الدولة الاولى، وبالذات من حيث صورة الحكم، ووضع الحكام وسلطاتهم، ونظم الدولة الادارية والمالية، وغير ذلك مما تناولته كتب التاريخ الكثيرة التي صنفها المؤرخون في ذلك العصر وفيما تلاه من عصور.

ورابعها: يرجع بلا شك الى أن الغالبية العظمى من المؤرخين المسلمين الذين صنفوا الكتب لم يكونوا اكثر من رواة ينقلون عن غيرهم الاحداث والروايات دون ان يحللوها ويفسروها ويستخلصوا منها مؤشرات او دلائل على ما كان قائما من نظم أو سائدا من أوضاع، بل إن بعضهم كان ينقل ما يسمعه أو يقرأه دون تحقيق أو تمحيص، مما جعل كتبهم تمتلىء بالمتناقضات والاوهام والاحداث التي لا يتصورها عقل ولا يقبلها منطق، بل إن منها ما ينكره الشرع ويناقض العقيدة مما يدل على انهم لم يبذلوا ادنى جهد للتحري عما تحتمله من صدق أو كذب.

والواقع ان هذا المنهج لم يكن مما يعاب عليه المرء في تلك الاعصر، ذلك لأن المناهج العلمية في التحليل والتفسير لم تكن قد ظهرت بعد، فنحن لا نصادفها الا بعد ذلك ببضع قرون عندما بدأ ابن خلدون يتناول التاريخ المعروف بطريقة علمية تقوم على التحليل والتفسير وذلك في مقدمته الذائعة الصيت. ولم يكن المؤرخون المسلمون بدعا في ذلك، فقد كان هذا منهج المؤرخين جميعا اينما وجدوا في الشرق الاسلامي أو في الغرب المسيحي.

ومع ذلك فاننا نستطيع أن نستخلص معالم النظام الاداري في الدولة الاسلامية الاولى التي قامت في المدينة المنورة عقب هجرة الرسول [صلى الله عليه وسلم] اليها. وذلك مما ورد في الاحاديث وفي بعض

الاخبار والروايات التى جاء ذكرها في كتب المؤرخين ورواة السيرة. فعلى الرغم من صغر حجم تلك الدولة، حيث انها لم تكن تزيد في مساحتها على مساحة المدينة المنورة أو يثرب كما كانت تسمى، مضافا اليها بعض المناطق المتاخمة لها، الا انه توفرت فيها كل خصائص الدولة، أو بالاحرى انموذج الدولة الاسلامية، أو الدولة الحلم التى طالما حلمت بها البشرية وعبرت عن حلمها هذا بما كتبه الفلاسفة على مر العصور عن المدينة الفاضلة أو (اليوتوبيا). فقد كان لها حاكم هو الرسول {صلى الله عليه وسلم}، واعوان للحاكم يباشرون مهاما معينة الى جانب مهمتهم الاساسية في نشر العقيدة والدفاع عنها والتصدى لاعدائها.

ومع ان الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يباشر معظم المهام بنفسه تقريبا، فيقوم بدور الحاكم والقاضي والمسئول عن بيت المال ويقود الجيوش ويشرف على استقرار الامن والنظام، ويرجع المسلمون اليه في امور الصحة والزواج والطلاق والمشكلات الاجتماعية على اختلافها، الا انه كان يعهد ببعض تلك المهام الى اعوانه الذين كان يختارهم بدقة ويشرف عليهم اشرافا مباشرا ومن هؤلاء الذين اختارهم لتولى رئاسة الشرطة الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة.

ولما كانت هذه هى المرة الاولى التى يظهر فيها نظام الشرطة، لا في العالم الاسلامي فحسب بل في العالم قاطبة، فان الاهتمام بشخصية أول رجل يعهد اليه بمسئولية رئاسة الشرطة يصبح واجبا لما فيه من فوائد كثيرة منها: تحديد الخصائص التى يجب توفرها فيمن يتولى هذا المنصب البالغ الاهمية، وبخاصة بعد أن تضاعفت المهام التى يعهد بها الى الشرطة في العصر الحديث ومنها ايضا اننا ونحن نسعى جاهدين الى تحديد هويتنا الاسلامية التى اوشك الغزو الفكرى والتقليد الاعمى للغرب أن يطمسها، فان جهاز الشرطة يعد في مقدمة الاجهزة والنظم الادارية التى يمكن الاستفادة بها في تعريف العالم بما في الاسلام من فضائل عظيمة ومزايا كثيرة، حيث ان الشرطة تعتبر اكثر الاجهزة الحكومية احتكاكا بالناس واستحواذا على الاهتمام. فاذا كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} هو الذى اختار هذا الرجل، قيس بن سعد، ليعهد اليه بوظيفة صاحب الشرطة، فان هذا الاختيار يعد من قبيل التحديد الضمنى للشروط والخصائص التى يجب توافرها في رجال الشرطة، فكأن النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول لنا: اذا اردتم أن تعهدوا بالشرطة الى أحد فليكن كقيس بن سعد أو شبيها به. أو كأنه يقول: اذا عُهد الى شخص بوظيفة صاحب الشرطة فليكن سلوكه مثل سلوك قيس بن سعد.

فمن هو قيس بن سعد وما هى صفاته وما هي اخلاقه؟.

كان قيس بن سعد من الانصار أي من أهل المدينة الذين وفد عليهم المهاجرون من مكة، وفي هذا دليل على فطنة الرسول {صلى الله عليه وسلم} وبعد نظره وحنكته، فهو لم يجعل على شرطته رجلا من المهاجرين، على الرغم من انه لو فعل ذلك فان احدا لم يكن ليعترض على اختياره أو يقف ضد قراره، وانما جعل على الشرطة رجلا من الانصار وذلك لسببين:

اولهما: ان الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يقصد الا يأمر في قبيلة الا لرجل منها، لنفور طباع العرب من أن يحكم في القبيلة احد من غيرها، فكان يتألفهم بذلك. ولما كان الانصار من اوس وخزرج هم اصحاب المدينة الذين استقبلوا اخوانهم من المهاجرين، وكانوا حديثي عهد بالاسلام، لا تزال طباعهم اميل الى القبلية والعصبية، فقد راعى الرسول ذلك وعهد بالشرطة الى واحد منهم هو قيس بن سعد.

ثانيهما: فهو أن الرسول راعى في هذا الاختيار ما يتوفر في ابن يثرب من خبرة بها ومعرفة باهلها وطباعهم واخلاقهم وعاداتهم مما لا يتوفر لدى غيره من المهاجرين الذين جاءوا من مكة.

وفضلا عن هذين الشرطين الموضوعيين، فإن قيس بن سعد كانت تتوفر فيه خصائص وصفات شخصية فهو بالاضافة الى كونه من فضلاء الصحابة، فقد كان احد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوى الرأى

الصائب والمكيدة في الحرب، مع النجدة والشهامة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم، ليس ذلك وحسب بل انه كان وفيا مخلصا، يلتزم بالعهد ويفي بالوعد، لا يخون ولا يغش ولا يخدع لا يخشى في الله لومة لائم، اذا رأى رأيا جهر به دون خوف واذا جوبه به اعترف ولم ينكره، وهو مع ذلك يعد في دهاة العرب، الذين قيل انهم كانوا خمسة: معاوية بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وعبد الله بن بديل الخزاعي، وهو أي قيس بن سعد، ومع ذلك لا تجد انه صدر عنه من الافعال المنطوية على الدهاء مثلما صدر عن الاربعة الآخرين، وهو الذي قال عن نفسه: لولا اني سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول المكر والخديعة في النار لكنت من امكر هذه الأمة. وهذا صحيح فقد رويت عنه امور تدل على مبلغ دهائه، ومع ذلك فانه نأى بنفسه عن معركة الدهاء التي نشبت بين الاربعة الاخرين والتي انتهت بفوز معاوية.

ولعل هذا يبين لنا لماذا اختار الرسول عليه الصلاة والسلام قيس بن سعد لمهمة الشرطة ولماذا اختاره بعد ذلك عليّ بن ابي طالب لنفس المنصب، فهو رغم دهائه لم يكن يستخدم هذا الدهاء في الاساءة الى احد أو النيل منه، وانما كان يستخدمه لكشف الدهاة وفضح كيدهم ورده الى نحورهم، وفي هذا دليل على أن رجل الشرطة ينبغي ان يكون داهية، أو على اقل تقدير على مستوى ملحوظ من الذكاء والفطنة وبعد النظر لأهمية ذلك في ادائه لعمله، فلا يخدعه الكلام المعسول أو الوعود البراقة أو المظاهر المفتعلة والحيل المتقنة.

كذلك كان قيس بن سعد ممن يوفون بعهدهم اذا عاهدوا، مهما كانت المغريات أو المكاسب التي ستعود عليه من نكثه لعهده وله في ذلك حكاية مشهورة وقعت اثناء الفتنة الكبرى، وكان قيس في ذلك الوقت واليا على مصر من قبل الخليفة الرابع علي بن ابي طالب، وكان معاوية يعرف لقيس قدره فاراد أن يستميله اليه ليترك علياً وارسل اليه كتابا يعده فيه ويمنيه، ولكن قيساً كشف مكيدة معاوية واعلنه برفضه خيانة علي بن ابي طالب، وحتى عندما تمكن محمد بن ابي بكر من إيغار صدر عليٍّ على قيس فبادر الى عزله عن حكم مصر، فإن قيساً لم يتخل عن عليٍّ وظل يحارب الى جانبه ضد معاوية فلما قتل عليٌّ انضم الى ابنه الحسن، فلما بايع الحسن معاوية، لم يعد قيس ملزما بالعهد الذي وفاه كاملا ومن ثم دخل في بيعة معاوية الا أن دخوله في هذه البيعة لم يكن دخول الاذلاء، بل كان دخول الكرام الذين يعرفون لانفسهم قدرها، فمما يروى في ذلك انه لما دخل في جماعة من الانصار على معاوية، فقال لهم معاوية: يا معشر الانصار، بم تطلبون ما قبلي؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا عليّ، ولفللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تتلظى في استنتكم، وَهَجَوْتُمُوني في اسلافي بأشد من وقع الاسنة، حتى اذا اقام الله ما حاولتم ميله قلتم: ارع فينا وصية رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، هيهات يأبى الحقين العذرة.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله، لا بما تمت به اليك الاحزاب، واما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، واما هجاؤنا اياك نقول يزول باطله، ويثبت حقه، واما استقامة الامر فعلى كره كان منا، واما فلنا حدك يوم صفين فإنا كنا مع رجل نرى طاعته طاعة لله، واما وصية رسول الله بنا فمن آمن بها رعاها بعده، واما قولك يأبى الحقين العذرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية، فقال معاوية: ارفعوا حوائجكم.

وكان قيس عفيف النفس طاهر اليد قنوعا لا يطلب مالا ولا جاها ولا منصبا، فانه لما ارسل اليه معاوية بسجل قد ختم عليه في اسفله فقال له إكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، وذلك من اجل ان يبايعه فما كان من قيس الا أن اشترط في السجل الأمان له ولشيعة علي كرم الله وجهه على ما اصابوا من الدماء والاموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا، فاعطاه معاوية ما سأل فدخل قيس ومن معه في طاعته، فالرجل لم يبايع مقابل مال أو منصب أو جاه أو سلطان على الرغم من أن معاوية ما كان ليمتنع عن تلبية كل ما يطلبه ولكنه اشترط على معاوية ان يعفو عما حدث من الجنود اثناء المعارك التي خاضوها ضد

ملف خاص

معاوية، وقال له: ليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية. وبعد البيعة عاد قيس الى المدينة المنورة فما زال بها حتى توفي.

كذلك كان قيس بن سعد شجاعا يضرب به المثل في الشجاعة. من ذلك انه لما ولاه على بن أبي طالب علي مصر اقترح عليه أن يصحب معه جيشا لكي يتمكن من دخولها، لان الوضع فيها لم يكن مستقراً اثناء الفتنة وما اعقب مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكن قيس رأى أن يدخل مصر بدون جيش، فخرج اليها في سبعة نفر من اصحابه حتى دخلها فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين على بن أبي طالب فقرىء على أهل مصر. وعلى الرغم من عدم استقرار الاوضاع في مصر بالنظر الى وجود البعض ممن انضموا الى معاوية في المطالبة بدم عثمان وعلى رأسهم: بسر بن ارطأة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج الذين اقاموا في بلدة (خربتا) ومعهم يومئذ عشرة آلاف مقاتل، الا أن قيس بن سعد عرف كيف يسوسهم ويمنعهم من الثورة والانضمام الى معاوية ضد علي.

ومن شجاعته في ابداء رأيه انه لما اختلف مع علي. بن أبي طالب بشأن هؤلاء الناس، حيث امره علي. بأن يحاربهم، ورأى هو ان ذلك ليس في مصلحة علي. وانه يضعفه، لم يلجأ الى الكيد لعلي أو الخروج عليه استبدادا برأيه، وانما صارح علياً بأنه اذا لم يكن يثق فيه فما عليه الا أن يعزله عن ولاية مصر، فما كان من على الا أن عزله وولى مكانه محمد بن ابي بكر فما لبث أن قُتل بعد أن دخل الى مصر، وعندئذ ادرك علي. عظم الخسارة التي لحقته بعزله لقيس، الذي عاد الى المدينة حيث اقام بعض الوقت ثم ما لبث ان لحق بعلى في البصرة، فلما بلغ ذلك معاوية قال إن وجود قيس بن سعد برأيه ومكانه مع على اعظم من امداده بمائة الف مقاتل. وهذا تقدير من معاوية لشجاعة وحكمة وصواب رأى قيس بن سعد.

ويقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب) أن قيس بن سعد كان من الزهد والديانة والميل الى علي بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه من الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما اهوى للسجود اذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطوق، فمال عن الثعبان برأسه، وسجد الى جانبه، فتطوق الثعبان برقبته، فلم يقصر في صلاته، ولا نقص منها شيئا، حتى فرغ، ثم اخذ الثعبان فرمى به، كذلك ذكر الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن معمر بن خلاد عن ابى الحسن على بن موسى الرضا.

كذلك كان قيس بن سعد فارع الطول قوى البنية جسيما، وقد رويت عن جسامته وطوله وقوة بنيته الروايات الكثيرة. من ذلك ما ذكره المسعودى فقال، قال العروضي: وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله (الخليفة العباسى) في حال صباه - وقد حضر جماعة من نوى العلم والمعرفة باخبار الناس ممن غبر - فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن ابي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم ان يرسل اليه سراويل اجسم رجل عنده، فقال معاوية: لا اعلمه الا قيس بن سعد، فقال لقيس: اذا انصرفت فابعث الى بسراويلك، فخلعها ورمي بها، فقال معاوية: هلا بعثت بها من منزلك، فقال قيس:

اردت لكيما يعلم الناس انها
سراويل قيس، والوفود شهود
وان لا يقولوا: غاب قيس وهذه
سراويل عاد قد نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر: قد كان جبلة بن الايهم احد ملوك بنى غسان طوله اثنا عشر شبرا، فاذا ركب مسحت قدماه الارض، فقال له الراضى بالله: قد كان قيس بن سعد هذا المذكور اذا ركب تخط قدماه الارض، واذا مشى بين الناس يتوهمون انه راكب.

وعلى الرغم مما في القصة من اختلاق حيث انه لم يثبت ان ملك الروم قد فعل ما هو منسوب اليه كما انه ليس هناك ما يبرر طلبه المزعوم، الا أن ما قيل عن ان قيس بن سعد كان جسيما هو امر صحيح لأنه كان معروفا بقوة البنية وطول القامة.

هذا هو قيس بن سعد اول من ولي الشرطة في الاسلام، ولاه الرسول [صلى الله عليه وسلم] وما كان

سفيان الثوري

الفقيه المحدّث (٩٥ - ١٦١هـ)

بقلم: ابراهيم مصطفى فتح الباب - مصر

أكتب هذه الكلمة المتواضعة عن رجل عظيم، إنه إمام الدنيا، وركن الدين الركين، إنه سفيان الثوري، فالرجل مجاهد مثابر، تعرض في حياته لشتى ضروب المحن والابتلاء ولكنه مع ذلك صبر وتحمل، أسوته وقدوته في ذلك هو الرسول الكريم [صلى الله عليه وسلم].

وسفيان الثوري مع هذه المحن لم يلن، ولم يحابي أحداً، بل كان دائماً يقول كلمة الحق.. لا يخاف في الله لومة لائم، كان أبو جعفر المنصور كثيراً ما يطلب الثوري لمقابلته، ويأبى الإمام ملتمساً الأسباب، ويسأله الناس في ذلك فيقول، ما يريد مني أبو جعفر؟ فوالله لئن قمت بين يديه لأقولن له: قم من مقامك فغيرك أولى به منك، ويلتقي سفيان بأبي جعفر بمنى في موسم الحج، فيقول سفيان له: اتق الله فانما أنزلت هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والانصار، وأبناؤهم يموتون جوعا، ثم يقول: حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر دينارا، وكان ينزل تحت الشجر، يقول سفيان: فقال لي: أتريد أن أكون مثلك؟ قلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه. فقال لي: اخرج، ويذكر عبد الرزاق في مصنفه: أخذ أبو جعفر بتلباب الثوري، وحول وجهه إلى الكعبة فقال: برب هذه البنية (أي الكعبة) أي رجل رأيتني؟ قال: برب هذه البنية، بئس الرجل رأيتك، وأطلق يده. هكذا كان الإمام سفيان الثوري لا يحب التقرب الى الولاة والسلاطين لأنه يعلم مدى الفتنة التى تلحق به، فآثر مرضاة الله على مرضاة غيره من العباد.

مولده ونسبه رضى الله تعالى عنه:

هو سفيان بن سعيد الثوري، ولد سنة خمس وتسعين أو سبع وتسعين من الهجرة بالكوفة، من أسرة كريمة فاضلة فأبوه من ثقات المحدثين، قد وهبه والده للعلم، ولكي يرثه من بعده، فأفضل شيء يورّث هو العلم، فقرأ سفيان وتعلم على يد عظماء الشيوخ في عصره، يقول سفيان: طلبت العلم فلم تكن لي نية، ثم رزقني الله النية. أي أنه طلب العلم أولا بحكم العادة البحتة، ثم وفقه الله تعالى لأن يقصد به وجهه الكريم، ولكن مما يجدر ملاحظته أن المحدثين إذ ذاك ما كانوا يأخذون على الحديث أجرا. لقد كانوا يتمثلون قوله تعالى [قل لا أسألكم عليه أجراً إنْ هو إلا ذكرى للعالمين] (الأنعام/ ٩٠).



ويبدو أن والد سفيان لم يكن من ذوى الثراء العريض، ولكنه نشأ في جو علمي فيه النور، والاشراق، والصفاء، وكان جو الأسرة على ما يبدو كان جواً كريماً، فقد كانت أم سفيان من النساء الحصيفات التقيات، لقد كانت ذات عقل وتقوى، انظر الى عقلها وتقواها في نصيحتها لسفيان: عن وكيع بن الجراح أن والدة سفيان قالت له: يا بنى، اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي. واذا كتبت

عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في الخير، فإن لم تر ذلك فلا تتعبن نفسك. لم تكن الأم تفكر لابنها - من وراء تعليمه - في الجاه، أو الثراء، وانما كانت تفكر في أن يزداد الخير في نفسه. وبدأ سفيان يتعلم، اتباعاً لأبيه، واستجابة لرغبة أمه، ولكن سفيان بمجرد أن دخل في دور الشباب، بدأ يفكر جدياً في أمر معيشته، وليس من الطبيعي أن يغتبط سفيان - وهو صاحب الفطرة الصافيه - بأن تعوله أمه بمغزلها، أو أن تستمر أمه في إعالته بمغزلها. يقول سفيان فيما رواه يحى بن يمان: لما هممت بطلب الحديث، ورأيت العلم يدرس، قلت: أى ربّ إنه لابد لي من معيشة، فاكفني أمر الرزق، وفرغني لطلبه، فتشاغلت بالطلب فلم أر إلا خيرا.. بيد أن سفيان تنبه بسرعة إلى أن المال ضروري للانسان على أى وضع كان الانسان. انه ضروري له، لو أراد أن يسير في حياته على أن يكون متعبدا، وضروري له، لو أراد أن يسير في حياته على أن يكون عالما، والعابد لا يأخذ على عبادته أجرا، والعالم لا يأخذ على علمه أجرا لابد إذن من التكسب ومن المال. ولذلك قال كلمته المدوية: عليك بعمل الابطال الكسب من الحلال، والانفاق على العيال[١].

شغفه لطلب العلم:

لقد حبب الله تعالى إليه العلم، قال العجلي في الثقات[٢]: كان سفيان لا يسمع شيئاً إلا حفظه حتى كان يخاف عليه. وقال الامام الذهبي في السير: كان ينوه بذكره من أجل فرط ذكائه وحفظه، وحدّث وهو شاب. لقد كانت شهرة سفيان تزداد كل يوم، ولكن سفيان لم يغتر بشهرته، وانما زادته هذه الشهرة محاسبة لنفسه في علمه وفي تقواه. ولم يتكبر على العلم ويقول إني بلغت شأوه، والمنتهى فيه، بل على العكس من ذلك فهو يقول «لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا» ويقول «الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم» وكان أعطاه الله تعالى ذاكرة قوية، يحفظ كل ما يسمع قال أبو المثنى: سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثورى، فخرجت أنظر إليه، فاذا هو غلام قد نقل وجهه[٣] (أي خرج شعره) وروى عبد الرزاق عن سفيان قال: ما استودعت قلبى شيئاً قط فخانني. وقال سفيان بن عيينه: كان الثورى كأن العلم ممثل بين عينيه، يأخذ منه ما يريد ويدع مالا يريد.

وروى الخطيب البغدادى عن أبى مسلم صالح بن أحمد قال: حدثني أبى قال: ألقى أبو إسحق فريضة (أى مسألة في المواريث) فلم يصنعوا فيها شيئاً، فقال: لو كان الغلام الثورى فصلّها الساعة، إذ أقبل سفيان، فقال له: ما تقول في كذا وكذا؟ قال سفيان: أنت حدثتنا عن عليّ بكذا وكذا. والأعمش حدثنا عن ابن مسعود بكذا، وفلان حدثنا فيها بكذا، قال أبو إسحق: كيف ترون من ساعة فصلّها؟؟ ألا تكونون مثله[٤]؟. ويرسم الامام الثورى الخطوات التى تتبع بالنسبة للعلم: يروى مزاحم بن زفر هذه الخطوات عن الثورى يقول: انما هو طلبه، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم نشره» وقال لتلاميذه وقد اجتمعوا حوله، قال لهم: «اطلبوا العلم ويحكم، فإني أخاف أن يخرج منكم، فيصير في غيركم، اطلبوه ويحكم، فانه عز وشرف في الدنيا والآخرة».

وأخذت الأيام تسير، والأعوام تمر، ومع ذلك تزداد شهرة سفيان ، واذا به يبلغ حداً من النضج، ومن العلم يعز على من رامه ويطول، فيذيع اسمه في ربوع العالم الاسلامى ويقدره الناس أينما حلّ، يقدرونه لتقواه، ويقدرونه لعلمه، ويقدرونه لخلقه الطيب، ويقدرونه لزهده في الدنيا، وبعده عن متع الحياة الفانية ومغرياتها ومفاتنها، بل لقد أخذ الناس يعدون مناقبه، ومن ذلك مثلا ما رواه شعيب بن حرب قال: ذكروا سفيان عند عاصم بن محمد، فذكروا مناقبه، حتى عدوا خمس عشرة منقبة، فقال: فرغتم؟ إني لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها: سلامة صدره لأصحاب محمد [صلى الله عليه وسلم][٥].

ويعدّد عبد الله بن المبارك بعض ما تحلى به الإمام الثورى فيقول: «تعجبنى مجالسة سفيان الثورى، كنت اذا شئت رأيته في الورع، واذا شئت رأيته مصليا، وإذا شئت رأيته غائصاً في الفقه» ويشبه هذا ما ذكره أحمد بن يونس قال: ما رأيت أحداً أعلم

من سفيان، ولا أورع من سفيان، ولا أفقه من سفيان، ولا أزهد من سفيان» فكان رضي الله عنه عالم الأمة وعابدها.

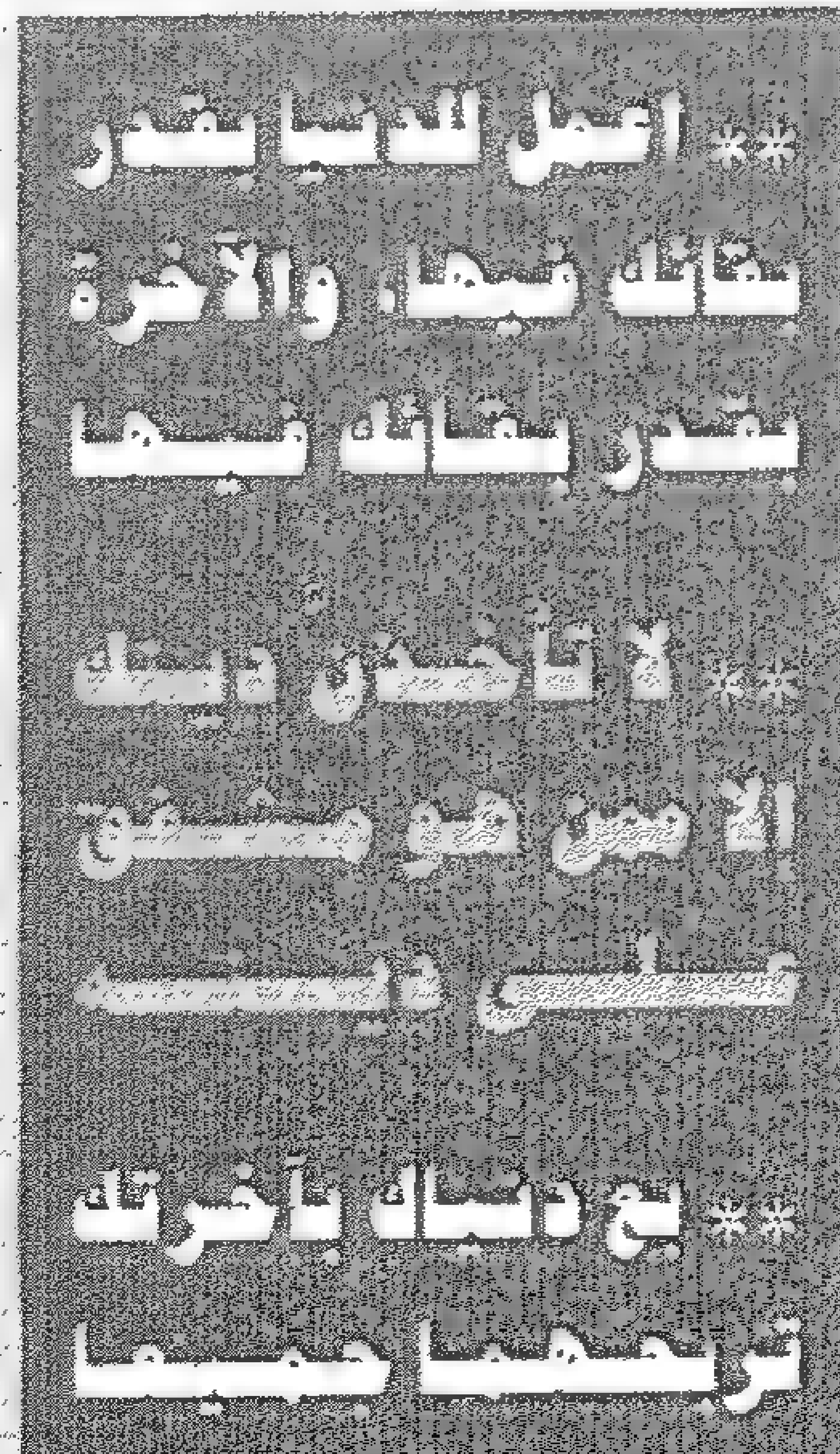
المحدّث الفقيه:

وسفيان عالم فقيه له مذهبه المعتمد وتلاميذه العظام، وقد ترك في المجتمع الاسلامي لعهده دوياً يجلجل، وصدى يرن، وقد نشأ الثورى في رحاب الكوفة، وقد وهبه أهله للحديث، فكان محدث الأمة ثم وصل الى الأوج في الفقه، وكان مفتي الكوفة الاكبر، وكان مذهبه يضارع مذهب أبي حنيفة النعمان، ولكن حياة الزهد التي عاشها سفيان الثورى لم تحقق لمذهبه الذيوع والانتشار، بينما لم يكن أبو حنيفة وتلامذته المباشرون زهاداً، فانتشر المذهب الحنفي، واندثر المذهب الثورى، وقد نشأ الثورى محدثاً، وهبه أهله للعلم، وكان العلم يعنى الحديث، والحديث يشمل الفقه. ولقد برع سفيان في الحديث والفقه إلى أكبر حد عرفه العالم الاسلامي إبان ذلك الوقت، ودعي سفيان بأمير المؤمنين في الحديث، وكانت رحلاته الاولى لجمع الحديث وروايته فأخذ يتنقل من بلد إلى بلد.. فيتنقل من الكوفة الى الشام، ومن الشام الى اليمن، ثم يعود الى مكة كل ذلك وهو يطلب الحديث على يد عظماء الشيوخ الذين عاصرهم فحدّث عن زبيد بن الحارث، وحبيب بن أبي ثابت، والأسود بن قيس، وزياد بن علاقة، ومحارب بن دثار وغيرهم. ويقال عدد شيوخه ستمائة شيخ، وكبارهم الذين حدثوه من أبي هريرة، وجرير بن عبد الله، وابن عباس - رضى الله عنهم - وقد قرأ الختمة عرْضاً على حمزة الزيات أربع مرات[٦]. وحين اكتملت أداة الحديث عنده وتمكن من حفظه بدأ يفتي المسلمين فكان سفيان (أفقه الناس) يقول ابن المبارك، ما رأيت أحداً أفضل من سفيان ولا رأى سفيان مثل نفسه.

ولقد منح الله تعالى سفيان ذاكرة حافظة، يصفها سفيان بقوله: ما استودعت قلبى شيئاً قط فخانني، كما قلنا آنفاً. ويقول ابن مهدى عنه: ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سفيان. ويصف الاشجعى ذاكرة سفيان فيقول: دخلت مع الثورى على هشام بن عروة، فجعل يسأل وهشام يحدثه، فلما فرغ قال: أعيدها عليك، فأعادها عليه، وقام ثم دخل أصحاب الحديث فطلبوا الاملاء، فقال هشام: احفظوا كما حفظ صاحبكم، قالوا: لا نقدر.. لقد كانت ذاكرة سفيان مهيأة بالفطرة، لأن تجعل من سفيان إماماً من أئمة الحديث والفقه. ومع الذاكرة لابد للمحدث من ذكاء يتوقد.

ولقد كان تقدير العلماء له في الحديث والفقه تقديراً يتناسب حقا مع مكانته التى بلغها، واذا كنا نذكر هنا شيئاً من ذلك فاننا نذكر بعضاً من كل، وقطرة من غيث. قال شعبة وابن معين: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال يحى بن يمان: كتبت عن سفيان عشرين ألفاً، وأخبرني الاشجعى أنه كتب عن سفيان ثلاثين ألفا.

ويتحدث ابن المبارك - فيما يروى عبد الرزاق - عن استفاضة سفيان من العلم، وعن سعة دائرته، في فنونه، ولا سيما الحديث فيقول: أقعد إلي سفيان فيحدث فأقول ما بقى من علمه شيء إلا وقد سمعته، ثم أقعد مجلساً آخر فأقول ما سمعت من علمه شيئا، ومن أجل هذه الاستفاضة التى شاهدها ابن المبارك كان يقول: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان. ويقول: كتبت عن ألف ومائة شيخ، وما فيهم أفضل من سفيان، ويقول: كنت اذا أعيانى الشيء أتيت سفيان أسأله، فكأنما اغترف من بحر، وكان سفيان يفتن كل من يتصل به عن مشاهدة، أو عن دراسة لتاريخه وسيرته، كان يبهره بعلمه، يبهره بحفظه للحديث، يبهره بصلاحه وتقواه، ويبهره بأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، ويبهره بعفة نفسه عن كل ما فيه



شبهة. يقول عنه وكيع بن الجراح: كان بحرا، ويتحدث عنه الامام أحمد بن حنبل فيقول (لم يتقدمه في قلبى أحد)[٧].

زهده في الدنيا:

الزهد في الدنيا، والاقبال على الله تعالى كان طريق الإمام الثوري، فهو علم خافق في موكب الأخلاق النبيلة فقد احتقر شهوات النفوس، وارتفع بغرائز البشر الى مقام وضيء، ترفرف فيه أجنحة الكرامة والعزة، حتى صارت حياته كتاباً في السلوك الانسانى، يقرؤه من يريد لنفسه شرف الحياة ومجد الأبد وسعادة الآخرة، روى عبد الله بن خبيق عن يوسف بن أسباط: قال لى سفيان بعد العشاء: ناولنى المطهرة (الإناء الذى يتوضأ به) أتوضأ، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، فبقى مفكراً ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فاذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتنى المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة.

ولم تعرف كلمة الزهد قبل سفيان الثوري - كمصطلح يطلق على ترك الدنيا والاتجاه الى الآخرة، وها هو يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة. وكان يردد: ازهد في الدنيا ونم[٨].

وكان يرى أن الحكمة ثمرة الزهد، ينبتها الله في قلب المؤمن، يروى بشر بن الحارث أن سفيان الثورى سئل: أيكون الرجل زاهداً، ويكون له المال؟ قال: نعم، ان كان اذا ابتلى صبر، واذا أعطى شكر.. ولم تكن العبادة أو الزهد عند سفيان تعنى التبطل عن التكسب، بل دعا القراء إلى العمل، والتكسب من ذات أيديهم فيذهب الى البصرة فيجلس في مجلس العابد البصرى يوسف بن عبيد، فاذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير، فقال: يا معشر القراء - ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس»[٩].

ومن حثه على الكسب والعمل، ما حدّث به عن مبارك أبي حماد قال: سمعت سفيان يقول لعلي بن الحسن فيما يوصيه: يا أخى: عليك بالكسب الطيب، وهو ما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله، أو تلبسه.. فالذى يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه، ويا أخى ان تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك، وأكرمت بعض الناس، وأهنت بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإن الذى يعطيك شيئاً من ماله، فانما هو وسخه، وتفسير وسخه، تطهير عمله من الذنوب، وان أنت تناولت من الناس شيئاً ان دعوك الى منكر أجبتهم.. يا أخى: جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس. فاتق الله يا أخي، فانه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلا عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، واياك أن تكسب خبيثا فتنفقه في طاعة الله، فان تركه فريضة من الله واجبة، وانه طيب لا يقبل إلا طيبا.

وقد التقى سفيان بمجموعة من الزهاد في عصره، وسار في ركابه ابراهيم بن أدهم.. بل اعتبره ابراهيم بن أدهم «إمام الزهاد» فيذكر صاحب الحلية «دخل ابراهيم بن أدهم المسجد ببيت المقدس وسفيان الثورى وجماعة، فلما صلوا في المسجد، وصاروا في الصحن، انحرف سفيان يريد الصخرة، فقال له ابراهيم: يا أبا عبد الله، ارجع. فانك قد ابتليت وصرت لنا إماماً، فلا يراك الناس فيروه حتماً. فانصرف سفيان وقال: صدقت: فخرجا، ولم يمض سفيان إلى الصخرة[١٠] وفي مكة قابل سفيان الزاهد الكوفى الفضيل بن عياض[١١] وكان قد استقر في مكة - وكانا يلتقيان في المسجد الحرام فما يتذاكران إلا النعم، حتى يفترقا - يقول فضيل للثورى: يا أبا محمد ألا عمل بنا كذا، ويقف فضيل على رأس سفيان وحوله



جماعة، فقال له «قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» ويرد سفيان فيقول له «يا أبا على، والله لا تفرح أبدا حتى تأخذ دواء القرآن، فتضعه على القلب. ويتقابلان مرة ثانية، فتذاكرا وبكيا. ويقول سفيان: إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة: فرد الفضيل، ترجو، لكنى أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك، فعبدتنى وعبدتك، فبكى سفيان، حتى علا نحيبه. ثم قال: أحييتنى أحياك الله[١٢]. وقد سئل الفضيل من إمامك؟ فقال: سفيان الثورى[١٣] وعن عبد الرحمن بن عبد الله البصرى قال: قال رجل لسفيان: أوصنى؟ قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام.. ومع كل ذلك وتمشياً مع المبدأ الاسلامي، وهو أن الزهد معناه: ألا يسيطر حب الدنيا على قلب الشخص، وألا تستعبد الدنيا الانسان، وأن الانسان يمكن أن يكون من أصحاب الملايين، وهو مع ذلك زاهد، لأن المال في يده وليس في قلبه، ولانه يتحقق بقوله تعالى: {لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم} (سورة الحديد/٢٣)، إن الامام الثورى لم يكن متزمتاً في مأكل أو ملبس أو مشرب. قال وكيع: رؤى سفيان يأكل الطباهج (وهو طعام من بيض وبصل ولحم مشرح) وقال: انى لم أنهكم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل؟ وارتحل وانظر على من تدخل، وتكلم، وانظر كيف تتكلم؟ كيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول: {خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا} (سورة الاعراف/ ٣١).

وصايا سفيان لعلي بن الحسن:

لقد كان الثورى معنياً عناية خاصة بعلي بن الحسن، ولذلك كثرت وصاياه له. أذكر للقارئ الكريم بعضاً منها لأنها جمعت فأوعت: يقول: يا أخي عليك بتقوى الله، ولسان صادق، ونية خالصة، وأعمال شتى صالحة، ليس فيها غش ولا خدعة، فان الله يراك وان لم تكن تراه، وهو معك أينما كنت لا يسقط (أي لا يخفى) عليه شيء من أمرك، لا تخدع الله فيخدعك، فانه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان ونفسه لا تشعر، ولا تمكرن بأحد من المسلمين المكر السيء، فانه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ولا تبغين على أحد من المسلمين، فان الله تعالى يقول {يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم} (سورة يونس/ ٢٣) ولا تغشن أحداً من المؤمنين، فقد بلغنا عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] أنه قال: (من غش مؤمنا فقد برئ من المؤمنين) ولا تخدعن أحداً من المؤمنين فيكون نفاقاً في قلبك، ولا تحسدن ولا تغتابن فتذهب حسناتك، وقد كان بعض الفقهاء يتوضأ من الغيبة كما يتوضأ من الحدث. وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك، يكفك الله أمر دنياك. بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، عليك بالصدق في المواطن كلها، واياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها، فانها وزر كلها. واياك والعجب، فان العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب، ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه، كمثل طبيب به داء، لا يستطيع أن يعالج داء نفسه، وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم؟ فهذا الذى لا يشفق على دينه، كيف يشفق على دينك؟ ويا أخى انما دينك لحمك ودمك؟ ابك على نفسك وارحمها، فان أنت لم ترحمها لم ترحم، وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، واياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا، انهم يفسدون عليك دينك وقلبك، واكثر ذكر الموت، واكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة مما بقى من عمرك. ثم عليك يا أخى بأدب حسن، وخلق حسن، ولا تخالفن الجماعة، فان الخير فيها[١٤].. إلى غير ذلك من الوصايا الثمينة التى تنخلع منها

** أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فان الآفات اليه أسرع والالسنة اليه أسرع

القلوب، وتدمع منها العيون، وتثبت أن الامام الثورى كان من الفصحاء البلغاء، الذين آتاهم الله الحكمة، قال تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا} (سورة البقرة/ ٢٦٩).

طرف من أقواله:

- احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، واحذر أن يراك، وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك - الزهد زهدان: زهد فريضة وزهد نافلة، فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس، وأما زهد النافلة: فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال، فاذا تركت شيئاً من ذلك، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله.

- لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فإن أمامهم يوما تزل فيه الأقدام، وترعد فيه الاجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات.

- اكسب حلالا، واجلس مع من كسبه من حلال، وكل طعام من كسبه من حلال، وليكن أهل مشورتك من كسبه من حلال، فان الورع ملاك الدين.

- أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فإن الآفات إليه أسرع، والألسنة إليه أسرع.

- البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذى لله في السنة مرة، فهو كثير.

- تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وفاته:

قال الذهبي[١٥]: عن عبد الرحمن بن مهدى قال: مرض سفيان بالبطن (داء يصيب البطن) فتوضأ تلك الليلة ستين مرة حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال يا عبد الرحمن ما أشد الموت ولما مات غمضته، وجاء الناس في جوف الليل، وعلموا. قال الذهبي: والصحيح أن موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة. مات أمير المؤمنين في الحديث، مات المحدث الفقيه الحجة الثبت، رحمك الله يا سفيان فكثيراً ما كنت تردد هذه الأبيات.

نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقى

وكثيراً ما كان يقول: لو أن اليقين استقر في القلوب، لطارت شوقاً، أو حزنا، إما شوقاً إلى الله عز وجل وإما فرقاً من النار.

رحم الله سفيان الثورى وأجزل له المثوبة وتقبله الله في الصالحين.

الهوامش:

(١) سفيان الثورى - د. عبد الحليم محمود ص ١٩ - ٢١، بتصرف.
(٢) تاريخ الثقات للحافظ احمد بن عبد الله بن صالح العجلى (ص ١٩٠).
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١٦٥/٩).
(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١٦٣/٩).
(٥) سفيان الثورى - د. عبد الحليم محمود (ص ٢٩ - ٣٠) بتصرف.
(٦) سير أعلام النبلاء للامام شمس الدين الذهبي (٧ / ٢٣٤).
(٧) سفيان الثورى (ص ٧٠ - ٧٣) بتصرف.
(٨) أبو نعيم في حلية الأولياء (٦. ٣٨٧)، نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام للدكتور على سامى النشار (٢٤٢/٣).
(٩) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٨٢/٦).
(١٠) حلية الأولياء لأبى نعيم (٥٠/٨)، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (٢٤٣/٣) ط/ دار المعارف.
(١١) انظر مقالنا بمجلة الوعى الاسلامى عدد ذى الحجة سنة ١٤١٥هـ بعنوان (الزاهد التقى الفضيل بن عياض).
(١٢) حلية الأولياء لأبى نعيم (٦٤/٧).
(١٣) نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام للدكتور/ على سامى النشار (٢٤٤/٣) ط/ دار المعارف.



الإمام أبو داود السجستاني

(٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ)

بقلم: أ.د. مصطفى رجب

هو الإمام الورع الناسك، الزاهد، الحافظ، ذو الباع الطويل في تمييز الصحيح من السقيم، أبو داود سليمان بن عمران بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني[١].

وقال ابن خلكان هو أبو سليمان بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، وقال محمد بن عبد العزيز الهاشمي، سليمان بن الأشعث بن بشير بن شداد، وقيل هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، كذا أسماه عبد الرحمن بن أبي حاتم. وكنيته: «أبو داود السجستاني».

مولده:

ولد الإمام أبو دادو رضي الله عنه سنة اثنتين ومائتين من الهجرة (٢٠٢هـ)، قال أبو عبيد الأجدي سمعته يقول ولدت سنة اثنتين ومائتين[٢]. وقد اشتهر الإمام أبو داود بنسبته «السجستاني» إلى الإقليم الذي نشأ فيه، وهو اقليم صغير من أقاليم ايران، يجاور اقليم السند وفارس.

رحلاته:

نشأ الإمام أبو داود محباً للعلم مغرماً به ملازماً للعلماء يتلقى العلم على أيديهم، وكان مجداً في طلب الحديث منذ صغره فرحل الى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة طلباً للحديث من علمائه فأتاحت له كثرة رحلاته الالتقاء بكثير من أئمة الحديث وحفاظه في ذلك العصر.

وقال أبو عيسى الأزرق سمعت أبا داود يقول دخلت الكوفة سنة إحدى وعشرين وأخبرنا أبو عبيد محمد بن على بن عثمان سمعت أبا داود يقول: دخلت البصرة وصليت على عثمان سنة عشرين[٣].

وكان أول خروجه لطلب العلم سنة ٢٢٠هـ وكان عمره لم يتجاوز الثامنة عشرة، وأول بلد رحل إليها العراق، ثم رحل من بعدها إلى الشام ومصر والحجاز.

البلاد التي دخلها:

من البلاد التي دخلها الإمام أبو داود طلبا للعلم:

- العراق: وأول ما دخل بها بغداد سنة ٢٢٠هـ.
- الكوفة: دخلها سنة ٢٢١هـ.
- البصرة: سكنها فترة من الزمان وأكثر السماع فيها، ثم خرج منها، وعاد إليها مرة أخرى.
- الشام: ودخل منها دمشق وحلب وحمص.
- الجزيرة: دخل منها حران وسمع من أهلها.
- الحجاز: سمع من أهل مكة المكرمة، ولعل زيارته لها كانت زيارة الحج.
- مصر.
- خراسان: دخل منها نيسابور وهراة وبلخ.
- الري.
- سجستان: بلده وموطنه خرج منها طالبا العلم، ثم رجع إليها، وخرج منها ثانية.

شيوخه:

تتلمذ الإمام أبو داود على أيدي كثير من علماء عصره في علم الحديث، وقد أدى ارتحاله الكثير الى البلاد في طلب العلم الى أن يكون شيوخه من الكثرة بحيث يتعذر تسميتهم فقيل إن شيوخه تجاوز عددهم الثلاثمائة رجل من رجال الحديث. فقد تتلمذ على كل من: (الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبي زكريا محيي بن مهين، أبي رجاء قتيبة بن سعيد الثقفي، الحسن عثمان بن محمد بن أبي شبيبه، ابراهيم بن عثمان العبسي، أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة، الحافظ أبي الحسن مسدد بن سرهد الأسدي، أبي سلمة موسى بن إسماعيل اليمني، الحسن بن عمرو السنوي البصري). وغيرهم الكثير من الأئمة الذين يضيق المقام عن ذكرهم.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على يدى أبي داود السجستاني وأخذ عنه الحديث خلق كثير منهم: (شيخه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب «النسائى»، ابنه عبد الله بن سليمان الأشعث، أحمد بن محمد بن هارون، على بن الحسين بن العبد، محمد بن مخلد الدوري، اسماعيل بن محمد الصفار، أحمد بن سليمان النجاد). وهناك الكثير من تلاميذه المشهورين، والذين تتلمذوا على يديه، وتلقوا منه الحديث الشريف.

صفاته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان الإمام أبو داود رضي الله عنه من الأئمة المشهور عنهم التقوى والورع والزهد في الحياة الدنيا. قال أبو بكر الخلال «أبو داود الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبق إلى معرفته بتخريج العلوم رجل ورع مقدم سمع أحمد بن حنبل منه حديثاً كان أبو داود يذكره وكان ابراهيم الاصبهاني وأبو بكر بن صدقه وغيرهما يرفعون من قدره»، وقال أحمد بن محمد بن ياسين «كان أحد حفاظ الإسلام للحديث وعلمه وعلله وسنده في أعلى درجة من النسك والعفاف والصلاح».

وقال موسى بن هارون «خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة» وقال علان بن عبد الصمد «كان من فرسان هذا الشأن» وقال أبو حاتم بن حيان «كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وإتقاناً جمع وصنف كتاب السنن».

وقال أبو عبد الله بن منده «الذين أخرجوا وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي». وقال الحاكم «أبو داود إمام أهل الحديث في عصره». وقال القاضي أبو سعيد الخليل «سمعت أبا محمد أحمد بن الليث في بلدنا يقول جاء سهل بن عبد الله إلى أبى داود فقيل يا أبا داود هذا سهل جاءك زائراً فرحب به فقال له سهل أخرج إليَّ لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أقبله فأخرج إليه لسانه فقبله[٤].

وقال أيضاً: «سليمان بن الأشعث أبو داود كان أحد حفاظ الحديث لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعلمه وعلله وصنفه في أعلى درجة النسك» وحدثنا عمر بن أحمد الواعظ والأزهري عن معاوية عن الأعمش عن ابراهيم بن علقمة قال «كان عبد الله يشبه بالنبي {صلى الله عليه وسلم} في هديه ودله وكان علقمة يشبه بعبد الله وقال جرير بن عبد الحميد كان ابراهيم يشبه بعلقمة وكان منصور يشبه ابراهيم وقال غير جرير كان سفيان يشبه بمنصور وقال عمر بن أحمد كان وكيع يشبه بسفيان وكان أحمد بن حنبل يشبه وكيع وكان أبو داود يشبه ابن حنبل[٥].

قال أحمد بن محمد الهروي كان أبو داود أحد حفاظ الاسلام لحديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} ومن فرسان الحديث وفرسان هذا الشأن ولما كان

ببغداد دخل عليه الأمير أبو أحمد الموفق وقال له أعرض عليك ثلاث خلال: تنتقل الى البصرة فتجعلها وطناً ليدخل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج، وتروي لأولادي كتاب السنن وتفرد لهم مجلساً للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة فقال أبو داود: أما هذا فلا سبيل إليها لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء فكانوا يحضرون بعد ذلك فإذا قعدوا ضُربَ سترٌ بينهم وبين الناس ويسمعون مع العامة[٦].

مؤلفاته:

ترك أبو داود العديد من المؤلفات النافعة التي ذاع ذكرها واشتهرت عند العلماء وتركز جلها حول السنة الغراء وأشهرها على سبيل المثال لا الحصر كتاب السنن.

- كتاب السنن: وهو أشهر كتبه على الاطلاق وقيل إن كتاب السنن مما لا يستغنى عنه ولكنه يأتي بصفة عامة بعد كتاب البخاري ومسلم من ناحية القيمة العلمية.
- كتاب المسائل: مخطوط بالظاهرية حديث ٣٣٤.
- المراسيل: طبع في القاهرة ١٤١٠هـ.
- كتاب العدد.
- الناسخ والمنسوخ.
- كتاب فضائل الأعمال.
- كتاب الزهد.
- كتاب دلائل النبوة.
- كتاب الدعاء.
- ابتداء الوحي.
- كتاب أخبار الخوارج[٧].

منزلة كتاب السنن وثناء الأئمة عليه:

إن سنن أبي داود أحد دواوين الإسلام فقد أجاد فيه مؤلفه ووضع التراجم وسوق الأبواب وأحكم تنسيقه وهو أحد كتب السنة الستة والأكثر، على أن منزلته تجيء بعد منزلة الصحيحين، وقد أثنى عليه كثير من العلماء ومنهم السيوطي الذي نقل عن زكريا الساجي قوله: «كتاب الله أصل الإسلام وكتاب السنن لأبي داود عهد الإسلام».

وقال ابن الأعرابي «لو أن رجلا لم يكن عنده العلم إلا المصحف ثم كتاب أبي داود لم يحتج إلى شيء».

قال الخطابي (اعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يُصَنَفْ في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من الناس كافة).

وقال العلامة ابن القيم لما كان كتاب السنن لأبي داود رحمه الله من الإسلام بالموضع الذي خصه الله بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام يرضى بحكمه الجميع فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام ورتبها وأحسن ترتيبها ونظمها أحسن نظام مع انتقائها واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء.

وقال الإمام النووي ينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتبار بسنن أبي داود فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه وبراعة مصيغه واعتنائه بتهذيبه[٨].

منهج أبي داود في كتابه السنن:

قال أبو بكر بن داسه سمعت أبا داود يقول كتبت عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب وجمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه وما كان فيه وهن شديد بينته وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصح من بعض.

وقد اختلف العلماء في تفسير قوله (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح) وخلاصة القول في هذا أن الأحاديث التي بيَّن ما فيها من ضعف، هي بالفعل واهية ضعيفة عنده وعند غيره بلا خلاف بين أحد من العلماء. والأحاديث التي سكت عنها إن كانت مروية

في أحد الصحيحين فهي صحيحة وإن لم تكن مروية في أحد الصحيحين ولم يكن أحد من العلماء قد بين درجتها فقد ذهب الإمامان الجليلان ابن الصلاح والنووي إلى أن ذلك من نوع الحسن وليس مرتقياً الى درجة الصحيح[٩].

شروح سنن أبي داود ومختصراته:

شرح سنن أبي داود كثير من العلماء ولا ريب في أن غايتهم بالشرح لم تصل إلى حد عناية شرَّاح الصحيحين سيما البخاري. ومنهم:

١) الإمام أبو سليمان الخطابي: المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (٣٨٨هـ) ومما شرحه (معالم السنن) وهو شرح وسط اعتنى فيه باللغات وتحقيق الروايات وضبط الكلمات واستنباط الاحكام والآداب والكشف على المعاني الفقهية المنطوية عليها الأحاديث. وقد ألف شرحه استجابة لجماعة من أهل العلم طلبوا منه شرح هذا الكتاب الجليل وهذا الشرح مطبوع في مصر وغيرها.

٢) شرح الإمام الشيخ سراج الدين عمر الملقب بالشافعي: المتوفى سنة أربع وثمانمائة - شرح زوائده على الصحيحين في مجلدين.

٣) شرح أبي الثناء بدر الدين محمود بن أحمد موسى العيني: ويقع جزء كبير منه في مجلدين لكنه لم يكمل.

٤) شرح الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة شرح سنن أبي داود في كتاب وسماه (مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود).

٥) شرح العلامة ابي الحسن السيدي المدني: المتوفي سنة ألف ومائة وثمان وثلاثين. وهو تعليق لطيف وجيز على السنن سماه (فتح المودود في شرح ابي داود).

وفاة الإمام أبي داود:

توفي بالبصرة يوم الجمعة - لأربع عشرة بقين من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن الى جانب قبر سفيان الثوري[١٠].

وقد ذكر الحافظ البغدادي أن أبا الحسين بن المنادي قال ودخلها يعني بغداد أبو داود مراراً ثم خرج منها آخر مراته سنة إحدى وسبعين إلى البصرة فنزلها ومات بها في سنة خمس وسبعين ومائتين لأربع عشرة بقين من شوال وصلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمي[١١].

الهوامش:

(١) أبو داود (ت ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين، جـ ١ ، ط ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ص ٤).

(٢) الذهبي، (ت ٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ، ط ١٠ (بيروت: دار الفكر العربي، ص ٥٩١).

(٣) الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، جـ ٩ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٥٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني، (ت ٥٨٢هـ)، تهذيب التهذيب، جـ ٤ ، ط ١ (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٤م) ص ١٥١.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٦) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، جـ ٦، ص ٢٤٧.

(٧) أحمد محرم الشيخ ناجي، الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، جـ ٢، (القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٩٨٧م) ص ٢٦٨، ص ٢٦٩.

(٨) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٩) أبو داود، مرجع سابق، ص ١٠ - ١١

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ط١، م٦، القاهرة: دار الغد العربي، ص ٧٢ - ٧٣).

(١١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص ٥.

منهج الامام الطبري في تفسيره

(٢٣٩ ـ ٣٢٣هـ/ ٨٣٩ ـ ٩٢٣م)

بقلم: د. احسان الحق عبد الحق

كان الامام الطبرى احد الأئمة الاعلام، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره. فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بمعانيه، فقيها في احكامه، عالما بناسخه ومنسوخه، ملما باقوال الصحابة والتابعين، مطلعا على ايام الناس واخبارهم. برع في علوم كثيرة منها علم القراءات والتفسير والحديث والفقه والتاريخ. وكان عالما باللغة والنحو، وخاصة مذهب الكوفيين، لقى امامهم ثعلبا، واخذ عنه النحو، وقرأ عليه دواوين الشعراء، واستخرج منها كثيرا من الشواهد التى عوّل عليها في التفسير والتاريخ وغيرهما. صنف في علوم كثيرة واجاد فيما صنف، ولكن معظم تصانيفه قد اختفت منذ زمن بعيد، وحظي الامام بالشهرة الواسعة الى يومنا هذا بكتابيه وهما كتاب التفسير والتاريخ. ويعدّ الامام من أحسن الامثلة للشخصيات الكبيرة من العلماء الذين تخرجوا بثقافة القرن الثالث، وكان من اخصب عصور العلم والمعرفة عند المسلمين، التقت فيه تيارات الفكر الاسلامي بتيارات الفكر الاجنبي، فظهرت فيه عقليات جديدة، امتازت بالنضج والدقة والعمق، وصفاء التفكير، وسيطرة المنطق على آثار العقول، والميل الى الاستقصاء في البحث، واستقلال الرأى.

وقد ظهرت هذه السمات الثقافية للقرن الثالث في عقل الامام الطبري ومنهجه في التأليف، فاخرجت منه عالما مستقل الرأى، وبحرا زخارا منقطع النظير، وظهرت آثار ثقافته الواسعة فيما ألف من تواليف أثنى عليها العلماء، وتلقتها الامة بالقبول، ولا سيما كتابه في التاريخ، ثم كتابه في التفسير، فهو أب التفسير كما اعتبر أباً للتاريخ الاسلامي وذلك بالنظر لما في هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية. فكتابه في التفسير (جامع البيان في تأويل آي من القرآن) يعتبر المرجع الأول والأهم للتفسير بالمأثور وهي ميزة لا نعرفها لغيره من كتب التفسير بالرواية وان كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعا غير قليل الاهمية من مراجع التفسير العقلي، نظرا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الاقوال، وترجيح بعضها على بعض ترجيحا يعتمد على البحث الحرّ الدقيق.

فاتفق الباحثون في الشرق والغرب بعظيم قيمته وعلى انه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطى رحمه الله «وبعده ابن جرير الطبرى، وكتابه أجلّ التفاسير واعظمها، ثم ابن أبى حاتم، وابن ماجه، والحاكم وابن مردويه، وابو الشيخ بن حبان، وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة الى

الصحابة والتابعين واتباعهم، وليس فيها غير ذلك الا ابن جرير، فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك»[١].

ثم ذكر الامام السيوطى انواع التفاسير المختلفة، ونقد نقدا على بعض النحويين والاخباريين والفلاسفة من المفسرين ورأى ان كلا منهم يقتصر في رأيه الذى يغلب عليه، ثم قال «فان قلت فأي التفاسير ترشد اليه، وتأمر الناظر ان يعوّل عليه، قلت تفسير الامام ابى جعفر الطبرى الذى اجمع العلماء المعتبرون على انه لم يؤلف في التفسير مثله»[٢].

وقول ابي بكر محمد ابن اسحاق ابن خزيمة معروف حول هذا التفسير عندما استعاره من ابى بكر وقرأه في سنتين ثم اعاده اليه قائلا «نظرت فيه من أوله الى آخره وما اعلم على اديم الأرض اعلم من ابن جرير»[٣]، وقال ابو حامد الاسفرائيني «لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا، أو كلاما هذا معناه»[٤]، فنستطيع ان نقول ان تفسير الامام هو التفسير الذى له الاولية بين كتب التفسير من ناحية الزمن ومن ناحية الصناعة. فالمحاولات التفسيرية السابقة ذهبت بمرور الزمن الا ما وصل الينا في ثنايا الكتاب اي التفسير الطبري. اما من ناحية الفن والصناعة فالامر يرجع الى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التى سلكها فيه مؤلفه حتى أخرج للناس كتابا قيما نادرا، وقد استخار الامام قبل بدء عمله الجليل فيقول «استخرت الله تعالى في عمل كتاب وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن اعمله فأعانني»[٥].

وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة، ومنهجه فيه منهج جلي، فعندما يبدأ تفسير الآية يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا ثم يفسر الآية يستدل على ما قاله بما يرويه بسنده الى الصحابة والتابعين من التفسير المأثور عنهم في الآية اذا كان في الآية قولان أو اكثر، فانه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين، ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل يستعرض الاقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما يتحدث عن الاعراب ان اقتضت الضرورة لذلك. ويستدل الاحكام من الآية ما امكن مع توجيه الادلة وترجيح ما يختار. وهذه اهم ميزة من ميزات تفسيره التي فتحت باب تفسير الرأى بعد ذلك في تاريخ التفسير[٦].

وقد كتب صاحب الارشاد الى معرفة الاديب عن منهجه باسلوب بليغ فقال: «وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والاعجاز والفصاحة التي نافى بها سائر الكلام من مقدمات الكلام في التفسير وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله وما ورد في جواز تفسيره وما حظر من ذلك، والكلام في قول النبي [صلى الله عليه وسلم] أنزل القرآن على سبعة أحرف وبأي الألسنة نزل والرد على من قال إنّ فيه أشياء من غير الكلام العربي وتفسير اسماء القرآن والسور وغير ذلك مما قدمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفا حرفا فذكر اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن تابعي التابعين وكلام اهل الاعراب من الكوفيين والبصريين وجملا من القراءات

واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية. والكلام في ناسخه ومنسوخه واحكام القرآن والخلاف فيه والرد عليهم من كلام اهل النظر فيما تكلم فيه بعض اهل البدع والرّد عليهم على مذاهب اهل الاثبات ومبتغي السنن الى آخر القرآن.

وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق وعن سعيد بن جبير طريقين وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك وعن قتادة ثلاثة طرق وعن الحسن البصري ثلاثة طرق وعن عكرمة ثلاثة طرق وعن الضحاك بن مزاحم طريقين وعن عبد الله بن مسعود طريقا، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتفسير ابن جريج وتفسير مقاتل ابن حيان، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم وفيه من المسند حسب حاجته اليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به فانه لم يدخل في كتابه شيئا عن محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي لانهم عنده اظناء والله اعلم. وكان اذا رجع الى التاريخ والسير واختيار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وعن محمد بن الواقدي وغيرهم فيما يفتقر اليه[٧].

اهتمامه باللغة والنحو والبلاغة:

قدّم الامام الطبري في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة التي تعتبر كنزا ثمينا في موضوعها. وهذا يدل على معرفته الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ، فالامام يرجع الى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}.

يقول الامام: «وأصل المرض السّقم، ثم يقال ذلك في الاجساد والاديان، فاخبر الله جل ثناؤه، ان في قلوب المنافقين مرض، وانما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم، الخبر عن مرض ما غلوا من الاعتقاد، ولكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب، انه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد، استغنى بالخبر عن القلب بذلك، والكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم كما قال الشاعر:

وسبحت المدينة لا تلمها
رأت قمرا بسوقهم نهارا

يريد وسبح اهل المدينة، فاستغنى بمعرفة السامعين خبره، بالخبر عن المدينة عن الخبر عن اهلها، ومثله قول عنترة العبسي:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بمالا تعلمي

يريد هلا سألت اصحاب الخيل؟ ومنه قوله: يا خيل الله اركبي، يراد يا اصحاب خيل الله اركبوا. فمعنى قول الله جل ثناؤه «في قلوبهم مرض» انما يعني في اعتقاد قلوبهم الذى يعتقدون في الدين والتصديق بمحمد {صلى الله عليه وسلم} وبما جاء به من عند الله مرض وسقم[٨].

او مثلا عند تفسيره لقوله تعالى {فلا تجعلوا الله

أندادا، وأنتم تعلمون}. يقول ما نصه قال ابو جعفر: والانداد جمع ند، والند: العدل والمثل، كما قال حسان بن ثابت:

اتهجوه ولست له بندٍّ
فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله: ولست له بند، لست له بمثل ولا عدل، وكل شيء كان نظيرا لشيء أو شبيها فهو له ند[٩].

ويكثر الامام في مناسبات متعددة من الاحتكام الى ما هو معروف من لغة العرب فيرجح بعض الاقوال على بعض على هذا الاساس، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية من سورة هود {حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور} نراه يذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ التنور فيروى لنا قول من قال: انه عبارة عن تنوير الصبح، وقول من قال انه عبارة عن اعلى الارض واشرفها، وقول من قال انه عبارة عما يختبز فيه. ثم يقول بعد سرد هذه الاقوال كلها «وأولى هذه الاقوال عندنا بتأويل قوله التنور قول من قال التنور، الذى يختبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه الا الى الاغلب الاشهر من معانيه عند العرب، الا ان تقوم حجتهم على شيء منه بخلاف ذلك فيسلّم لها، وذلك انه جل ثناؤه انما خاطبهم بما خاطبهم لافهامهم معنى ما خاطبهم به»[١٠].

الرد على من يفسر بمجرد رأيه:

لا يمنع الامام لجوؤه الى كلام العرب ان يستنكر اصحاب الرأى المستقلين في التفكير، الذين يستغنون عن الرجوع الى اقوال الصحابة والتابعين في التفسير ويعتمدون على كلام العرب واللغة فقط. فمثلا عندما تكلم عن قوله تعالى {ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون} (يوسف/٤٩) فيقول ما نصه وكان بعض من لا علم له باقوال السلف من اهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله تعالى «وفيه يعصرون» الى وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم انه من الغصر، والعصر التي بمعنى المنجاة، من قول ابى زبيد الطائى:

صاديا يستغيث غير مغاث
ولقد كان عصره المخيور

أي المقهور. ومن قول لبيد:

فبات واسرى القوم آخر ليلهم
وما كان وقّافا بغير معصر

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع اهل العلم من الصحابة والتابعين[١١]، هكذا نجد الامام في مواضع كثيرة من تفسيره يرد على مثل هذه الآراء التي لا تستند على شيء الا على مجرد الرأى أو محض اللغة.

اهتمامه بالمسائل الكلامية:

كان الامام الطبرى لم يقف كمفسر موقفا بعيدا عن مسائل النزاع التى تدور حول العقيدة في عصره، بل نراه يشارك في هذا المجال من الجدل الكلامى مع حرصه كل الحرص على الاحتفاظ بتعاليم اهل السنة فكان الامام عالما ممتازا في امور

العقيدة فهو في جدله الكلامي وتطبيقه ومناقشته، موافق لأهل السنة في آرائهم ويظهر ذلك في رده على القدرية والمعتزلة، فيرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الاعتقادية ويجادلهم مجادلة جادة في تفسيرهم العقلي التنزيهي لآيات الرؤية ذاهبا الى ما ذهب اليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها، ومع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه والرد على اولئك الذين يشبهون الله بالانسان.

الاحكام الفقهية
وتقديره لاجماع الأمة:

نجد في تفسير الامام آثارا للأحكام الفقهية يبحث فيها عن اقوال العلماء ومذاهبهم فيختار لنفسه رأيا من الآراء ويرجحه بالأدلة القيمة فمثلا يكتب في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: {والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون}.

فيختار قول من قال: إن الآية لا تدل على حرمة شيء من ذلك، ووجّه اختياره هذا فقال ما نصه: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني ـ وهو أن الآية لا تدل على الحرمة ـ وذلك أنه لو كان في قوله ـ تعالى ذكره ـ [لتركبوها] دلالة على انها لا تصلح ـ اذ كانت للركوب ـ للأكل، لكان في قوله {فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون} دلالة على أنها لا تصلح ـ اذ كانت للأكل والدفء ـ للركوب. وفي اجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره ـ ومنها تأكلون ـ جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال لتركبوها ـ جائز حلال غير حرام، الا بما نص على تحريمه، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فاما بهذه الآية فلا يحرّم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الاهلية بوحيه الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وعلى البغال بما قد بيّنا في كتابنا كتاب الاطعمة بما اغنى عن اعادته في هذا الموضع، اذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وانما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على ان لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس[١٢].

كذلك نجد ان الامام الطبرى يقدر اجماع الأمة، ويعطيه سلطانا كبيرا، فمثلا عند قوله تعالى في الآية من سورة البقرة: «فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره» يقول ما نصه[١٣] «فان قال قائل: فاى النكاح عنى الله بقوله: فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره؟ النكاح الذى هو جماع؟ ام النكاح الذى هو عقد تزويج؟ قيل كلاهما وذلك ان المرأة اذا نكحت زوجا نكاح تزويج ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحُها ولم يجامعها حتى يطلقها لم تحل للاول، وكذلك ان وطئها واطىء بغير نكاح لم تحل للاول، لاجماع الامة جميعا، فما كان ذلك كذلك، فمعلوم ان تأويل قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا، نكاحا صحيحا، ثم يجامعها فيه، ثم يطلقها، فان قال: فان ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله ذكره، فما الدلالة على ان معناه ما قلت؟ قيل الدلالة على ذلك اجماع الأمة جميعا على ان ذلك مما تركه مالا يعنيه.

الامام الطبري لا يهتم في تفسيره بالامور التى لا تغنى ولا تفيد، فنراه مثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة المائدة: {اذ قال الحواريّون يا عيسى ابن

ملف خاص

مريم هل يستطيع ربك ان ينزّل علينا مائدة من السماء} يعرض لذكر ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذى نزلت به مائدة السماء ـ ثم يعقب على هذا بقوله {وأما الصّواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز ان يكون سمكا وخبزا، وجائز ان يكون ثمرا في الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به[١٤].

وهكذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية من سورة يوسف: {وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين}، يعرض لمحاولات قدماء المفسرين في تحديد عدد الدراهم، هل هي عشرون ام اثنان وعشرون؟ أو اربعون؟ الى آخر ما ذكر من الروايات ـ ثم يعقب على ذلك كله بقوله: {والصواب من القول في ذلك ان يقال: ان الله ـ تعالى ذكره ـ أخبر انهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة كتاب ولا خبراً من الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل ان يكون كان اثنين وعشرين، وان يكون كان اربعين، أو اقل من ذلك أو اكثر، واى ذلك كان فانها كانت معدودة غير موزونة، وليس في العلم بمبلغ ذلك فائدة تقع في الدين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه، والايمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه»[١٥].

وفي الحق ان شخصية ابن جرير الادبية والعلمية جعلت تفسيره مرجعا مهما من مراجع التفسير بالرواية، فترجيحاته المختلفة تقوم على نظرات ادبية ولغوية وعلمية قيمة»[١٦] وهذه المزايا جعلتها حيّة الى مدى الدهر فما طرأ عليه القدم وما تأثر بتقلبات الاحوال والازمان ولن يستغني عنه المفسر في المستقبل بالرجوع اليه الى يوم القيامة.

الهوامش:

(١) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، منشورات الرضى بيدار، الطبعة الثانية، مطبعة امير، الجزء الرابع ص ٢٤٢٠.

(٢) السيوطي (الاتقان في علوم القرآن) ص ٢٤٤.

(٣) ياقوت الرومي: معجم الادباء، تحقيق د.س مرجليوث، مطبعة هندية بمصر ١٩٣٠.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٢٥.

(٥) نفس المصدر: ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٦) نفس المصدر: ص ٤٣٩.

(٧) معجم الادباء: ص : ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٨) الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١ ص ١٢٥.

(٩) نفس المصدر: ص ١٦٣ جـ ١.

(١٠) نفس المصدر: جـ ١٢ ص ٣٨ ـ ٤٠ مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ الموافق ١٣٧٣هـ.

(١١) الطبرى جـ ١٢ ص ١٣٨.

(١٢) تفسير الطبري جـ ١٤ ص ٥٧ ـ ٥٨.

(١٣) تفسير الطبري جـ ٣ ص ٣٩١.

(١٤) الطبري جـ ٧.

(١٥) تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ١٠٣.

(١٦) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي جـ ١ ، ص ٢١٧.

الشاعر الحكيم: العنتري

(٠٠٠ ـ ٥٦٠هـ)

بقلم: د. ناظم رشيد

جمع كثير من رجالنا القدامى الأفذاذ بين العلم والأدب، والطب والفلسفة، والتاريخ والتفسير والحديث والفقه، والبلاغة والنقد الأدبي، والرياضيات والفلك.. وكانوا ماهرين في جميع هذه المعارف، متقنين لها، مجيدين في التأليف والتصنيف فيها، استطاعوا أن يخلدوا أنفسهم عند الاجيال اللاحقة بمعطياتهم النافعة.

عاش الحكيم العنتري في القرن السادس للهجرة، هو العالم الطبيب الأديب أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري المعروف بـ«العنتري» إذ كان في أول أمره يكتب سيرة عنتر بن شداد العبسي فصار مشهوراً بنسبته إليه.

هو في الأصل من جزيرة ابن عمر التي تقع شمال الموصل، ولا نعرف السنة التي ولد فيها، والبيت الذي عاش فيه، والبيئة التي درج فيها، والشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ منهم.

ومن يقرأ ما وصل إلينا من حكمه ووصاياه وشعره يستدل على دراسة واسعة وثقافة كبيرة في علوم اللغة العربية وآدابها. ونورد هنا جملة من أقواله ليقف القاريء على دقة فكره، وعمق تجربته، ووفرة درايته بشؤون الحياة:

- الجاهلُ عبد لا يُعتقُ رقُّه إلا بالمعرفة.
- كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح.
- الحكمة شرف من لا شرف له قديم.
- منْ أحبَّ أن ينوَّه باسمه فليكثر من العناية بعلمه.
- العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق.
- عدم الحكمة هو العقم العظيم.
- الجاهل يطلب المال، والعالم يطلب الكمال.
- الغمُّ ليل القلب، والسرورُ نهاره.
- شرف السم أهون من معاناة الهم.
- الحكمة غذاء النفس وجمالها، والمال غذاء الجسد وجماله، فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه، وتم كماله، ونَعُمَ باله.
- الأدب أزين للمرء من نسبه، وأولى بالمرء من حسبه، وأدفع عن عرضه وماله، وأرفع لذكره من جماله.

إنَّ مثل هذه الأقوال البليغة لا تصدر ـ كما هو المألوف ـ إلا من رجل خبر الحياة وعركها، وسبر أغوارها، ووقف على خيرها وشرها، وذاق حلوها

ومرها، وعرف حسنها وقبحها. ولم يكن الصفدي مجانباً الحقيقة حين قال عنه: «كان طبيباً مشهوراً، عالماً مذكوراً، حسن المعالجة، فيلسوفاً، متميزاً بالأدب».

كان العنتري طيب القلب، دمث الأخلاق، رقيق الشعور، صافي السريرة، يبغى الصلاح والفلاح للناس جميعاً، ويطلب لهم العزَّة والرفعة وعلو الشأن والمقام المحمود والعيش الكريم، ودليلنا في ذلك ما وصل إلينا من وصاياه التي صاغها في قوالب شعرية تتسم بجودة اللفظ، وحسن السبك، ووفرة الموسيقى، وصفاء الديباجة، يفهمها المتلقي بلا عناء وبلا كد للذهن، مثل قوله:

بُنيَّ كنْ حافظاً للعلم مُطَّرحاً
جميع ما الناس فيه تكتسبْ نسبا
فقد يسودُ الفتى من غير سابقة
للأصل بالعلم حتى يبلغ الشُّهُبا
غذّ العلوم بتنكار تزدْ أبداً
فالنارُ تخمدُ مهما لم تجدْ حطبا
إنى أرى عدم الإنسان أصلح من
عمر به لم ينل علماً ولا نشبا
قضى الحياة فلما مات شيعه
جهل وفقر لقد قضاهما نصبا

إنَّ هذا الشعر السهل المأنوس يمثل درساً تربوياً سديداً للأبناء في بناء كيانهم على الهدى والصلاح، وإرساء قاعدة حياتهم على المعرفة التي تسهل الصعود الى ذرى العلى والمجد، والارتقاء إلى المكانة الحصينة الرفيعة التي يتشرَّف المرء بها ويزهو بقدرها. وقال في أبيات أخرى ناصحاً ومرشداً:

بُنيَّ تعلَّم حكمة النفس إنها
طريق إلى رشد الفتى ودليلُ
ولا تطلب الدنيا فإنَّ كثيرها
قليل وعما رقدة فتزول
فمن كان في الدنيا حريصاً فإنه
يظلُّ كئيب القلب وهو ذليلُ

هذا اللون من النظم ليس بغريب ولا بجديد، فقد وجدناه سابقاً عند الشعراء المصلحين الزاهدين أمثال الإمام على بن أبى طالب، والإمام الشافعي، والإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنهم، فإنهم أتحفونا بشعر تهذيبي رائع يدعو إلى الفضيلة ونبذ الرذيلة.

وشاعرنا العنتري سار على هداهم واقتفى أثرهم وجاراهم في كثير من معانيهم التي ضمنوها شعرهم، وهي في الغالب شبيهه بالدروس التعليمية التي يوجهها المعلمون إلى تلامذتهم أو الآباء إلى أبنائهم، يرومون بها تقويم الأخلاق، وتحسين السيرة، وتجنب الشرور والآثام، والابتعاد عن مكامن المفاسد والقبائح. وتُعدُّ قصيدة العنتري التي يقول في مطلعها:

احفظ بُنيَّ وصيتي واعمل بها
فالطب مجموع بنص كلامي

من النظم التعليمي أو الدرس الأخلاقي المفيد، وقد تنازع على هذه القصيدة شاعران آخران هما الشيخ الرئيس ابن سينا، والمختار بن الحسن بن بُطلان، ولكن ابن أبي أصيبعة في عيون أنبائه يؤكد أنها للعنتري، ومن جملة ما جاء فيها قوله:

واجعل طعامك كلَّ يوم مرة
واحذر طعاماً قبل هضم طعام
لا تحقر المرض اليسير فإنه
كالنار يصبحُ وهي ذات ضرام
وإذا تغيَّر منك حال خارج
فاحتل لرجعه حلَّ عقد نظام
لا تشربنَّ بعقب أكل عاجلا
أو تأكلنَّ بعقب شرب طعام
وخذ الدواء إذا الطبيعة كررت
بالاحتلام وكثرة الأحلام
وإذا الطبيعة منك نقَّتْ باطناً
فدواء ما في الجلد بالحمَّام

وعلى هذا النهج تمضي أبيات القصيدة في تقديم الوصايا للإنسان في حفظ صحته ومعالجة ما يصيبه من مرض وتجنب ما يضره ويسيء اليه. ولعل عمله الطويل في معاينة المرضى وصنع العقاقير لهم ومداواتهم أكسبه خبرة كبيرة ومعرفة فائقة ودراية واسعة في حقائق الأشياء ودفعه الى نظم مثل هذا الشعر التعليمي، وقد أشار بنفسه إلى ذلك فقال:

أبلغ العالمين عني بأنّي
كلُّ علمي تصوُّرٌ وقياسُ
قد كشفتُ الأشياء بالفعل حتى
ظهرت لي وليس فيها التباسُ

وكان للعنتري نظرة خاصة في الحياة، فهو يراها أن تكون قائمة على أركان ثلاثة، لا يصح للمرء أن يتركها أو يتخلى عن ركن منها، لكيلا ينهدم بنيانه أو يتضعضع، الركن الأول السعي في طلب العلم والمعرفة والارتحال من أجلهما، والركن الثاني الكسب الحلال الذي يعينه على العيش الكريم ويقيه ذلَّ السؤال، والركن الثالث التمتع بما لذَّ وطاب من الأطعمة في ظل الراحة البعيدة عن الفحش ومهاوي الرذيلة:

اقسم العمر ثلاثاً واستمع
يا بُنيَّ النصح مني والرشادا
فاطلب الحكمة في أوله
واحرز العلم وجُبْ فيه البلادا
واكسب الأموال في الثاني وكل
واشرح الراح ولا تبغ الفسادا
وترقبْ آخر العمر فإنْ
جاءك الموتُ فقد نلت المرادا
وان اعتافك في إحداهما
طارق الموت فقد حزت الجهادا
هذه سيرة مسعود بها
نال في الدنيا وفي الأخرى السدادا

وله شعر رائق جميل سلس في وصف الطبيعة وما فيها من نباتات بهية وثمار شهية، ولا سيما ما شاهده في ديار الشام، وكان معجباً بمدينة دمشق وبمناظرها الخلابة وأجوائها الساحرة وحدائقها الغناء وفاكهتها الجنيَّة، وقد وسمها بالجنة الوارفة الظلال، ودعا قاطنيها الى المكوث فيها وطلب منهم

أن لا يبارحوها ويستبدلوها بغيرها، فإن ذلك الخسران الكبير:

لا تطلبنَّ بغــــيــــرها بدلا
هي جنةُ الله التي وعـــــدا
قضٌّ الزمـــان ولا تبعْ طمــعـــاً
نقـداً بوعـد ترتجيـــه غـدا
فــالعــاقلُ الفطنُ اللبــيبُ إذا
نال المنى في منزل قــعـــدا

وله شعر رقيق في الغزل والعتاب، وكذلك في المديح، ونقف هنا عند مقطوعة له يمتدح فيها فضيلة الشريعة الإسلامية التى أنارت السبيل للعباد، وهدتهم إلى الأعمال الصالحة، وجنبتهم الأفعال الطالحة، ووقتهم من الوقوع في الشبهات، وعصمتهم من الآثام وما نها الله عنه:

إنَّ الشــريعــة ألفّتْ بصــلاحــهـا
للعــالم المتـضــادد المتـمــازج
الشـــرعُ أصلح كلَّ غــاو مـــارد
وأمـــات شــرَّة كل جـــان مـــارج
لولا الشريعـة مـا تجمع واسـتوى
شـــملُ الورى ومنوا بشـــر هائج
إنَّ الشــريعـــة حكمـــة ومنافـع
لمداخل ومـــصـــالح لمخــــارج
والعــــــقلُ نور الله إلا أنه
للعــالم المحـــسوس غـيـرُ ممازج
فـمتى اكتـفـيت بفـعل عقل داخل
فــســدتْ أمــورك كلهــا من خــارج
الأنبـيـــاء كــواكب تهــدي إلى
سُبُل الهـدى لذوي السُّرى والدالج

وكان العنترى إلى جانب نظم الشعر مؤلفاً قديراً ومصنفاً بارعاً، وقد ذكر له ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء، والصفدي في الوافي بالوفيات، واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين أسماء عدد من كتبه، منها: كتاب «النور المجتنى من روض الندما، وتذكار الفضلاء الحكماء، ونزهة الحياة الدنيا»، وكتاب «الجمانة في العلم الطبيعي والإلهي»، وكتاب «الأقرباذين» وهو كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة، ورسالة «الشعرى اليمانية إلى الشعرى الشامية» كتبها إلى عرفة النحوي بدمشق جواباً عن رسالة جاءت إليه منه، ورسالة «حركة العالم» هنأ بها حجة الدين مروان لمَّا وزَّره أتابك زنكي بن آق سنقر، ورسالة «الفراق ما بين الدهر والزمان والكفر والايمان»، ورسالة «العشق الإلهي والطبيعي».

رحم الله هذا العالم الشاعر، فإن الوفاة أدركته سنة ٥٦٠ للهجرة تقريبا، ولم يذكره العماد الأصبهاني - وهو معاصر له - في خريدة القصر وجريدة العصر ما خلا بيتين من الشعر لا قيمة لهما. وكذلك أغفله ياقوت الحموي في معجم أدبائه وابن خلكان في وفيات أعيانه.

إنّ ما كتبناه عن العنترى لا يشكل إلا إضاءة يسيرة لعل فيها نفعاً والله من وراء القصد.

الخليل بن احمد الفراهيدي

حياته وجهوده في النحو والصرف
(١١٨ـ ١٩١هـ/ ٧١٨ ـ ٧٩١م)

بقلم: فاروق صالح باسلامه

اسمه ونسبه:

هو ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى، وقال يونس (بن حبيب): الفرهودى بضم الفاء، الازدي اليحمدي البصرى، أبوه احمد أول من سمي بعد النبي [صلى الله عليه وسلم] بهذا الاسم.

صفاته:

وصفه الانباري في نزهة الألبَّاء في طبقات الادباء (تحقيق أبى الفضل ابراهيم) بقوله: «سيد أهل الادب قاطبة في علمه وزهده». وقال ياقوت في معجم الادباء (طبعة الرفاعى) «سيد الادباء في علمه وزهده» وقال ابن النديم في الفهرست (الطبعة المصرية): قال ابراهيم الحربي احد المحدثين: كان أهل العربية كلهم اصحاب أهواء الا أربعة فانهم كانوا اصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصرى، والاصمعي».

ويقول خير الدين الزركلي في معجم الأعلام يصفه: «كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف».

وينقل الزركلي قول النضر بن شميل: «ما رأى الراءون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه»..

ويقول السيوطي في بغية الوعاة «تحقيق أبي الفضل ابراهيم».. وكان خيِّرا متواضعا.. ذا زهد وعفاف.

من أخبار زهده وتقشفه:

ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان (تحقيق محي الدين عبد الحميد ود. احسان عباس) وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابى صفره الازدي وكان والي فارس والاهواز فكتب اليه يستدعى في حضوره، فكتب الخليل جوابه:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي انى لا أرى احدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل:

ان الذى شق فمى ضامن
لى الرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالا قليلا فما
زادك في مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمان
لا تعجبن لخير زل عن يده
فالكوكب النحس يسقى الارض احيانا

ونقل السيوطى ايضا - عن النضر بن شميل - قوله:

«اقام الخليل في خص بالبصرة - والخص - في اللغة - البيت من القصب (المختار من صحاح اللغة) لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال».

ولا شك ان رجلا كالخليل بن احمد - رحمه الله - على هذا القدر من الجلالة في نفسه وسمو روحه لا يستغرب أن تنقل كتب التاريخ عنه كل ما سقناه - وغيره - ومن هذا قول الحنبلي في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب).

«قيل لما دخل الخليل البصرة لمناظرة أبي عمرو بن العلاء (وكان أستاذه كما نعلم) جلس اليه ولم يتكلم بشيء فسئل عن ذلك فقال: هو رئيس منذ خمسين سنة فخفت أن ينقطع».

ونقل الحنبلى أيضا: «قال الواحدى في تفسيره: الاجماع منعقد على انه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل.. وقال ابن الاهدل: ونقله صاحب العبر: «الخليل بن أحمد.. كان اماما كبير القدر.. خيّرا متواضعا، فيه زهد وتعطف» وقول ياقوت: «وكان يحج سنة ويغزو سنة وكان من الزهاد المنقطعين الى الله تعالى» ومن صفاته ايضا ما قاله الامام سفيان الثوري: «من أحب أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليل بن أحمد» وقد سقت هذه الاقوال استطرادا لوصف الرجل كما رآه غيره من القائلين فيه بالحق.

اساتذته وتلاميذه:

أخذ الخليل بن أحمد العربية عن ابى عمرو بن العلاء اللغوى وأحد مؤسسى النحو اضافة الى انه أحد القراء السبعة المعروفين أو العشرة على وجه الدقة.

وفي ذكر من تتلمذ عنهم الخليل في العربية والنحو وغيره يجدر بي أن أشير الى أن الاستاذ أحمد حسن الزيات قد أخطأ في كتابه (تاريخ الادب العربي) ص ٣٧٢ حينما قال في ذكره للخليل: «وأخذ عن سيبويه وعن نفر من الائمة كالنضير بن شميل ومؤرج السدوسي» والحق الذى نقله التاريخ ان هؤلاء المذكورين هم تلاميذ الخليل وليسوا بأساتذته ومعروف أن سيبويه كان كثير التردد على مجلس الخليل حتى كان الخليل يقول له: (مرحبا بزائر لا يمل) كلما جاءه أو جلس مجلسه. ويقول السيوطي: «وهو أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه وكلما قال سيبويه «وسألته» أو «قال» من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ا.هـ (بغية الوعاة) .. وهذا الكلام نقله السيوطى عن السيرافي المعروف.

ومن أساتذة الخليل ايضا عيسى بن عمر النحوى الذى يعد من مؤسسى علم النحو ايضا، ويعد الخليل بن احمد أحد مؤسسى علم النحو كذلك باعتبار آثاره التى نقلها عنه تلاميذه خاصة سيبويه في الكتاب وقد أثر عن الخليل كتب ورسائل في النحو والصرف الا ان القفطى كما يقول الدكتور شوقى ضيف يظن انها

منتحلة عليه: (المدارس النحوية) وسأضطر في زاوية جهود الخليل في النحو والصرف الى نقل جزء كبير مما سرده الدكتور ضيف في كتابه المذكور نظرا الى انه قد أتى بالقول الفصل في هذا الموضوع وخاصة أن الدكتور قد أتى بذلك في كتابه الذى خصصه للنحو ومدارسه ورجاله الذين اسهموا بجهودهم في بنائه واتساع آفاقه فيما بعد بكثرة التصانيف والكتب والمؤلفات المتون منها مثل المنظومات والألفيات وغيرها وشروحها الشروح الجامعة والمتعددة الاصناف.

ويقول الدكتور ضيف:

«وحقا سبقت الخليل في النحو والتصريف خطوات مهمة، وخاصة عند ابن ابى اسحاق وعيسى بن عمر ولكن من الحق ايضا أنه هو الذى رفع قواعدهما واركانهما وشاد صرحهما وبناءهما، يهتدى في ذلك ببصيرته النافذة التى أتاحت له وضع العروض وضعا تاما بحيث لم تستطع الاجيال التالية أن تضيف الى صنيعه شيئا. وبالمثل تناول علمى النحو والتصرف سانحين من اسلافه وما زال بهما حتى استويا في صورتهما التى ثبتت على الزمن، ونستطيع أن نقول في اجمال أن جمهور ما يصوره سيبويه في كتابه من أصول النحو والتصريف وقواعدهما إنما هو من صنيع أستاذه ولا ينكر احد ما لسيبويه من اكمال في العلمين وتتميم، ولكن المهم ان واضع تخطيطهما وراسم لوحتيهما انما هو الخليل، يتضح ذلك في محاوراته التى لا تكاد تنتهى مع تلميذه والتى تدور فيها مصطلحات النحو والصرف وابوابهما، من مثل المبتدأ والخبر وكان وإن وأخواتهما والافعال اللازمة والمتعدية الى مفعول به واحد أو مفعولين أو مفاعيل، والفاعل والمفاعيل على اختلاف صورها.. والحال والتمييز والتوابع والنداء والندبة والاستغاثة والترخيم والممنوع من الصرف وتصريف الافعال والمقصور والممدود والمهموز والمضمرات والمذكر والمؤنث والمعرب والمبني وهو الذي سمى علامات الاعراب في الاسماء باسم الرفع والنصب والخفض وسمى حركات المبنيات باسم الضم والفتح والكسر غير المنونة في مثل مررت بعبد الله باسم الجر، كما سمى السكون الذى يقع في اواخر الافعال المضارعة المجزومة باسم الجزم وكان يرى ان الالف والياء والواو في التثنية وجمع المذكر السالم هى نفس حروف الاعراب كما كان يرى ان اسماء الافعال مبنية ولا محل لها من الاعراب مثلها في ذلك مثل ضمير الفصل.

وأدته بحوثه الواسعة في بنية الكلمة وما لحروفها من اصالة وزيادة الى ان يقسم الكلمات الى مجردة ومزيده، ملاحظا ان المجردة لا تزيد علي خمسة ولا تقل عن ثلاثة.. ووضع للابنية المجردة والمزيدة الميزان الصرفى المشهور، وهو شديد الصلة بميزان تفاعيله في العروض مما يؤكد انه هو واضعه، وقد اتخذ فيه من تفعيلة الصيغة الثلاثية المجردة أصلا هو (فعل) وأضاف اليها (لاما) في وزن الرباعى المجرد مثل (جعفر) فوزنه فعلل (ولامين) في وزن الخماسي المجرد مثل (سفرجل) فوزنه فعلل، اما الكلمات المزيدة فلاحظ أن حروف الزيادة فيها عشرة، وتجمعها حروف كلمة (سألتمونيها) وقد رأى أن تنطق في الميزان بلفظها ليمتاز الاصلي من المزيد، فمثلا اكرم وزنها افعل وتفضل وزنها تفعل واقتطف وزنها افتعل وانكسر وزنها انفعل واستغفر وزنها استفعل، ومثلا اكرام وزنها افعال واقتطاف وزنها مفعال، واليه يرجع الفضل في

وضع قوانين الاعلال والقلب، ويكفي أن نذكر لذلك ثلاثة أمثلة، أما أولها فصيغة اسم المفعول من الفعل الاجوف مثل مقول ومبيع فقد كان يرى أن واو مفعول الزائدة هي المحذوفة من الصيغتين لأن الزائد أولى بالاعلال من الاصلي، وبذلك يكون وزن الكلمتين عنده (مفعْل) و(مفُعْل) بينما يذهب بعض النحاة الذين خلفوه الى ان عين صيغة اسم المفعول هي المحذوفة وأنّ وزنها لذلك (مقول) والمثال الثاني صيغة اسم الفاعل من الفعل الاجوف المهموز مثل جاء من جاء. وكان يرى انه حدث في الصيغة قلب، اذ قدمت ياء لفظه جائي على الهمزة، وذلك أن اسم الفاعل من الفعل الاجوف الثلاثي تقلب عينه همزة مثل سائل، فلو لم تتقدم الياء لأدى ذلك الى انقلابها همزة وان تجتمع همزتان في كلمة واحدة وهو شيء تكرهه العرب في لغتها، ومن أجل ذلك قدر حدوث قلب في الصيغة فأصبحت (جايئ) جائي، واعدها ذلك لان تعل اعلال كلمة قاض، فأصبحت (جاء) ودعم رأيه في هذا الاعلال والقلب بقياس كلمة جاء على كلمة شاك في قول طريف بن تميم العنبري:

فتعرّفوني انني انا ذاكم
شاك سلاحي في الحوادث مُعلم

فإنه قدم الكاف على الهمزة في الصيغة الاصلية لكلمة: (شاك) اذ اصلها «شائك» فأصبحت (شاكئ) ثم أعلها فأصبحت «شاك» ووزنها اذن «فالع» لا فاعل.

أما المثال الثالث فكلمة «اشياء» فانها جاءت عن العرب ممنوعة من الصرف مع انها جمع شيء وصيغة جمعها وهى افعال لا تمنع من الصرف، ومن أجل ذلك ذهب الخليل الي أنه حدث فيها قلب، وانها ليست على وزن أفعال، كما يتبادر فقد جمعت «شيئاء» على وزن فعلاء الممنوع من الصرف مثل خضراء بعلة ألف التأنيث الممدودة، والكلمة اذن اسم جمع لا جمع، وحدث فيها قلب مكاني اذ قدمت الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة على فائها، وبذلك أصبح وزنها (لفعاء) لا فعلاء وظلت ممنوعة من الصرف. واستدل الخليل على رأيه بأن الكلمة تجمع على (أشاوى) كما تجمع صحراء على صحارى، وأصلها عنده «أشايا» فأبدلت الياء واوا.

وعلى هذا النحو من التحليل، للقلب والاعلال في هذه الامثلة كان الخليل يحلل تحليلا واسعا عبارات اللغة، كما كان يحلل أدواتها وصيغها اللفظية تحليلا جعله يلتفت فيها الى النحت وأن من الممكن أن تكون الكلمة استخلصت من كلمتين، من ذلك اسم الفعل «هلُمّ» فإنه ذهب الى انه مركب من «ها» للتنبيه وفعل «لُم» أى لُمّ بنا، ثم كثر استعمال الصيغة فحذفت الالف من «ها» تخفيفا لأن اللام بعدها وان كانت متحركة فإنها في حكم الساكنة، وكأنها حذفت لالتقاء الساكنين فصارت «هلم». ومن ذلك تحليله للفظة «مهما» الشرطية فقد كان يرى أن أصلها «ما» ثم دخلت عليها «ما» التى تدخل على أخواتها الشرطيات مثل «اينما» واستقبح التكرار فى «ماما» فأبدل الالف الاولى هاء لانها من مخرجها، وحسن اللفظ بها، ومن ذلك «لن» الناصبة للمضارع فأصلها عنده: «لا أن» فحذفت الهمزة تخفيفا لكثرة دوران الصيغة في الكلام على نحو حذفها فى مثل «خُذْ وكُلْ ومُر وسلْ» ثم حذفت الالف لسكونها وسكون النون بعدها، أو بعبارة أخرى حذفت لالتقاء الساكنين، ومن ذلك تحليله لكلمة «ليس» فأصلها عنده: لا أيس فطرحت الهمزه وألصقت اللام بالياء ومن ذلك كلمة اذن فأصلها عنده إذْانْ...).أهـ

الزهراوي أبو الجراحة

(٣٢٥ ـ ٤٠١هـ/ ٩٣٦ ـ ١٠١٣م)

بقلم: د. محي الدين لبنيه

كان الزهراوي المعلم الرائد في الجراحة، ذاع صيته ولمع نجمه خلال قرون عديدة ثم طوى اسمه النسيان فيما بعد لسنوات طويلة ثم عرفت حديثاً أهمية أعماله وانجازاته في مجال الطب والجراحة وبدأ باستعادة المكانة التي يستحقها، ولقد تردد اسمه في المراجع الطبية.

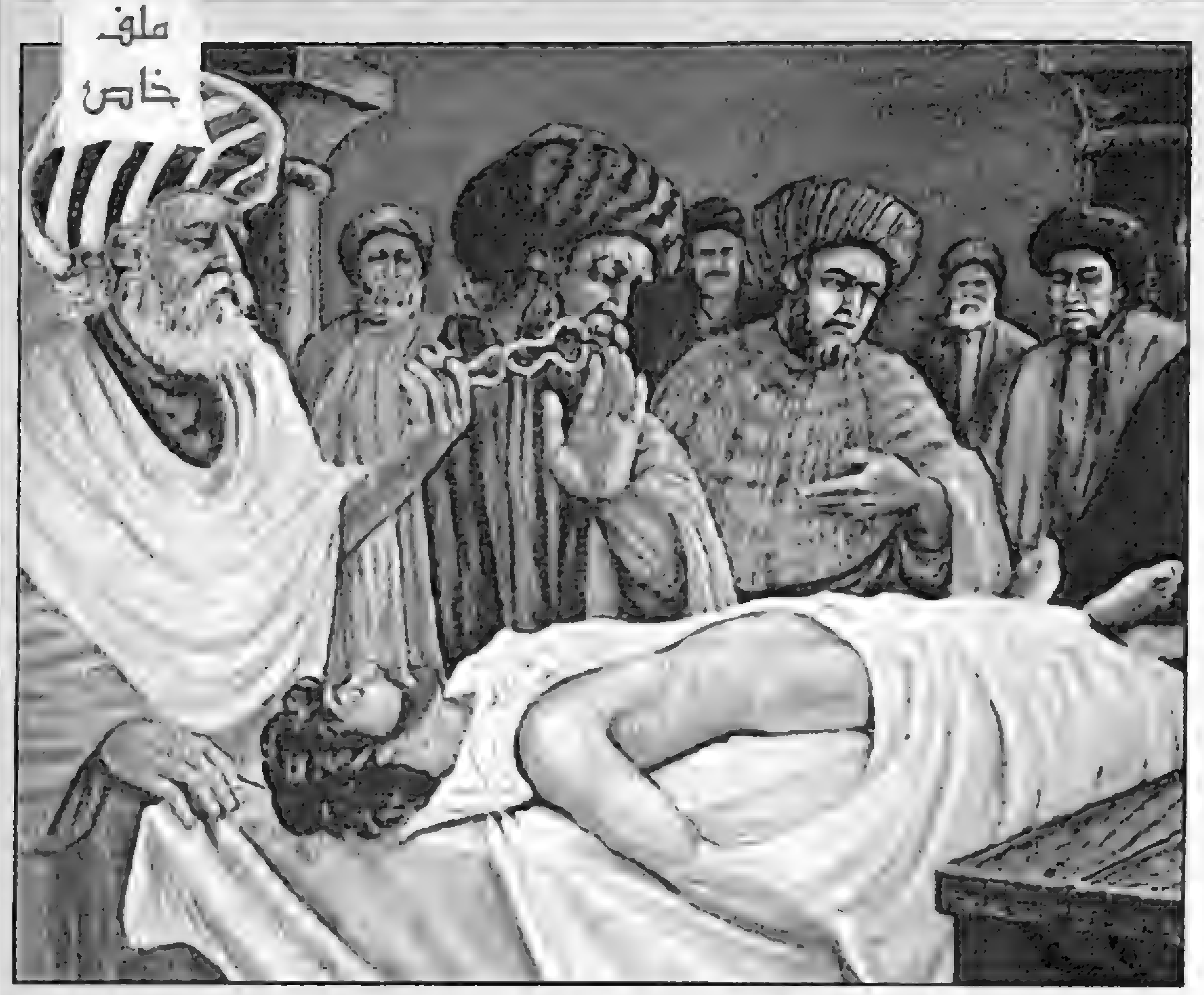
من هو الزهراوي؟:

ذكرت كتب التراجم والأعلام أنه «أبو القاسم خلف بن عباس» الملقب بالزهراوي أما في اللغات الاوربية فقد عرف اسمه بصور مختلفة فسمي بـ أبو الكاسس ـ البلكاسس ـ السروي ـ أكاراي ـ زاهر ڤيوس ـ الكارافي ـ الزهراوي. ولم يهتم أحد بتسجيل تاريخ ميلاده ووفاته بالتحديد شأنه في ذلك شأن أعلام العرب في تلك العصور الذين أهملوا في مطلع حياتهم، وتشير عدة مراجع بأنه ولد في الزهراء في القرن الرابع للهجرة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ومات في سنة ٤٠١هـ (١٠١٣م).

وقضى عمره في الأندلس التي كانت جزءا هاماً من الدولة الاسلامية في أوج مجدها، وكان الزهراوي أستاذ فن الجراحة وقد مارس بنفسه الكثير من فروعها المختلفة، وابتكر عدداً كبيراً من العمليات الجراحية وشرحها باستفاضة في كتابه «التصريف» مبيناً كيفية اجرائها، كما اخترع الكثير من الأدوات الجراحية، وسجل تفصيلياً طرق استعمالها وكان أول طبيب جراح شرح بالرسوم نوع الأدوات المستعملة في العمليات الجراحية وشكلها وحجمها حتى أن جوانب كبيرة من صفحات مجلدات كتابه احتوت على رسومات كثيرة لها الى حد جاوز أحياناً ما شغلته سطور الحديث عنها، ولقد كرس الزهرواي حياته وعبقريته لتقدم الطب بوجه عام والجراحة بوجه خاص.

البيئة التي عاش فيها:

عاش الزهراوي في مسقط رأسه «الزهراء» ولقب بها بعد أن تحولت من ضاحية قريبة من قرطبة الى مدينة مزدهرة بالعمران ويقال إنه عاش خلال فترة حكم الأمير عبد الرحمن الثالث والمعروف بالناصر ٣٠٠ ـ ٣٤٠هـ (٩١٢ ـ ٩٦١م) وهو أحد ملوك بني أمية الذي شيد الزهراء وأطلق عليها اسم زوجته محبة ووفاء وشجع الوجهاء والعلماء والمثقفين على الاستقرار فيها وقدم لمن يبني منزلا فيها منهم منحة مقدارها ٤٠٠ دينار، كان يحكم الأندلس في ذروة ما يعرف بالعصر الذهبي لها وحيث تمتعت هذه المدينة بالثراء وازدهار التعليم وانتشار مجالس العلم والمعرفة، واحتضنت قرطبة في ذلك العهد أعظم

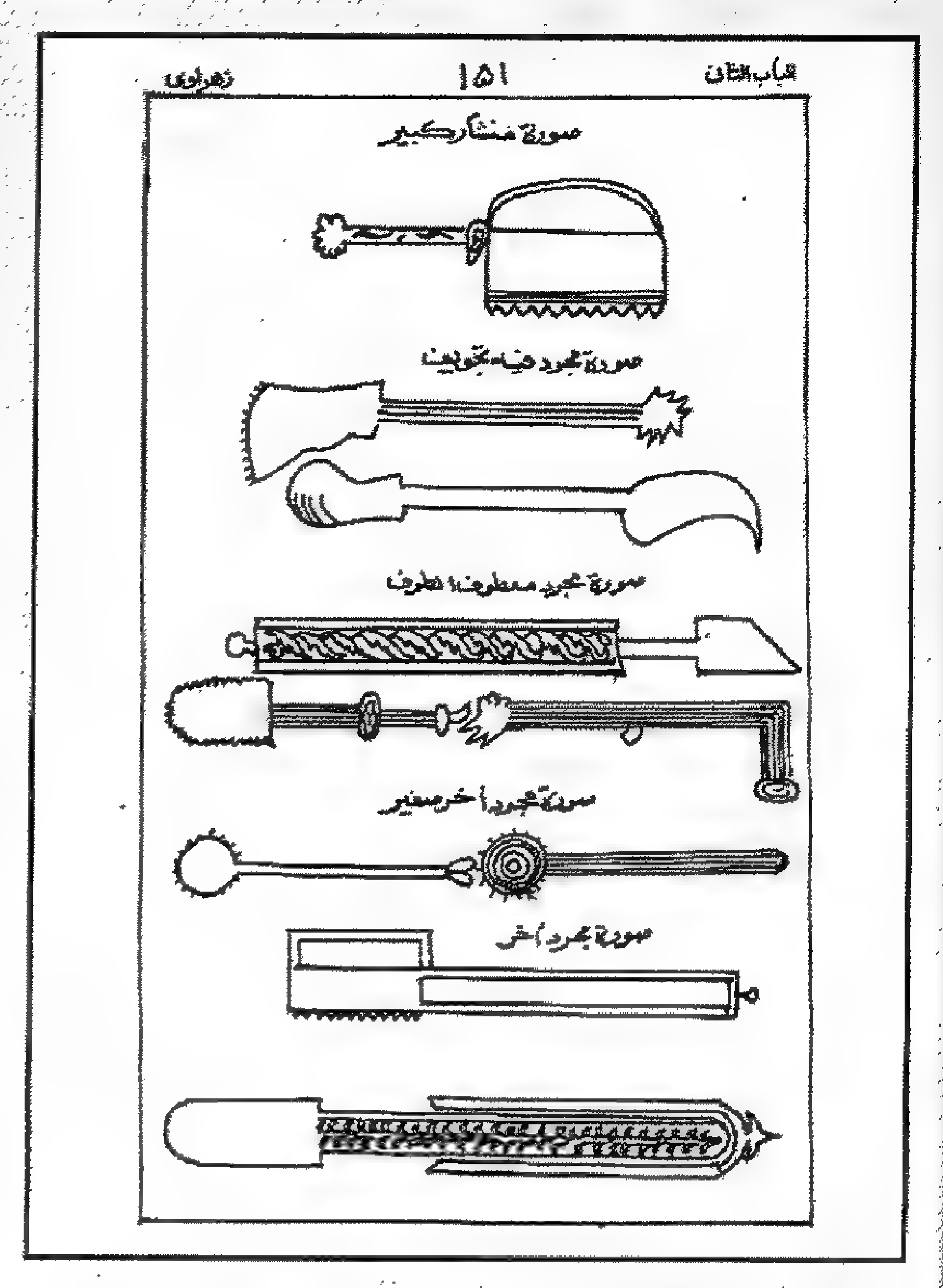


ـ أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦ ـ ١٠١٣)
ممسكا باحد الالات الجراحية التي ابتكرها وحوله تلاميذه يلقي عليهم درساً سريرياً

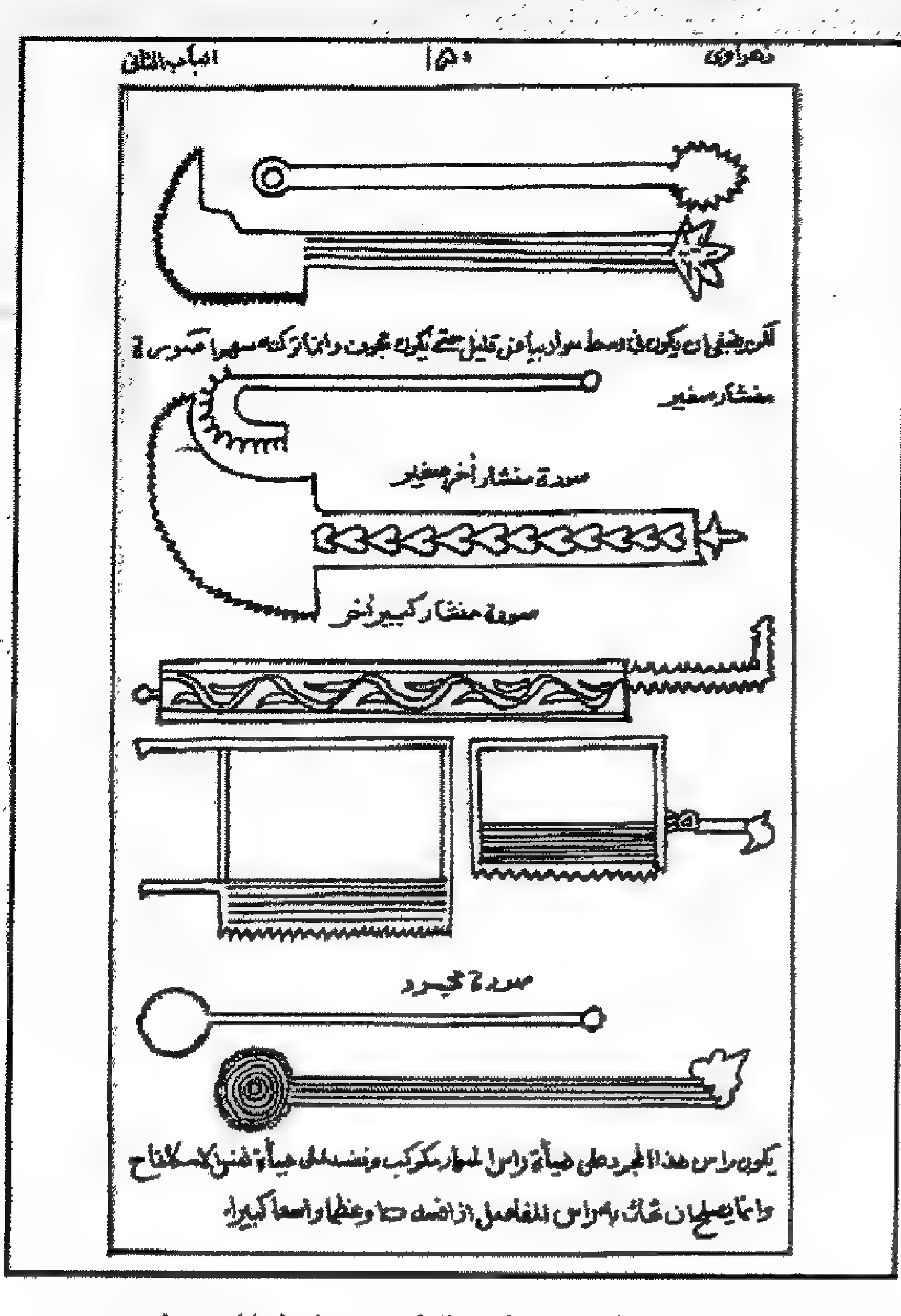
جامعة في الأرض اهتمت بمختلف مجالات العلوم وبلغ تعداد سكانها قرابة ربع مليون نسمة، كما كان يوجد فيها مكتبة عامة ضمت مالا يقل عن ٤٠٠ ألف مجلد وكان من الميسور الاستفادة من أي مؤلف فيها حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وعرف في الاندلس بذلك الوقت ما يزيد عن ٧٠ مكتبة عامة تشابه في عظمتها ما كانت عليه مكتبة قرطبة.

أثار الزهراوي:

اتفق معظم المؤرخين على أن كتاب «التصريف» هو أهم مؤلفات الزهراوي، ويتكون هذا الكتاب من ٣٠ جزءاً تحتوي بمجموعها على ١٥٠٠ صفحة كبيرة، اشتمل على معلومات تفصيلية في جميع التخصصات الطبية كالجراحة وعلم العيون والعظام والصيدلة والتغذية، وأصبحت معروفة لدى الكثير من الناس واحتلت هذه الموسوعة مكانة كبيرة بصفتها أحد المراجع الطبية في الكثير من الجامعات الأوربية خلال القرن الثاني عشر حتي السابع عشر الميلادي. ولقد انتقل هذا الكتاب من الأندلس الى جهات كثيرة في العالم وتداولته الأيدي بالطباعة والترجمة والنسخ



ـ صفحة من كتاب «التصريف» فيها رسوم توضيحية لأدوات جراحية متنوعة.



ـ رسوم معدات جراحية استعملها الزهراوي.

والتقسيم بجانب الاستفادة مما احتواه من معلومات ثمينة كما ترجم الى معظم اللغات الأوربية، ولم يتمكن المهتمون بالتراث القديم حتى اليوم لسوء الحظ من جمع أجزائه الثلاثين داخل مكتبة واحدة في العالم، وتكون مجلداته مكتوبة بلغات مختلفة ومحفوظة في العديد من العواصم الاسلامية كالقاهرة ودمشق وبغداد والرباط واستانبول وفي بعض المدن الأوربية كباريس ولندن واكسفورد والفاتيكان وفينيسيا، وبالرغم من أن كتاب «التصريف» احتل مكانة كبيرة خلال قرون عديدة مضت، إلا أن الزهرواي لم ينل حظه من الاهتمام والتقدير في البلاد العربية والاسلامية سواء في العصر القديم أو الحديث فكل ما ذكر عنه في كتب الأعلام والتاريخ والتراجم سطور قليلة لا تكفي لالقاء الضوء على مكانته العلمية وانجازاته الطبية وكان الأجانب أسبق منا إلى اجراء الدراسات حوله في حركة الاستشراق فمنهم من خلصت نيته.

اختراع الأدوات الجراحية:

كان الزهراوي أول من استحدث رسوم الآلات الطبية ووصفها في أجزاء كتابه (التصريف) كما سلف وكانت تصنع من الحديد أو الذهب أو الفضة ويختلف استعمال كل منها حسب الحالة المرضية ومكان الاصابة، بعضها المستخدم في الكي وهي ذات أشكال مختلفة ومنها المشارط كالمبضع الخاص بشق الخراريج أو تشريح ما تحت الجلد أو السلخ غير الحاد أو المستخدم لفتح الأذن وهناك آلة الكحت والكلاليب المتنوعة لخلع الاسنان وقاطع اللوزه وجفت

الحلق وأنواع مختلفة من المسبارات والسنانير والمشارط لاستئصال الأورام.

المعالجة بالكي:

عرف الكي لدى العرب منذ العصور القديمة وكان الزهراوي أول من ذكر الحالات التي يمكن بها استعماله تفصيلياً ووصف طريقة إجرائه وأكد على أهميته العلاجية واخترع أشكالا مختلفة من أدوات الكي لاستخدامها في أجزاء الجسم المختلفة ، وأشار الى ضرورة استعمال المعادن في الكي وقد لاحظ أن الحديد يصبح ذا لون أحمر في بداية تسخينه الشديد ثم يتغير الى الأبيض عند استمرار تعرضه لدرجات حرارة أعلى، ونصح أبو القاسم باستعمال الحديد المسخن لدرجة الاحمرار للكي لأنه يحدث تجمعاً بالأنسجة في مكان الكي، أما الحديد الساخن حتى الابيضاض فانه يقطع الأنسجة كالسكين، ودافع عن استعمال الحديد في الكي بدلا من النحاس والذهب لأن المعدن الأخير يبرد بسرعة واذا سخن لدرجة حرارة أكبر فانه ينصهر، ولقد تأكدت هذه الحقيقة التي لاحظها قبل زمن ليس بعيد فعرف أن نقطة انصهار الذهب هي ١٠٦٣م بينما تصل الى ١٥٣٥م في الحديد، ولقد فضل هذا الطبيب الكي بالمعادن عن استعمال المركبات الكاوية لإمكانية التحكم بمساحة الكي المطلوبة بينما لا يكون ذلك سهلا في حالة القلويات التي قد تحدث تلفاً بالأنسجة المجاورة لها ولا تكون قابلة للشفاء لحدوث التعفن فيها، وكان يوصف الكي في علاج الكثير من الأعراض المرضية كالصرع والسكتة المزمنة واسترخاء جفن العين ووجع الأذن وأمراض المعدة والامعاء والرأس وفي علاج الجذام الدرني وتقلصات الوجه الاختلاجية المؤلمة، كما استعمل الكي للتخلص من الزوائد التي تحدث في الأقدام وفي ايقاف النزيف الناشيء عن قطع شريان دموي بوضع إصبع السبابة على الجزء المقطوع منه في منطقة الاصابة لايقاف تدفق الدم ثم يكوى المكان بعد رفع الاصبع عنه.

الكسور والخلوع:

وبلغت عبقرية الزهراوي حداً لم ينس معها جراحة العظام أو التجبير كما كانوا يسمونه فقد كتب باستفاضة عن علاج حالات اصابة العظام ولم يغفل حتى عن عظام الأنف والفكين، وأشار إلى امكانية شفاء الكسور والخلوع واستعمل صفار البيض لتثبيت الكسور وعمل فتحة في جبيرة العظام لمعالجة الجرح المصاحب للشروخ العظمية. ولقد احتوى المجلد الخاص من كتابه «التصريف» موضوعات كثيرة حول الكسور والخلوع في أجزاء الجسم المختلفة مثل كسور الجمجمة والفك السفلي واليد والساق وأصابع القدم وخلوع الفك والأصابع والرسغ والحوض والركبة، ووصف بصورة مفصلة أسلوب المعالجة المعروف الآن بطريقة «كوشير» لاصلاح خلع مفصل الكتف.

جراحة الأنف والأذن والحنجرة:

شرح الزهراوي في كتابه أيضا طريقة عمل فتحة بالقصبة الهوائية في العنق Tracheostony وذلك بأن يعد الجراح ثلاث حلقات من القصبة الهوائية (الرغابي) أو أربعاً ثم يقطع الغشاء الواقع بين الجزءين الغضروفيين ويستمر ذلك حتى الوصول الى الجلد، كما كتب عن استئصال اللوزتين كلياً أو جزئياً وذلك بأن يضغط الجراح لسان المريض

بوساطة أداة خاصة ثم يدخل صنارة أو خطافا في اللوزة ويسحبها الى خارج الفم ثم يقطعها بمقص قوي، كما وصف عملية الشق لاخراج ما يسقط في الأذن وطريقة غسل الأذن بالمحقن المصنوع من النحاس أو الفضة.

جراحة الأسنان:

وتمكن هذا الطبيب من استعمال كلاليب مختلفة الأشكال لخلع الأسنان ابتكرها بنفسه ووصف طريقة تثبيت الأسنان المتحركة بأسلاك رقيقة مصنوعة من الذهب أو الفضة، واقترح استخدام عظام الحيوانات لصنع أسنان بديلة للانسان، وعالج الأورام والزوائد الليفية في لثة الفم بالاستئصال ثم الكي.

جراحة الأوعية الدموية:

كما أشار إلى وجود نوعين من الأوعية الدموية أحدهما ينبض، مما يدل على أنه كان على دراية بالاختلاف بين الأوردة والشرايين، وقام بوصف تفاصيل قطع الشريان الصدغي لمداواة المريض بالصداع المستمر، وأثار الانتباه الى الحقائق التالية:

- تنكمش الشرايين عند قطعها عرضياً ويتوقف تدفق الدم منها إذا كانت صغيرة.
- يسبب القطع غير الكامل للشرايين حدوث إدماء غزير.
- هناك احتمال حدوث نزيف متأخر إذا لم يُعتن بنظافة الجرح.
- يمكن أن يوقف النزيف الدموي في مكان الإصابة بضغطه بالاصابع ثم بالكي، أو ربطه بضماد جاف أو سكب الماء البارد عليه.

واستعمل لأول مرة الحرير في ربط الشرايين المقطوعة، كما استخدم أوتار العود المصنوعة من جدر أمعاء الغنم فيها.

المسالك البولية:

وصف أبو القاسم العمليات الجراحية في العديد من الحالات المرضية للجهاز البولي ومن ذلك ما يلي:

- الأطفال الذين يولدون بدون فتحة بول خارجية ظاهرة أو فتحة ضيقة موجودة في غير مكانها الطبيعي.
- الختان وذكر الأخطاء الشائعة التي تحدث فيه.
- حالة احتباس البول واستعمال القسطرة فيها.
- عملية ازالة حقن المثانة بعد عمل شق مقعدي للمريض تفصيلياً.
- تحويل مجرى البول الى الشرج في الرجال والمهبل عند النساء.

القبالة وصناعة التوليد:

لقد كان الزهراوي أول من وصف ما يعرف حالياً وضع ولشر Walcher,s Position في حالات الولادة العسيرة، وطريقة كريد Crede,s Method للتخلص من المشيمة المتبقية داخل جسم المرأة بعد الوضع، وهو الذي نصح بثقب رأس المشيمة وتفريغها من السائل المحيط بالجنين حتى يسهل خروج الوليد، واخترع واستعمل كلاليب خاصة لسحب رأس الجنين وبهذا يكون قد سبق عائلة كامبرلين الشهيرة في استعمال أمثال هذه الأدوات في صناعة التوليد.

طب العيون:

وشرح أيضاً بصورة مفصلة عملية علاج الشعرة Entropion Tnithias,s وهي تشابه

الطريقة المستعملة حالياً وإن كانتا تختلفتان في مقدار عمق الشق وبعض الأشياء الأخرى وفيها تزال حافة الجلد من جفن العين ثم يعمل شق في الملتحمه وهو الغشاء المخاطي لباطن العين ثم تخاط حواف الجلد معا، ويمكن بهذه العملية استدارة الجفن الحامل للشعر الى الخارج بعيداً عن مقلة العين.

كما وصف معالجة الظفرة Pterygium كالآتي: تدخل إبرة تحت الظفرة لرفعها ثم تغرس اسفلها شعرة خيل وتسلخ بالشعرة جانب الظفرة الذي يلي حدقة العين كأنك تنشرها بالشعرة الى آخرها، ثم يزال الجزء الموجود على قرنية العين بمبضع أملس حاد، وهي الطريقة المستعملة حالياً إلا أنه لا يستعمل فيها بالطبع شعرة الحصان.

وذكر طريقة علاج غزو القرنية بالأوعية الدموية Corneal Vascalarization والتي تنمو فيها أوعية دموية فوق قرنية العين بأن تلقط بالصنارة ثم يقطع كل وعاء دموي فيها بالمقص ويستعمل حالياً المشرط لهذا الغرض، وكتب عن علاج الاصابة بالماء الأبيض Cataract وذلك بأن يؤخذ مبضع أو مشرط مدبب الرأس ويدخل تحت حافة القرنية حتى وصوله لمكان الاصابة ثم ينزل مستواه إلى أسفل لفتح عدسة العين المحتوية على الماء الأبيض والتخلص منه، ويستطيع المريض بعد هذه العملية استعادة قدرته على الرؤية.

أعمال طبية أخرى:

وكان الزهراوي أول من وصف الاستعداد الخاص في بعض الاجسام للنزيف حيث شاهد عدة حوادث نزيف في عائلة واحدة، كما استحدث رسوماً للأعضاء والهيكل العظمي في أجزاء كتابه «التصريف» ووصف طريقة اخراج الاجسام الأجنبية من داخل المريء بوساطة اسفنجة متصلة بخيط متين ممتد إلى خارج الفم وحسن طرق عمليات البتر حيث كان يلجأ الأطباء قبله الى بتر الجزء المعتل فقط أما هو فقد أوصى بالقطع في الأنسجة السليمة عن بعد من المنطقة المريضة وهي الطريقة المتبعة حالياً واستعمل أنبوبة دقيقة الرأس لادخالها بعد شق جدار البطن للتخلص من السائل المتجمع في الغشاء البريتوني في حالة الاستسقاء عند الاصابة ببعض الأمراض، واخترع عمليات جراحية للفتق الأربي والأدرة المائية ودوالي الحبل المنوي أو الصفني والبواسير والناسور الشرياني والأصابع الملتحمة والأظافر التي تنمو داخل اللحم وتضخم ثدي الذكر والمرأة والخثونة وغير ذلك.

والخلاصة فان أبا القاسم الزهراوي كان أحد أعلام أمة سبقت عالمي زمانها، فعوداً الى الطريق التي عزت بها وأصبحت خير أمة اخرجت للناس وهذا هو المراد من الذكري.

المنهل:

كتاب الزهراوي (التصريف) اشتمل على ثلاثين مقالا..

ولقد اهتم الغربيون فقط بالمقال الأخير في هذا الكتاب وهو المقال الخاص بالجراحة... وركزوا عليه تركيزاً واضحاً في دراساتهم وبحوثهم.

ولم تحظ بقية المقالات الأخرى بالدراسة والتحليل بما حظى به المقال الاخير من الكتاب.

وكل هذه المقالات لها أهميتها العلمية، وكثير منها يتحدث عن الادوية وصناعتها.. ولكي نكون قد أوفينا الكتاب حقه نأمل أن يقوم الباحثون والمختصون بدراسة الكتاب دراسة متكاملة فان فيه من السبق العلمي ما يستحق البحث والتنقيب.

العالم العربي .. أبو الريحان البيروني

(٣٦٢ ـ ٤٤٨هـ / ٩٧٣ ـ ١٠٤٨م)

بقلم: عبد العزيز اسماعيل احمد

تميز القرن الحادي عشر الميلادي بغزارة الانتاج العلمي، والادبي في العالم العربي الاسلامي رغم التدهور السياسي، ويعود ذلك الى: «تشجيع حكام الأقاليم الطامعين في الانسلاخ عن بغداد، واغداق العطاء على العلماء الذين استعانوا بهم في تطبيق البرامج الحربية التي رسموها من أجل الغزو والتوسع. فمنذ القرن الرابع الهجري كان الوهن قد دبَّ الى صرح الخلافة الاسلامية في بغداد، ولم يعد للخليفة من سلطان حقيقي، كما تغلب العنصر التركي على الخلفاء الذين اضطروا صاغرين الى تفويض الاتراك والفرس في حكم بعض الولايات النائية، وعمد فريق من أولئك المفوضين الى البقاء في بغداد مع تفويض غيرهم ممن يثقون بهم في حكم تلك الولايات النائية نيابة عنهم».

في ذلك العصر نبغ مجموعة من العلماء العرب الذين زخرفت أسماؤهم صفحات التاريخ مثل ابن يونس المصري الذي اخترع رقاص الساعة وكان أول من استعمله لقياس الزمن وابن الهيثم المهندس البصري وعالم البصريات، وابن سينا الملقب بـ «الشيخ الرئيس» العبقري الذي اشتغل بالفلسفة، والطب، والمنطق، والرياضة، والفلك والفيزياء والموسيقى حتى عُدَّ منظم الفلسفة في الاسلام.. وبرزت سمةٌ علمية لذلك العصر تمثلت بظاهرة «الانتاج الغزير» لابي الريحان البيروني. ذلك العالم الجليل الذي احتل قمة المجد والازدهار العلمي مع لفيف من علماء العرب في عصر النهضة.

حياة البيروني:

ولد ابو الريحان البيروني وكان اسمه «محمد بن احمد البيروني» في احدى ضواحي عاصمة الدولة الخوارزمية وذلك عام (٣٦٢هـ) الموافق لعام (٩٧٣م) وهناك نوع من الغموض في المعلومات الواردة الينا عن حياته الأولى فلا نعرف له بشيء يذكر عن أسرته، أو عن صباه، وما تلقاه في أول عهده بالتعليم.

يمكننا أن نتعرف على شخصية البيروني من خلال رسائله ومقالاته وكتبه.. فنرى أنه اتصل بثلاثة من أشهر علماء عصره.. من الذين كتبوا في العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك، فأناروا له طريق البحث، ومهدوا أمامه سبيل المعرفة وهم: ابو نصر منصور علي بن عرَّاق، وابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي، وابو علي الحسن بن علي الجبلي.

وتمكن البيروني وهو شاب من اجادة اللغتين العربية والفارسية مع لغته الأصلية الخوارزمية ثم أضاف اليها فيما بعد اللغات السنسكريتية، واليونانية والسريانية.. مما جعله يغترف من معين الدراسات العلمية، والاطلاع على مراجع الثقافات المختلفة.

نبغ ابو ريحان البيروني في الرياضيات والفلك، ويعتبر جغرافياً ومؤرخاً، ولغوياً، وفيلسوفاً كما كتب رسائل في بعض النواحي العلمية الأخرى كالاقتصاد والنبات حتى إنه أطلق عليه لقب الاستاذ، وقد بقي في موطنه حتى بلغ الثالثة والعشرين، حيث عمل في باديء الأمر مساعداً لأحد علماء النباتات يجمع له الكثير منها ومن بذورها، فغرس ذلك في نفسه حب الاستطلاع والتقصي، وطلب العلم.

ولعل حب الاستطلاع عنده جعله ينتقل من دراسة

العلوم الدانية الى دراسة الاسرار النائية التي تتمثل في الأجرام السماوية، فتدرّب علمياً على يد أستاذه أبي نصر منصور بن علي بن عراق كما اتصل بابن سينا، ونشر في تلك الفترة أوائل مؤلفاته.

لم يقتصر البيروني آنذاك على الحياة العلمية بل اشترك أيضاً في الحياة السياسية في خوارزم وانضم الى أنصار شاه أبي العباس. وفي عام ٣٨٥هجرية اغتيل أبو العباس نتيجة نضاله ضد العائلة الملكية الجديدة التي كان يرأسها مأمون بن محمد، فاضطر البيروني الى الهجرة خارج حدود وطنه الى (جرجان) في الجنوب الشرقي لبحر قزوين، حيث التقى بأستاذه الطبيب المنجم أبي سهل المسيحي، وفي رعاية أمير جرجان (قابوس بن وشمكير) بدأ البيروني التأليف وكتب باسم هذا الأمير كثيرا من المقالات والكتب كما نشر أول مؤلفاته الكبرى عن «التقاويم والتواريخ» ومسائل في الفلك والرياضيات.

وفي عام ٤٠٠ هـ عاد البيروني الى وطنه خوارزم وعهد اليه الأمير علي بن مأمون ببعض المهام السياسية نظراً لطلاقة لسانه وقدرته على الاقناع. والي جانب منصبه السياسي لم يدع نهمه الى العلم والاختراع.. فقد استمر في أبحاثه العلمية والفلكية، إلا أن نتاجه العلمي انخفض نتيجة للأعباء السياسية الموكولة اليه.

وفي عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م تم أسر البيروني أثر غزوة السلطان الغزنوي محمود بن سبستكين لخوارزم واحتلاله لها.. ونقل البيروني مع طائفة من العلماء الى مدينة (غزنة) وهناك كتب موسوعته النفيسة في علم الفلك (القانون المسعودي في الحياة والنجوم). وازداد اعجاب السلطان مسعود الغزنوي بالبيروني فاصطحبه معه في غزواته لشمال الهند حيث قام بنشر علوم الحضارة الاغريقية وفي الوقت نفسه درس العلوم الهندية ونشر كتاب (طريق الهند) عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، وكتاب (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) وأصبحت مدينة (غزنة) مقراً دائماً للبيروني حتى انطفأ تألق فكره.. وخمدت جذوة عبقريته الى الابد عام (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).

ويحدثنا المؤرخ ياقوت الحموي عن النيسابوري أن أحد أصحاب البيروني جاء لزيارته أثناء مرضه وقبيل لحظات من موته فقال: (دخلت على ابى الريحان البيروني وهو يجود بنفسه وقد حشرج بنفسه وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدة؟.

فقلتُ له اشفاقاً عليه: أفي تلك الحالة؟.

قال لي: يا هذا، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها؟.

فأعدت ذلك عليه وحفظه، وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده. وأنا في الطريق فسمعت الصراخ.

مؤلفات البيروني:

لم يتحمل الباحثون كثيراً من المشقة أثناء حصر مؤلفات البيروني، ذلك لأنه قام بتثبيت غالبيتها في رسالته المعروفة بالفهرس (اسماء الكتب التي اتفق لي عملها سنة سبع وعشرين واربعمائة وقد تم من عمري خمس وستون سنة قمرية وثلاث وستون سنة شمسية).

ويبدأ فهرسه هذا بذكر ثماني عشرة مقالة له أغلبها في الفلك. ويمكننا القول بأن البيروني خلف أكثر من (١٨٠) كتاباً ضاع الكثير منها والباقي موزع في مكتبات العالم.. ومن أشهر مؤلفاته العلمية هي:

- كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية.
- كتاب تاريخ الهند.
- كتاب الهند الكبير، أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.
- كتاب تقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسطة الكرة.
- كتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم.
- كتاب استيعاب الوجوه المكنة في صفة الاسطرلاب.
- كتاب الوساطة بين أبي الحسن الأهوازي والخوارزمي.
- جوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم.
- أطوال البلاد وعروضها.

- الآلات والعمل.
- الشعاعات والقمر.
- الحساب.
- الازمنة والأوقات.
- المذنبات والذوائب.
- تحقيق منازل القمر.
- عشر مقالات في خواص المعادن الهندسية والطبية والفلك.
- التنجيم.
- دوائر السموات في الاسطرلاب.
- منازعة مجال الاسطرلاب.
- اصلاح شكل منالاوس.
- مواقع السمت.
- مسائل المسائل الهندسية.
- كريّة السماء.
- القسي الفلكية.
- الارشاد في احكام النجوم.
- الجماهير في معرفة الجواهر.
- تكميل زيج «حبش» بالعلل وتهذيب أعماله من الزلل.
- اختلاف الأقاويل لاستخراج التحاويل.
- مفتاح الهيئة.
- نقل ضواحي الشكل القطاع الى ما يغني عنه.
- تهذيب الاقوال في تصحيح العرض والأطوال.
- تعيين البلد من الغرض والطول كلاهما.
- تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن.
- تهذيب فصول الفرغاني.
- اختلاف ذوي الفضل في استخراج العرض والميل.
- تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض.
- ايضاح الادلة على كيفية سمت القبلة.
- استخراج قدر الأرض برصد انحطاط الافق عن قلل الجبل.
- تصفح كلامه «أبي سهل الكوهي» في الكواكب المنقضة.
- تكميل صناعة التسطيح.
- تصور أمر الفجر والشفق في جبهة الشرق والغرب من الافق.
- استخراج الكعاب والاضطلاع بما وراءه من مراتب الحساب.
- جدول الدقائق.
- امتحان الشمس.
- رؤية الأهلة.
- التفهم لأوائل صناعة التنجيم.
- جدول التقويم.
- العمل بالاسطرلاب.
- جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة.
- أفراد المقال في أمر الظلال.
- استخراج الأوتار في الدائرة بخواص المنحنى فيها.
- الطريقة من ابتكار وحل بعض الاعمال.
- التحليل والتقطيع للتعديل.
- تمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر.
- التطبيق الى تحقيق حركة الشمس.
- جلاء الازهار في زيج البتاني.
- تحقيق منازل القمر.
- كيفية رسوم الهند في تعليم الحساب.
- براهين سد هانة في طرق الحساب.
- الصيدلة في الطب.
- استشهاد باختلاف الارصاد.

ويفتخر البيروني بكتبه. ويعتد بكل ما كتبه فيقول: «ويجب عليك أن تعلم فيما عددته من كتبي مما عملته في حداثتي وازدادت المعرفة بفنه بعد ذلك فلم أطرحه أو استرذله فانها جميعاً أبنائي والاكثر بابنه وشعره مفتون».

ويردد في مكان آخر فيقول: (انها بمنزلة الربائب في الحجور والقلائد على النحور لا أميز بينها وبين

الأنهار). ويتفق الشهرزوري في كتابه «نزهة الأرواح في تاريخ الحكماء» مع ياقوت الحموي على أن البيروني كان: «لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لاعداد ما يمس الحاجة اليه في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش».

أسلوب البيروني في الكتابة:

تتميز الكتابة عند البروني بالنقاط التالية:

١ ـ ترتيب الافكار وتسلسلها.

٢ ـ استعمال المصطلحات العلمية وابتداع التراكيب التي لا يصعب فهمها على المختصين.

٣ ـ عدم تنميق الجمل الا على قدر ما يقتضي الحال.

٤ ـ بقاء شيء من المسحة الأدبية.

٥ ـ الميل الشديد الى الجدل والنقد.

٦ ـ تجنب التعبيرات الفنية المائعة التي لا تجدي علمياً.

٧ ـ العناية الفائقة بمقدمات كتبه.

٨ ـ صياغة القوانين الرياضية.

ويمكننا القول أن (البيروني يتميز بالشجاعة العلمية ويتمسك بالعلم اليقين وبعده عن الأوهام واخلص لعلمه وعشيرته ولغته مع تواضعه أما أسلوبه في الكتابة فقد كان أسلوباً علمياً الى حد بعيد، موجهاً الى الخاصة دون العامة. كما آمن ايماناً تاماً باللغة العربية وفضلها على غيرها من اللغات. فكتب بها كل مؤلفاته تقريباً، وبذلك رفع من شأنها، وحبب الناس فيها، ودافع عنها ضد كل تيار فارسي أو أعجمي).

منهج البحث العلمي عند البيروني:

لخص الدكتور (الفندي) وزميله منهج البيروني في البحث العلمي بالنقاط الآتية:

١ ـ البحث والتجربة هما الوسيلة الى تحصيل المعارف، ومعنى ذلك عدم الأخذ بما يسلم به على سبيل القياس.

ملف خاص

٢ ـ النجاح والتوفيق موهبة من الله تعالى، ولعله يقصد بذلك أن الالهام والتوفيق في الكشوف العلمية يلعب فيهما الاحتمال حسب تعبيرنا الحديث وتتحكم فيهما الصدفة الى أكبر حد وهو قول مقبول لا غبار عليه. ونحن نؤكد هذا المعنى لأن البيروني يشترط المواظبة واستمرار الممارسة، وهما من شروط زيادة الاحتمال الرياضي والتوفيق والنجاح العلمي.

٣ ـ التحذير من كلام التقاليد. أي أن قول العالم (والله أعلم)، ليس فيه مسامحة بالجهل أي أن من يقولها لا يعفي نفسه من الجهل بما ينبغي أن يكون من علم الانسان.

٤ ـ التواضع أو التجرد من فكرة التفوق العنصري أو الديني.

٥ ـ الرجوع الى علوم الآخرين وخاصة من أهل اللغات الأخرى ومن هنا نجده يقبل على تعلم اللغة التي نقل عن أهلها.

٦ ـ ضرورة الرجوع الى المراجع الاصيلة ليستعين بها المرء أو ينقل عنها.

٧ ـ ضرورة سلوك المسلك الحسي. في طلب المعرفة، وهو العنصر الرئيسي في النهضة العلمية الحديثة.

ـ لقد تحدث الكثير من الأدباء والمفكرين عن حياة «البيروني» وكتبه التى حررت الفكر العلمي.. وأوجدت ابتكارات في مجالات العلوم الرياضية والفيزياء والفلك، وعلم الحياة، والفلسفة.

ومهما تحدثنا عن هذا العالم الجليل فلن نستطيع ايفاءه حقه إذا ما قورن بالذخائر القيمة التي خلفها للعصور المتعاقبة والحضارات المتتالية.

وقد اهتمت الأمة العربية في أيامها الزاهرة بالعلم والادب حتى كانت جميع الحركات العلمية، والثقافية قطعة من حياتها المجيدة. ويحق لنا على مر الأجيال أن نفتخر بالرعيل الأول من مفكرينا.. وعلمائنا.. وفلاسفتنا الذين قضوا لينيروا لنا دروب الحياة نحو

ابن بطوطة رحالة العرب والعجم

(٠٠٠ ـ ٧٧٦هـ)

بقلم : ابن الريف البخلاخي امحند

ابن بطوطة في سطور

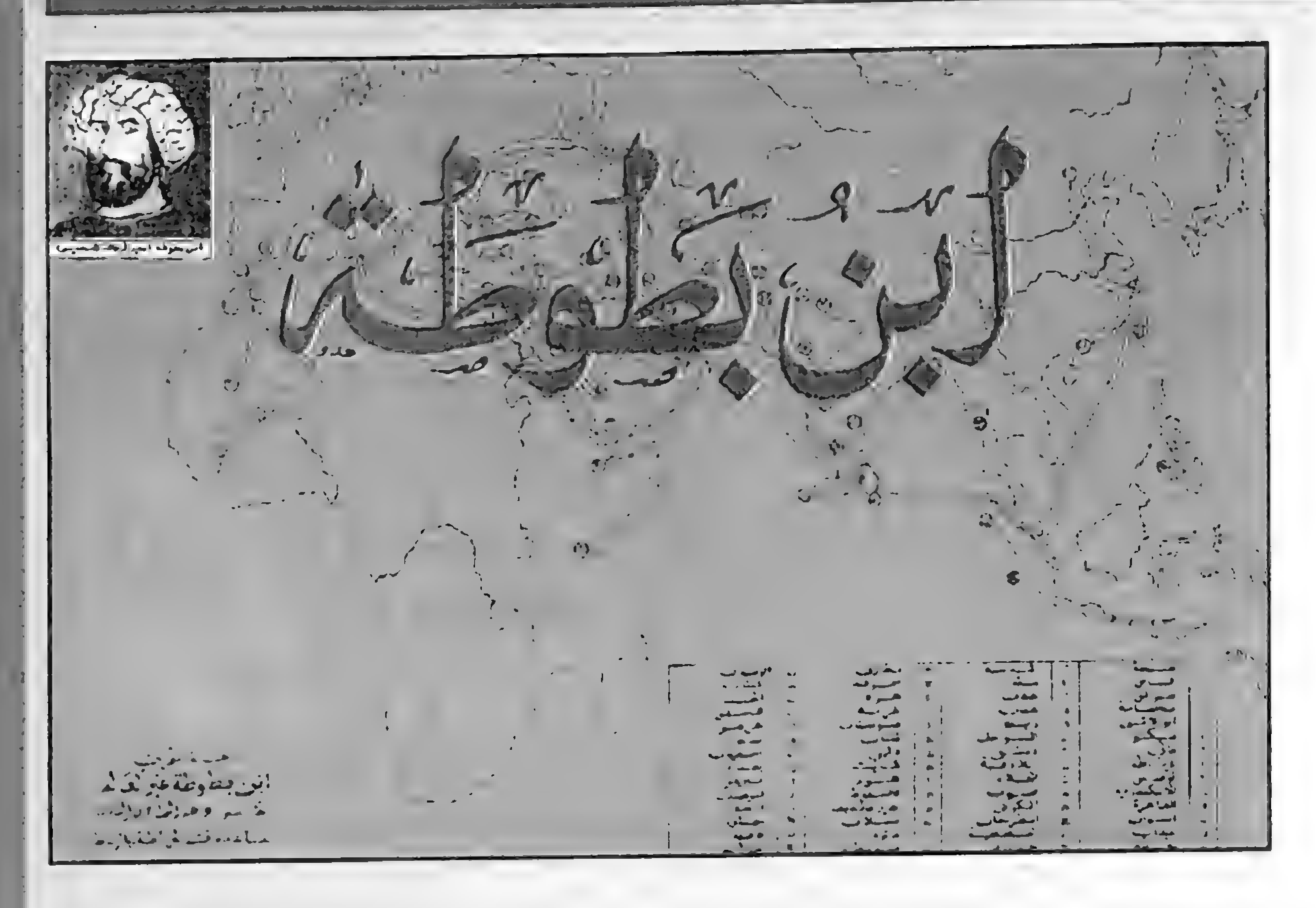
* هو محمد بن عبد الله اللواتي (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨م)

رحالة عربي ولد بطنجة، قضى (٢٨) سنة يجوب الارض، قطع مسافة قدرت بنحو (١٢٠،٠٠٠) كم٠٠ كانت رحلته الأولى بغرض الحج في ١٣٢٥م٠

قضى ثمانية اعوام في خدمة سلطان دلهي، عاد الى طنجة في (١٣٤٧م) ثم قام بعدة رحلات أخرى، وعاد بعدها الى فاس (١٣٥٤) فأقام بها حتى وفاته، وفيها أملى وصف رحلاته المشهورة باسم (تحفة النظار وغرائب الامصار وعجائب الاسفار)، ترجمت أجزاء منها الى كثير من اللغات٠

ابن بطوطة ورحلاته:

زار الشمال الافريقي تونس وليبيا ومصر، ثم ارتحل عبر فلسطين الى الشام وزار لبنان وسوريا، ثم انحدر جنوبا وتوجه الى مكة المكرمة حاجا، وتوجه بعد ذلك مع ركب الحجاج العراقيين عبر الصحراء العربية الى البصرة وواسط والنجف ووصل الى بغداد، ومن بغداد توجه الى الموصل وسنجار وماردين ووصل الى ايران، وتجول في شيراز وأصفهان، وزار اليمن وعبر البحر الاحمر الى افريقيا فزار الصومال وعاصمتها مديشو متوغلا في افريقيا ٠٠ ثم زار الخليج العربي وزار ظفار وعمان والاحقاف وسيراف والبحرين، ومن ايران توجه شمالا الى بلاد الاناضول وهي ما يسمى الآن بالجمهورية التركية، وزار القسطنطينية وكانت انذاك عاصمة بلاد الروم البيزنطية، وتوجه الى خوارزم بالاتحاد السوفياتي حتى وصل الى البلغار، على مقربة من سيبريا، ومنها الى هراة من جمهورية افغانستان ثم توجه الى الهند وباكستان وبنغلاديش ووصل الى دلهى عاصمة الهند وعبر نهر السندو من موانيء الهند الجنوبية، سافر بحرا الى جزائر (ذيبة المهل) وهي جمهورية مالديف ومنها سافر الى سرنديب جزيرة سيلان حاليا واليوم تسمى جمهورية سريلانكا، ومنها توجه الى جاوة وهي اليوم جمهورية اندونيسيا وزار جزيرة الفلبين وسافر الى الصين من شرقي اسيا، التي تضم الملايو وفيتنام وكمبوديا وبورما، ومنها سافر الى الهند بحرا الى سومطرة عبر تركستان حتى وصل الى خراسان وايران وعاد الى العراق مرة ثانية وزار بغداد ومنها سافر الى تدمر صحراء الشام ومنها الى دمشق والى القدس ومصر والقاهرة وتونس عبر البحر المتوسط الى جزيرة سردانية بايطاليا الى المغرب عبر مستغانم



وتلمسان بالجزائر وعبر جبل طارق الى بلاد الاندلس اسبانيا حاليا وحتى وصل الى غرناطة وعاد الى المغرب وزار الصحراء الكبرى متوغلا في انحاء افريقيا الغربية والوسطى حتى وصل الى مالي والنيجر وركب النيل من تنبكتو الى كوكو، ثم عاد الى مسقط رأسه طنجة عبر صحراء سلجماسة.

والحق يقال انه لا يوجد اي رحالة من الاجانب او العرب في القديم أو الحديث ينافس ابن بطوطة وزار بلدان العالم مثله، وعاش رحالا جوالا مدة ٣٠ سنة من عمره، انه كما قال له بعض العلماء الصلحاء المنصفين في تحفة النظار (رحالة العرب والعجم).

تأليف رحلته:

ولما سمع السلطان المريني ابو عنان بأخبار رحلات ابن بطوطة استدعاه الى حضرته بفاس واختبره ورأى صدق رواياته فأكرمه وجعله من اعضاء مجلسه العلمي وكلف مؤرخا وأديبا أندلسيا مقتدرا في مملكته هو ابن جزى ان يقوم بتلخيص تقيدات رحلات ابن بطوطة وان تكون رحلته تضم المواضيع التالية:

(ما شاهده في رحلته من الاقطار - وما علق بحفظه من نوادر الاخبار - وذكر ما لقيه من ملوك الاقطار - وعلمائها الاخيار - وأوليائها الابرار).

وانتهى ابن جزى من اختصار رحلة ابن بطوطة حسب ما سطره الملك المريني في شهر صفر عام سبع وخمسين وسبعمائة وقد نقل ابن جزي كلام ابن بطوطة بلفظه ونصه، مما يؤكد ان ابن بطوطة صاحب الرحلة المدونة كان عالما ونابغة وموسوعة من المعارف، وقد وصفه العلامة اسماعيل ابن الاحمر

الغرناطي بالفقيه الخطيب القاضي الحاج الكثير الجولة بالمشرق والمغرب العارف بالتاريخ، ونقل المؤرخ الزياني ان ابا عبد الله ابن الخطيب ترجم له في (الاحاطة) وذكر ان ابن بطوطة كانت له مشاركة في الطب وارتحل للمشرق وتزيا بزي الصوفية وجال الاقطار ودخل بلاد العجم والسند والهند والصين وعاد لبلده طنجة وجاز البحر للاندلس وبلغ غرناطة.

وكانت له معرفة باللغات العالمية السائدة في عصره كاللغة الفارسية والتركية وغيرها كما انه كان عالما له تآليف جليلة في علم الحديث والتراجم تدل على علمه، فقد ذكر له ابن سودة في دليله جـ ١ ص ٣٩ كتاب (الواسط في اخبار من حل مدينة تمنطيط) قال عنه: «بأنه تكلم فيه على رجال مدينة (تمنطيط) التي تقع في قبيلة تواتي لانها كانت عامرة بالعلم في القرن السادس والسابع ولازال اثر العلم بها الى الآن. يقع في مجلد ضخم، كذا اخبرني بعض علماء القبيلة المذكورة حفظه الله».

ومن خلال المواضيع السابقة التي حددها السلطان المريني ابو عنان لابن جزي لتلخيص تقييدات رحلات ابن بطوطة يتضح لنا علم هذا الملك ودرايته واطلاعه الواسع على علوم عصره، فقد ذكر المؤرخ المغربي الناصري انه: (كان فقيها يناظر العلماء الاجلاء، عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ من علمي العربية والحساب وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه، حافظا للحديث، عارفا برجاله، فصيح القلم كاتبا، بليغا، حسن التوقيع شاعرا، ذكر له صاحب «الجذوة» اشعاراً في الحكمة كقوله:

واذا تصدر للرياسة خامل

جرت الامور على الطريق الاعوج

ولو ان ابن بطوطة كان رجلا كذابا متقولا مرائياً لعرفه ابو عنان ولما قربه اليه واكرمه، فانه كان ذكيا يعرف بالبديهة اهل الزياء والادعاء، وفي هذا نقل الناصرى عن ابن الاحمر قال: كنت جالسا بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل صالح فلما نظر اليه قال بديهة:

تراهم في ظواهرهم كراما

ويخفون المكيدة والخداعا

وبسبب المكانة الرفيعة التي نالها ابن بطوطة لدى هذا الملك الاديب الشاعر العالم كثر حساده ومنتقدوه من علماء عصره الذين برزوا على الساحة العلمية والفكرية مثل الفيلسوف ابن خلدون الذي وشى به الى ابن ورد وزير ابي عنان وقال له: ان الناس يتشككون في اخباره، وطرده من مجلسه ولم يلتفت اليه بعدما اختبر ابن بطوطة فيما يدعيه، وتأكد من صدقه فيما يرويه، من اخبار العالم، لا سيما اخبار مصر التي زارها وعرف مدنها الكبرى.

اما الاديب الاندلسي المتفنن لسان الدين ابن الخطيب فانه احط من قدر ابن بطوطة وقال: ان له مشاركة يسيرة في الطلب، ورغم سمو أدبه وعلو شأنه وجاهه فانه كان سليط اللسان ذا قلم حاد كالجاحظ.

ردنا على منتقديه:

١ - نقد المؤرخ الزياني لابن بطوطة:

كذبه في كتابه (الترجمانة الكبرى في اخبار العالم برا وبحرا) فيما رواه في رحلته عن اخبار ملوك الهند وفي قوله ان المدرسة العنانية لا يوجد لها

ملف خاص

نظير في العالم، وقد اثبتت الابحاث الحديثة لعلماء الهند والمستشرقين صدقه في اخباره عن الهند، وما نقله عن ملوك الهند فيه عبرة وموعظة للمتقين والمام دقيق بتاريخ الهند، كما اثبتت ايضا الحفريات التي اجريت لكشف المدرسة العنانية انها كانت فعلا عظيمة البنيان، لا مثيل لها كما وصفها ابن بطوطة[١] وكيف لا تكون كذلك والملك ابو عنان ورث عن والده مملكة واسعة الاطراف تمتد من طنجة الى حدود طرابلس الغرب[٢] وفيه يقول لسان الدين ابن الخطيب:

واحـــد أحـــاد الملك العظمـــا
ومطلع النصـــر اذا مـــا أقـــدمـا
ومـــخـــجل الغـــيث اذا همـــا
وعـــالم الملك وملك العلمـــا
أوجب حق الشـــعـــر والكتـــابة
فـــأملت اعـــلامـــه جنابه

٢- تكذيبه في حديثه عن ابن تيمية:

اتهموه بكذبه على شيخ الاسلام ابن تيمية بحجة انه كان في سجنه في تاريخ وصوله الى دمشق، وهذا امر فيه نظر، فابن بطوطة لم يذكر لنا تاريخ وصوله الى دمشق بالضبط حتى يمكن لنا تكذيبه، فقد ثبت ان الشيخ ابن تيمية استدعاه حاكم مصر اليه عام ٧٠٥هـ لمحاكمته امام مجلس العلماء على آرائه الواردة في رسالته (الحموية) ففي مسألة تفسيره قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) التى فسرها البعض بأنه يرى فيها رأى المجسمة، وهى مسألة اثارت جدالا عنيفا حادا بين العلماء في وقته، وكانت السبب في سجنه سنة ٧٢٦هـ وبقى في سجنه الى ان توفى سنة ٧٢٨هـ وأظن أن ابن بطوطة رأى فعلا الشيخ ابن تيمية بدمشق وسمع محاضراته التى كان يلقيها على الناس ولم ينكر علمه وقال بأن ابن تيمية لما كان في سجنه فسر القرآن الكريم في اربعين مجلدا، وسماه (التفسير المحيط) وهو تفسير يعتبر الآن ضائعا لم يذكر ضمن مؤلفاته.

وما تعرض له ابن تيمية رحمه الله من امتحان وسجن كان امرا طبيعيا، لان العصر الذى عاش فيه كان عصر التصوف والمتصوفة، فهذا السلطان ابو عنان رغم علو قدره وعلمه ينتقل بنفسه الى سلا لزيارة وليها وعالمها ابن عاشر فلا يحظى مقابلته ويرجع خائبا الى مقر ملكه بفاس، ومثل هذه الحالة كانت سائدة في المغرب وغيره من البلدان الاسلامية.

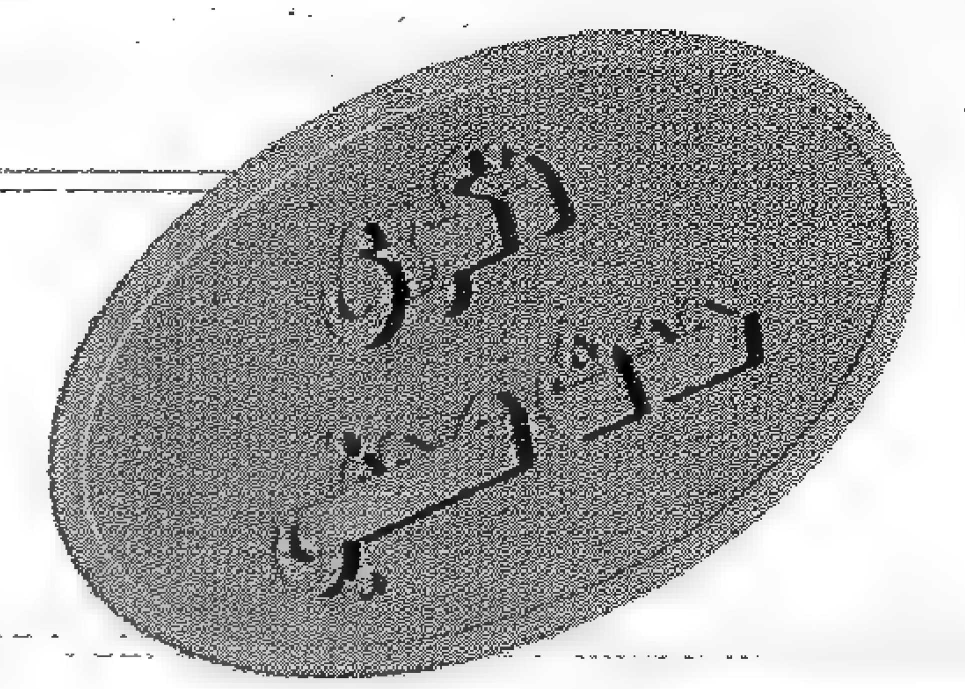
اما في مصر والشام مواطن ابن تيمية فكان شيوخ التصوف هم الحكام بيدهم عامة الشعب.

وقد زرت قبر الرحالة ابن بطوطة بمدينة طنجة ودعوت له بدعوة الخير، وكان هذا الرحالة الفذ رحمه الله يتمني في حياته كما قال أمنيتين: الأولى ان يزور جميع بلدان العالم، والثانية ان يمن الله عليه بفضله ويدخله الجنة يوم القيامة، وقد حقق الله امنيته الاولى، ونرجو من الله ان يحقق له امنيته الثانية ويرحمه ويدخله الجنة برحمته.

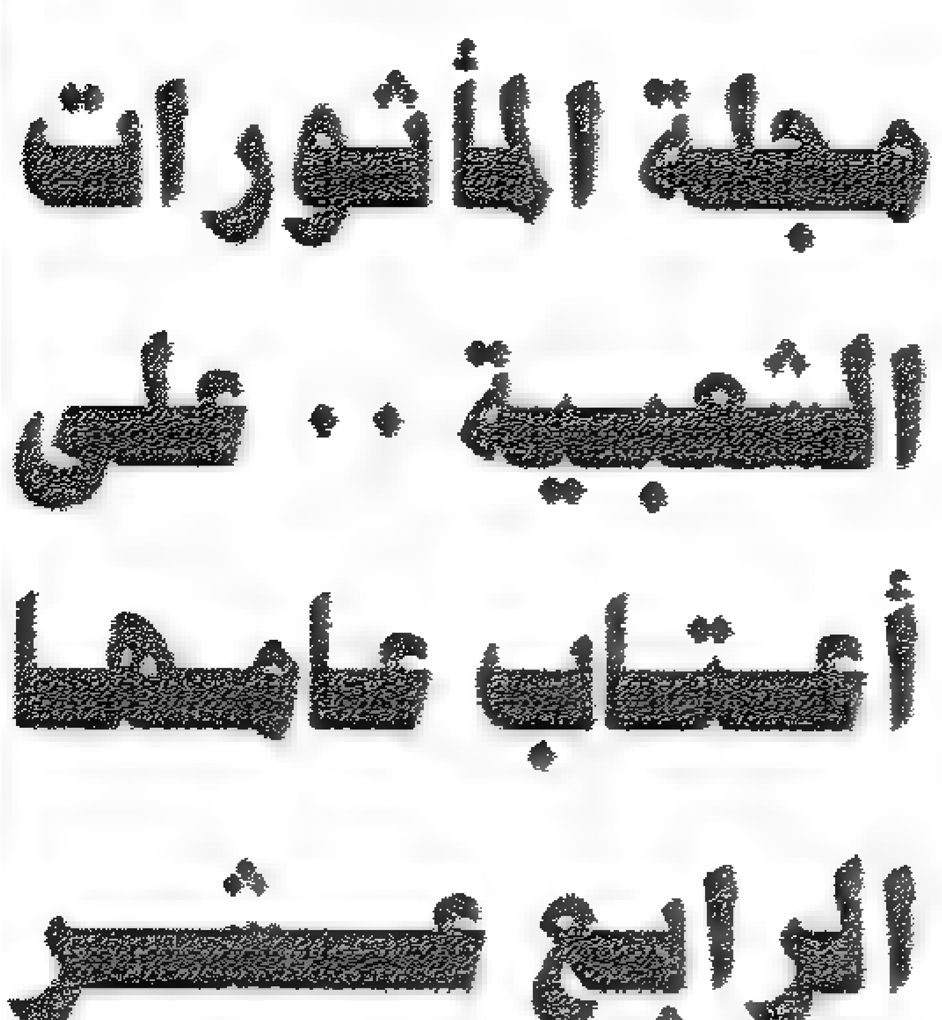
الهوامش:

(١) الاقصى المراد به: المغرب الاقصى.

(٢) جنان قبط: الموضع المسمي (جنان قبطان) الحي الصغير المتواضع حيث مدفن الرحالة الكبير ابن بطوطة.




مجلة المأثورات الشعبية .. على أعتاب عامها الرابع عشر




ـ غلاف مجلة «المأثورات الشعبية».

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

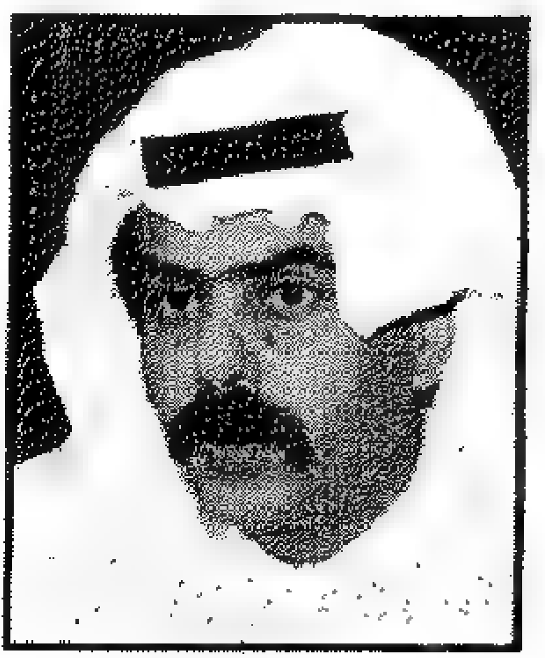
ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر ـ فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

في مثل هذا الشهر «ربيع الآخر» من العام ١٤٠٦هـ الموافق يناير ١٩٨٦م صدر العدد الأول من مجلة «المأثورات الشعبية» التي يصدرها مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وهو مؤسسة إقليمية بحثية مقره مدينة الدوحة ـ عاصمة دولة قطر.

ومجلة المأثورات الشعبية، مجلة فصلية تصدر أربع مرات في العام، في الشهور (يناير ـ ابريل ـ يوليو ـ اكتوبر) وهي مجلة متخصصة، تعنى بالتراث الشعبي في منطقة الخليج والجزيرة العربية بصفة خاصة وبالتراث الشعبي بصفة عامة.

ومجلة «المأثورات الشعبية» استقطبت إليها طوائف الباحثين والمهتمين بالتراث الشعبي، والقراء الذين يتابعون الإصدارات المحكَّمة ـ فـ «المأثورات الشعبية» مجلة محكمة تنشر فيها المقالات والبحوث بعد تحكيمها، مما ساعد على ازدياد توزيعها في معظم انحاء الوطن العربي، وكذلك في المعاهد والجامعات في أوربا وأمريكا.



ـ الاستاذ/ عبد الرحمن المناعي المدير العام رئيس التحرير.

والمنهل ومنسوبوها كافة إذ يهنئون الشقيقة «المأثورات الشعبية» باصدارها العدد رقم (٥٠) ودخولها عامها الرابع عشر ـ ليتمنون لها ولكل القائمين عليها المزيد والمزيد من التقدم والازدهار.

اعداد : يعقوب السيد حسنين

مجلة السائح العدد (١١٤)



روزيتا

رشيد مدينة المليون نخلة

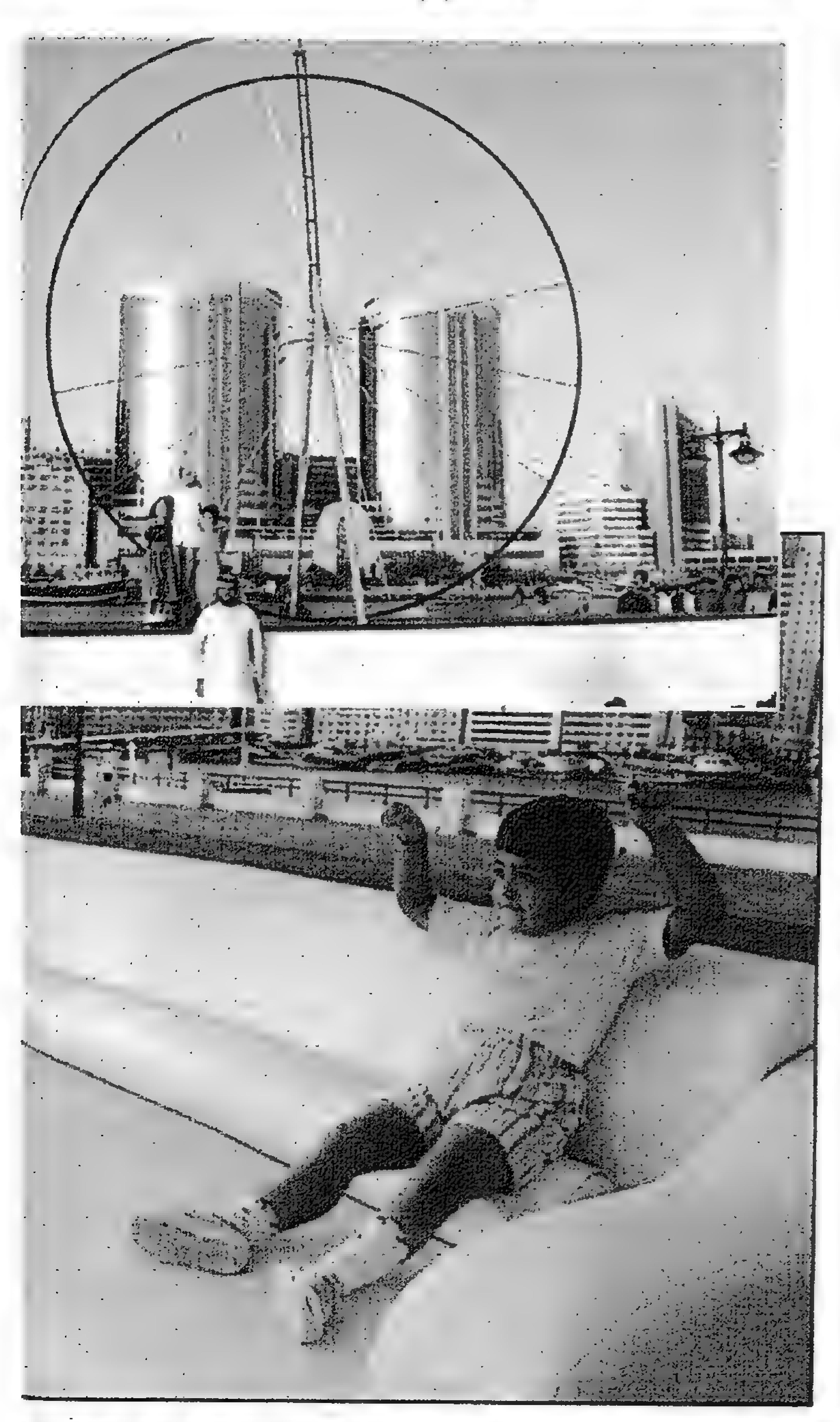


انطاليا انشودة الطبيعة والتاريخ

السائح

Rabia I-2, 1420 H – July – Aug., 1999 G

مهرجان دبي للتس



في الأشهر الفائتة أقيم في دبي (مهرجان دبي للتسوق ٩٩) وشمل المهرجان مجموعة من الاعمال الفنية الرائعة التى شدت الجمهور اليها لغرابتها وابداعها.

صنعت لهذا المهرجان: أطول أريكة في العالم بطول (١٠٠) قدم، حوالي (٣٣) مترا، عمل في تصنيعها فريق مكون من ٢٢ نجارا وتتسع لمئة شخص.

وأكبر طاولة طعام في العالم بطول (١٣) مترا وعرضها (٣) أمتار.

وأطول كرسي حديدي مزخرف.

وأطول دراجة هوائية، ارتفاعها (٧ر٥) متر وقطر العجلة الامامية (٦) أمتار وقطر العجلة الخلفية (١ر٧) متر.

وأطول سلسلة ذهبية في العالم.

وهذه الاعمال أدخلت البهجة والسرور في زوار هذا المهرجان وأعطت المهرجان فاعلية فنية رائعة.



الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل .. الساحل

روزيتا رشيد مدينة المليون نخلة

** كانت ثالث ميناء مصري بعد الاسكندرية ودمياط.

** كنوز من الآثار الاسلامية والمساجد.

** اكتشف فيها «حجر رشيد» الذى فك طلاسم اللغة الهيروغلوفية.

** قاومت غزاة مصر طوال تاريخها.

** فيها يلتقي النيل بالبحر الابيض المتوسط.

** مدينة «الفسيخ والبوري وأم الخلول».

روزيتا كما أسماها الفرنسيون.. أي الوردة:

ورشيد الآن بلد جميل يقع عند التقاء النيل بالبحر الابيض، ومناخها معتدل طوال العام، جوها جاف وتمتلىء بالحدائق والبساتين وأشجار النخيل التى تحتل مساحات واسعة لذا سميت باسم مدينة المليون نخله.

رشيد في التاريخ:

وهى مدينة قديمة ترجع في تاريخها الى ما قبل الأسرة الاولى من العصر الفرعوني لأن الملك (مينا) «نارمر» زحف اليها من الصعيد في ثورته الأولى من أجل تحقيق الوحدة بين الوجهين، الوجه البحرى والوجه القبلى، فاصطدم بأهل هذه المنطقة وهم طائفة من المواطنين يسمون (رخيتو) أي «عامة الناس» وهذه الكلمة قريبة من الاصل القبطى لاسم رشيد وهى (شيت) فصارت (رشيد) فيما بعد.

ثم أنه في عهد الاسرة التاسعة عشرة أقام الملك (مرن بتاح) استحكاماته على الضفة الغربية لفرع

إعداد : ابراهيم العربى أبو حمد
- مصر -



النخيل على شاطيء رشيد

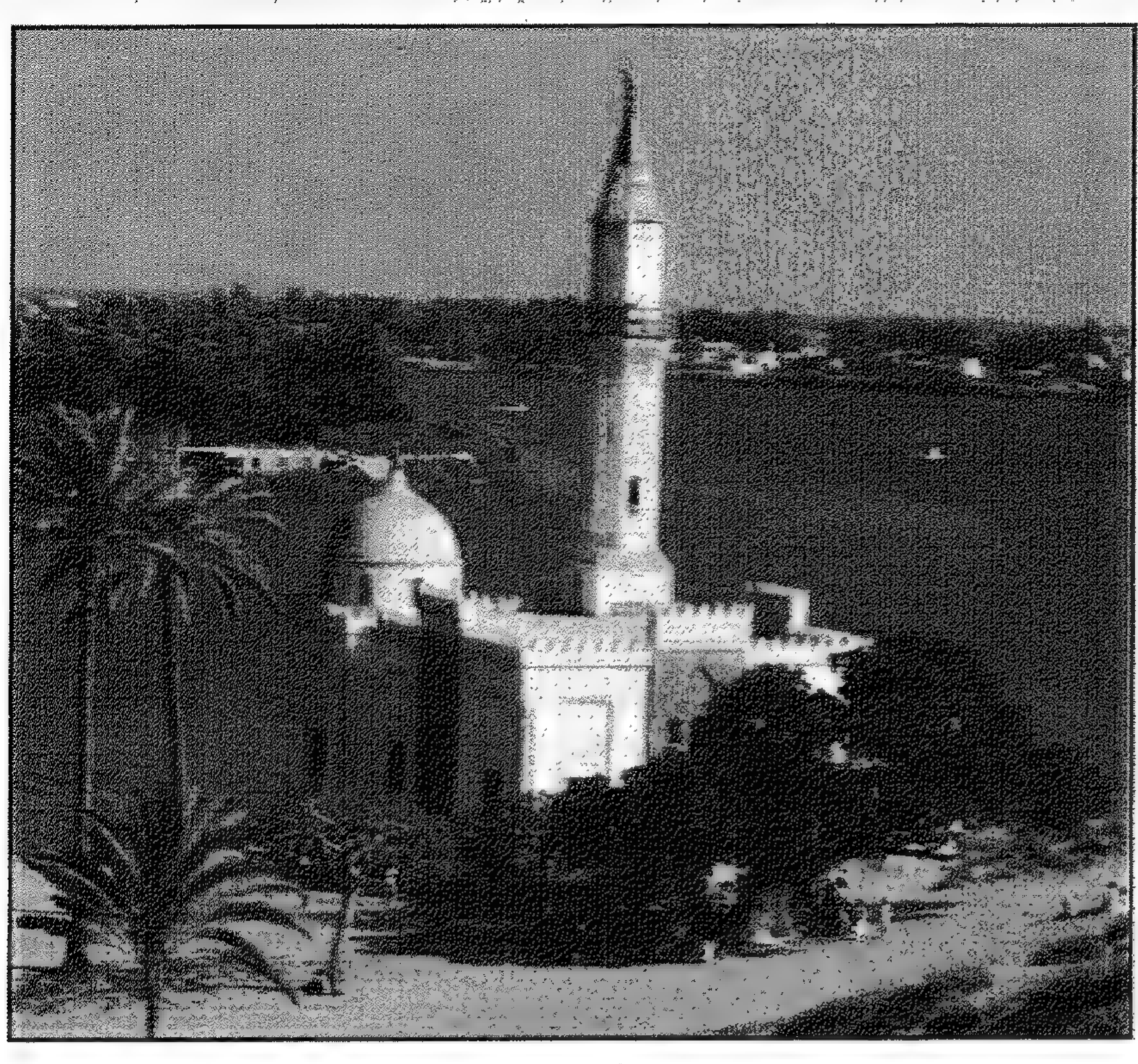
رشيد شمالا، وذلك لصد هجمات الليبيين والاغريق والصقليين فانتصر المصريون في أول موقعة حربية بين مصر وأوروبا جرت أحداثها على ارض رشيد، كما أقام الملك بسماتيك الاول سنة ٦٦٣ ق٠م معسكرا على ساحل مدينة رشيد وجعل ثلاثين سفينة حربية لحمايتها من الغارات الليبية في الغرب والاشوريين في الشرق٠

واذا كان كل فرع من فروع الدلتا يسمى باسم المدينة الواقعة عند مصبه فان الفرع البولبتينى (فرع رشيد الحالى) قد سمي بذلك نسبة الى (بولبتين) التى قامت رشيد على أنقاضها أو بجوارها في العصر اليونانى وكان يصنع بها العجلات الحربية٠

ولهذا نتبين أصالة رشيد ومدى عمق جذورها الموغلة في أعماق التاريخ وهذا يدحض أقوال بعض المؤرخين ولا سيما الافرنج أمثال بريشيا وفورستو وبدج الذين يؤكدون أنها حديثة النشأة لانها نشأت سنة ٨٧٠هـ في خلافة المتوكل على الله العباسي ومما يؤكد نظرتنا التاريخية لنشأة المدينة الاولى ما جاء في فتوح الشام للواقدى أن عمرو بن العاص كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بفتح مريوط الاسكندرية ورشيد وفوه ودمنهور والبحيرة وغيرها في بلاد الوجه البحرى وبعث بالكتاب عامر بن لؤى)٠

وكان لهزيمة الانجليز في رشيد وقع كبير على

نفوس أهل القاهرة فقد خرجوا للفرجة على أسرى الانجليز عند وصولهم الى العاصمة يوم ٥ ابريل ولا ريب أن انتصار أهل رشيد على الانجليز قد أزال الوهم الذى كان مستوليا على القاهريين إذ لم يكن أحد منهم يعتقد أن من السهل الانتصار على الجيش الانجليزي المزود بأسلحة الحرب الحديثة.



جامع رشيد

فقد ذكر الجبرتي (أنه لما شاع أخذ الانجليز للاسكندرية، داخل المعسكر والناس وهمٌ عظيم وعزم أكثر العسكر على الفرار الى الشام وذلك لانه لم يخطر ببالهم هذا الواقع (أى هزيمة الانجليز في رشيد) ولا أن الرعايا والعسكر لهم القدرة على حروب الانجليز).

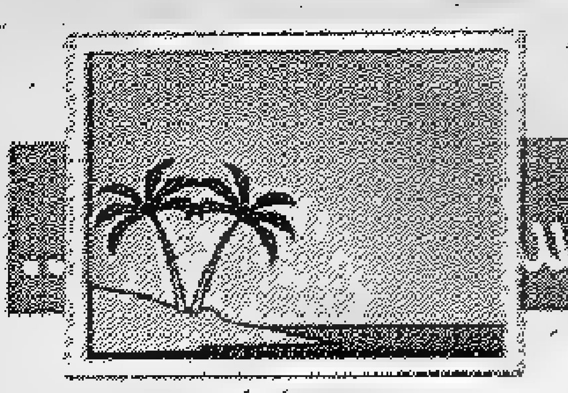
وانهزم الانجليز في معركة كبيرة في ٢١ أبريل عام ١٨٠٧، فاعتصموا بالاسكندرية ثم حاولوا تحريك البكوات لمساعدتهم ولكن دون طائل.

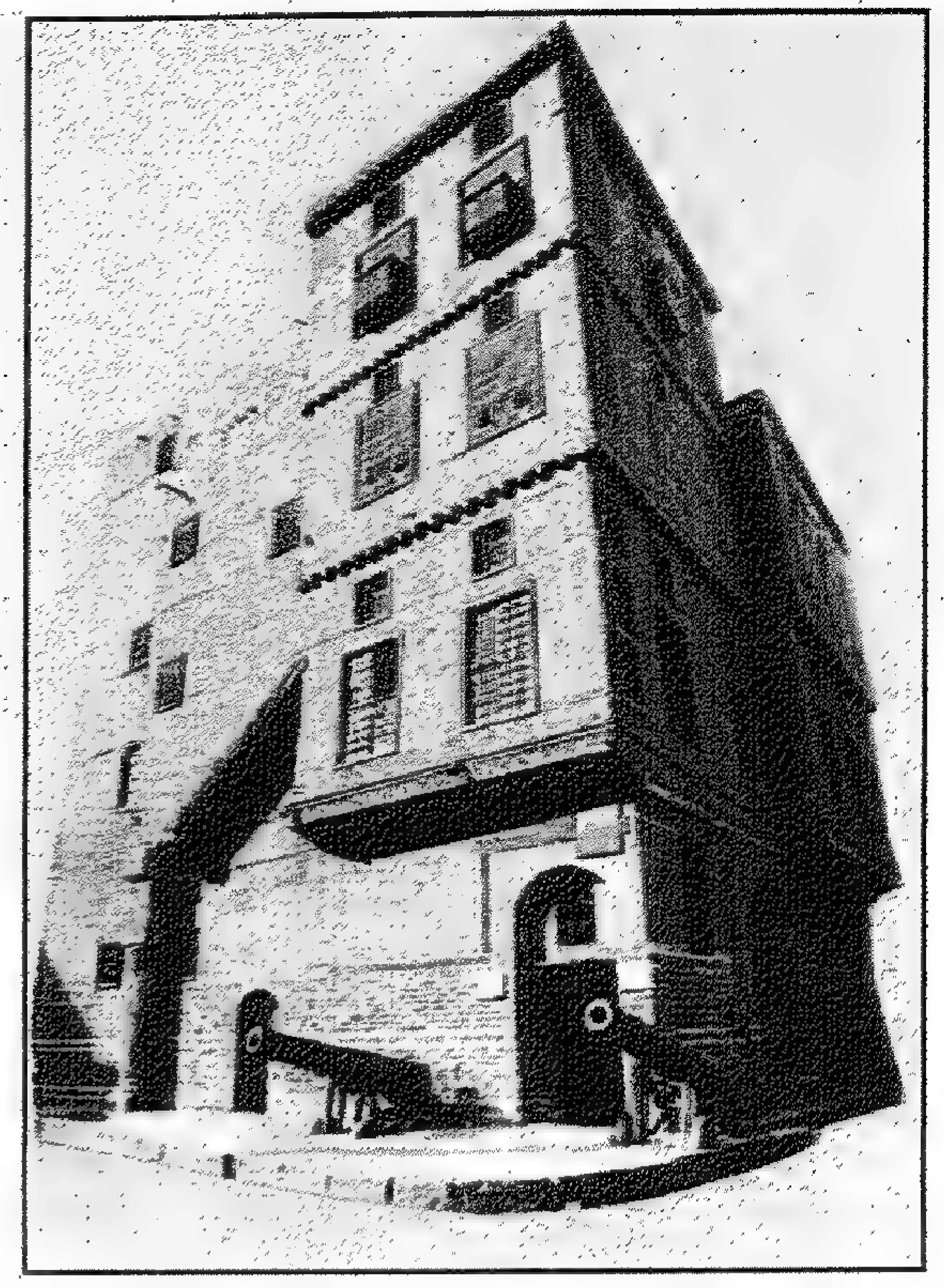
رشيد الطريق للاسكندرية:

ولما كانت الفكرة السائدة لدى رجال الحرب والسياسة من الانجليز انه لا يمكن الاحتفاظ بالاسكندرية من غير الاستيلاء على رشيد لضمان تموين حاميه الاحتلال في الاسكندرية بسبب وقوع رشيد على مصب النيل، وسهولة الاتصال بطريقها بين داخل البلاد وبين الاسكندرية وعلى ذلك فإن فريزر مالبث أن طلب الصلح من محمد على، على اساس الجلاء من الاسكندرية مقابل تبادل الاسرى والجرحى فتم ذلك في اتفاق بتاريخ ١٤ سبتمبر عام ١٨٠٧ وفي ١٩ سبتمبر كان قد تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية وعن مصر جميعها.

مدينة الآثار الاسلامية:

ورشيد التى تمتد في أعماق تاريخ مصر تمتلىء بالاثار ذات الطابع الاسلامى ومن أهم مساجدها مسجد زغلول وأبي مندور.. والاول يقع في شارع





المتحف القومي في رشيد

دهليز الملك حيث كانت توجد على جانبيه منازل الامراء والملوك والوالى في العصر العثمانى وعهد محمد على وقد أنشأه الحاج خليل ابراهيم عام ١٢١١هـ.

والثاني وهو «أبو مندور» تصل اليه عن طريق رحله نيليه، وهو مقام في منطقة رائعة الجمال تقع على ربوة تتخذ شكل شبه جزيرة، حباها الله بمكان ساحر خلاب، ومن خلال الربوة العالية تستطيع أن ترى رشيد وأكثر من مليون نخله.. التى تمتد على اتساع رشيد.. وأبو مندور من مواطنى (كربلاء) وهو من سلالة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان عالما بالفلك زاهدا متصوفا، اتخذ هذا التل مكانا لعبادته، والغريب أن باب مسجده يستقبل شروق الشمس وغروبها.. وبرشيد ما يزيد عن ١٢ مسجدا أثريا و٢٢ منزلا ضمت جميعها لمصلحة الآثار.

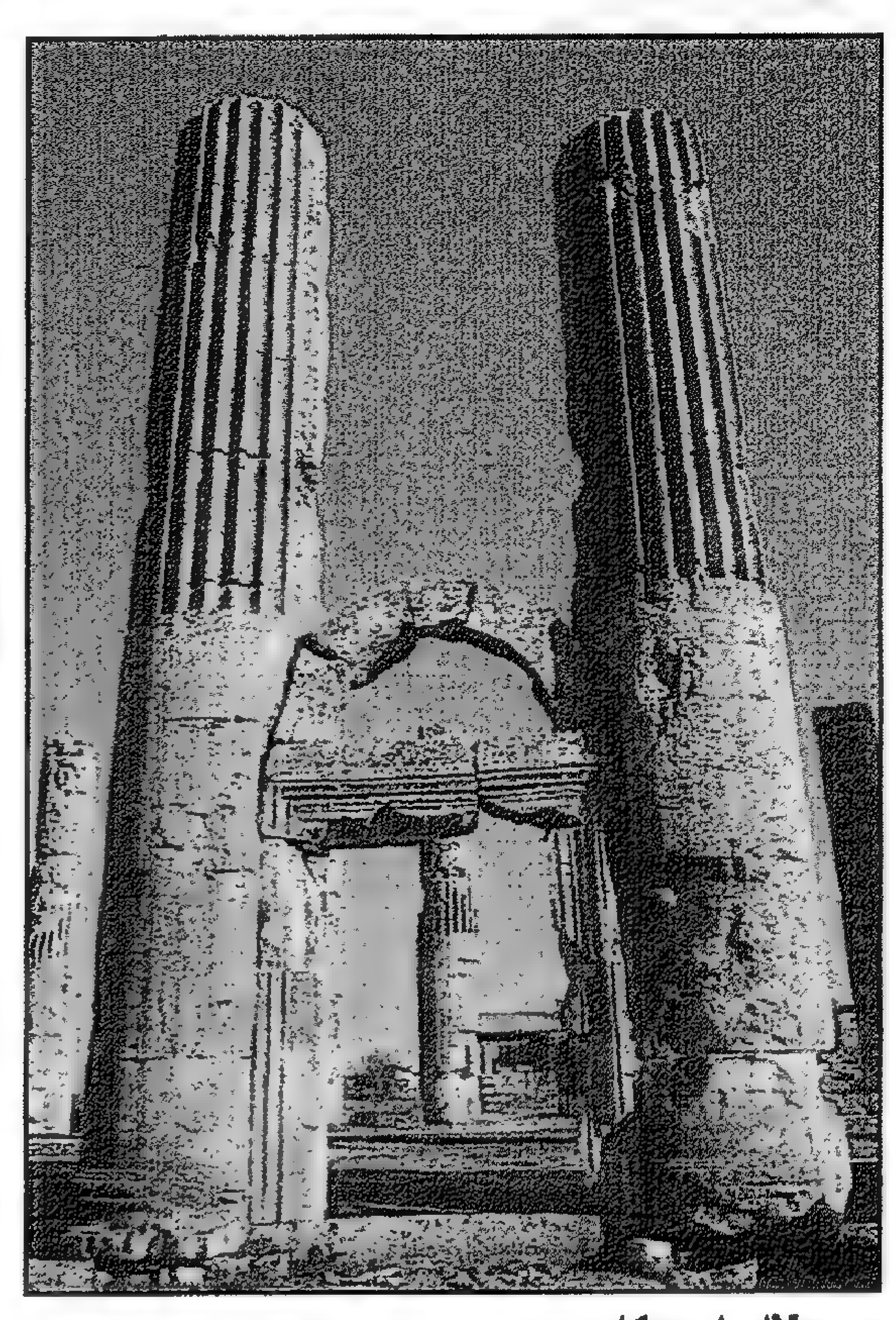
الشاطىء المهجور:

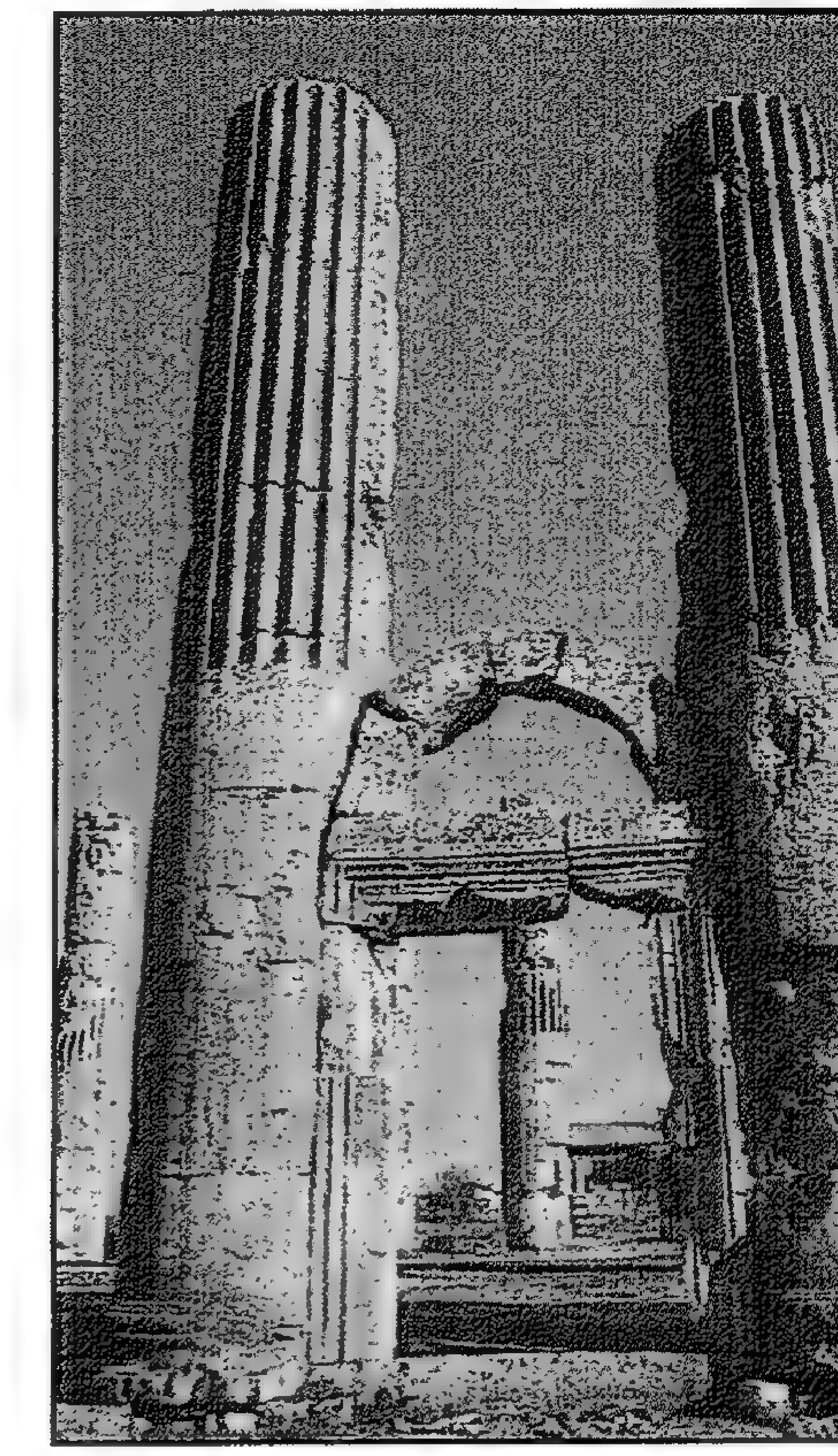
رشيد كانت تمتاز بشاطىء من أجمل شواطىء مصر حيث كانت في عهد محمد على احدى ثلاث موانىء رئيسية في مصر بعد الاسكندرية ودمياط.. وقد تعرض الشاطىء لطغيان مياه البحر عليه التى غطت الشاطىء.. وأزالت الكبائن.. وتقوم الآن شركة صينية بقرض كويتي مقداره ٥٤ مليون جنيه ببناء حاجز أمواج.. حتى تعود لشاطىء رشيد شهرته القديمة.. ويكون امتدادا.. لشواطىء الاسكندرية التى تبعد عنها حوالى ٦٠ كليومتر.

صناعات بدائية:

وعدد سكان رشيد حوالى ٦٠ ألف نسمة وأهم صناعاتها بعد الزراعة هى تصنيع أجزاء النخيل وتحويلها الى حبال وأقفاص وحصير كما تمتاز بالسجاد اليدوى وبعض الصناعات الخشبية.

وشهرتها على مستوى مصر كلها.. فان بها أجود أنواع الاسماك المملحة (فسيخ وسردين).. وتمتاز بأجود أنواع البورى وهو نوع ممتاز من السمك (البورى) يعتمد الصيد البحرى عليه.. ويصدَّر الى محافظات مصر والخارج.. ويوجد بها أيضا نوعيات عديدة من المحارات.. مثل «أم الخلول» ، و«الجندوفلى» و«الخيتينا».





ـ من آثار اوزونكابورج.

ـ شلالات مانافغات.

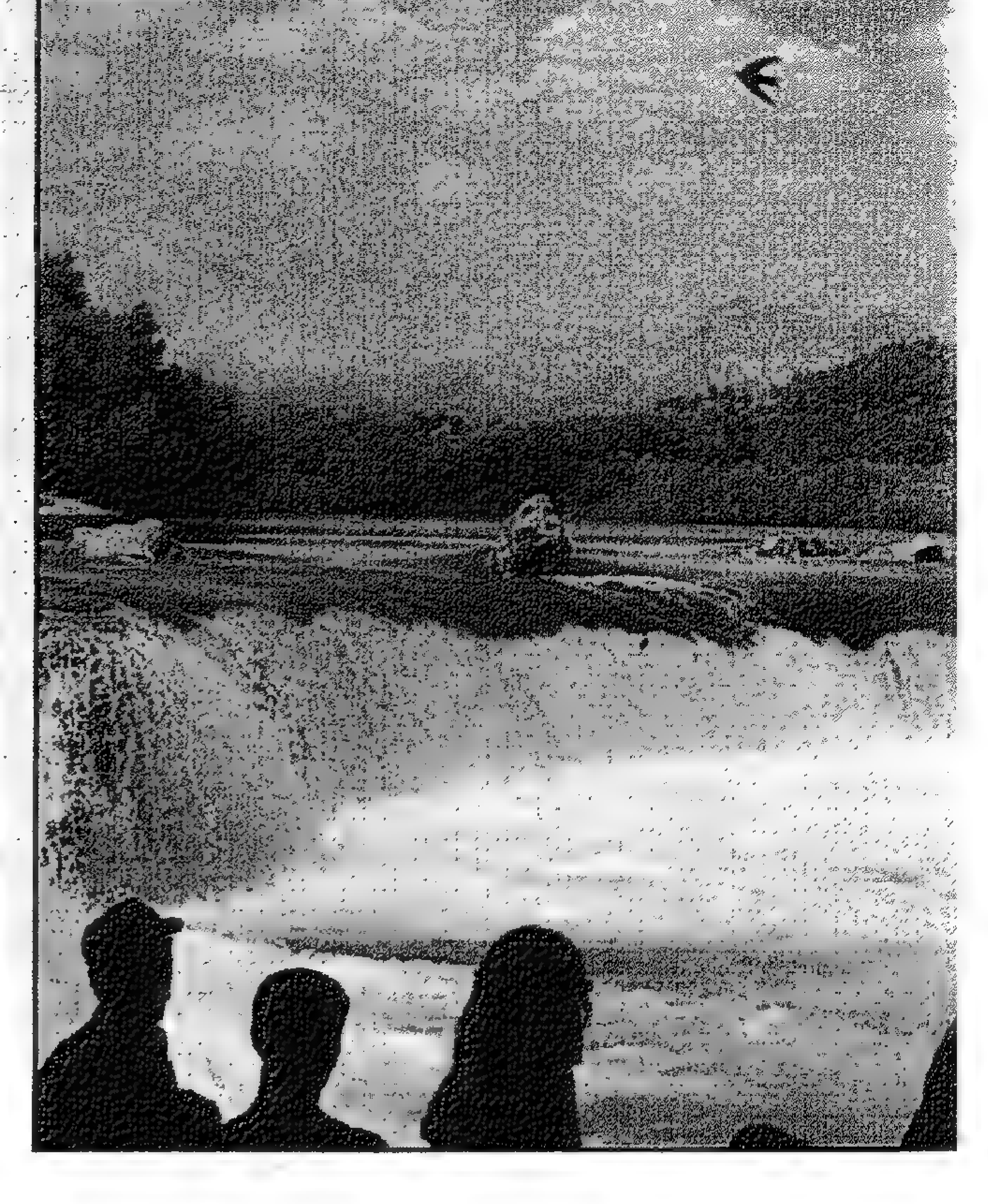
أنطاليا

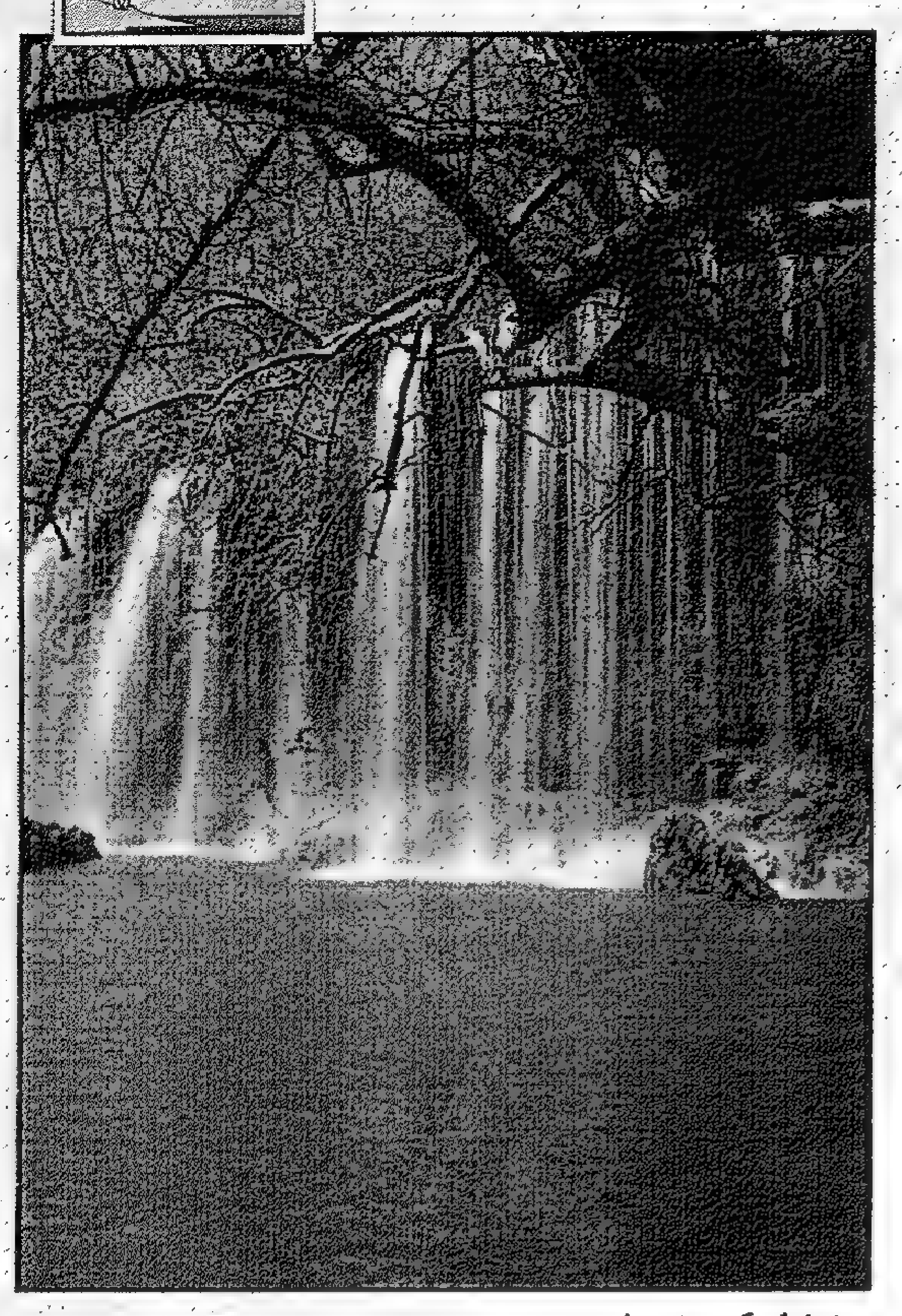
أنشودة الطبيعة والتاريخ

تنساب جبال طوروس المكسوة باشجار الصنوبر عبر انطاليا هبوطا الى البحر الرائع الصافي مشكلة ساحلا صخريا متعرجا، وتعتبر المنطقة التي تتمتع بشمس ساطعة ٣٠٠ يوم في السنة مقصدا رئيسيا للمهتمين بالاستحمام الشمسي والسباحة وركوب الامواج والتزحلق على الماء وتسلق الجبال وارتياد الكهوف. ولا غرابة في ان تكون انطاليا ومعها الساحل الجنوبي المطل على البحر عاصمة السياحة التركية بلا منازع.

تقع المدينة اذن على خلفية منظر طبيعي أخاذ

إعداد: الحسان الرزاقي
ـ المغـــرب ـ



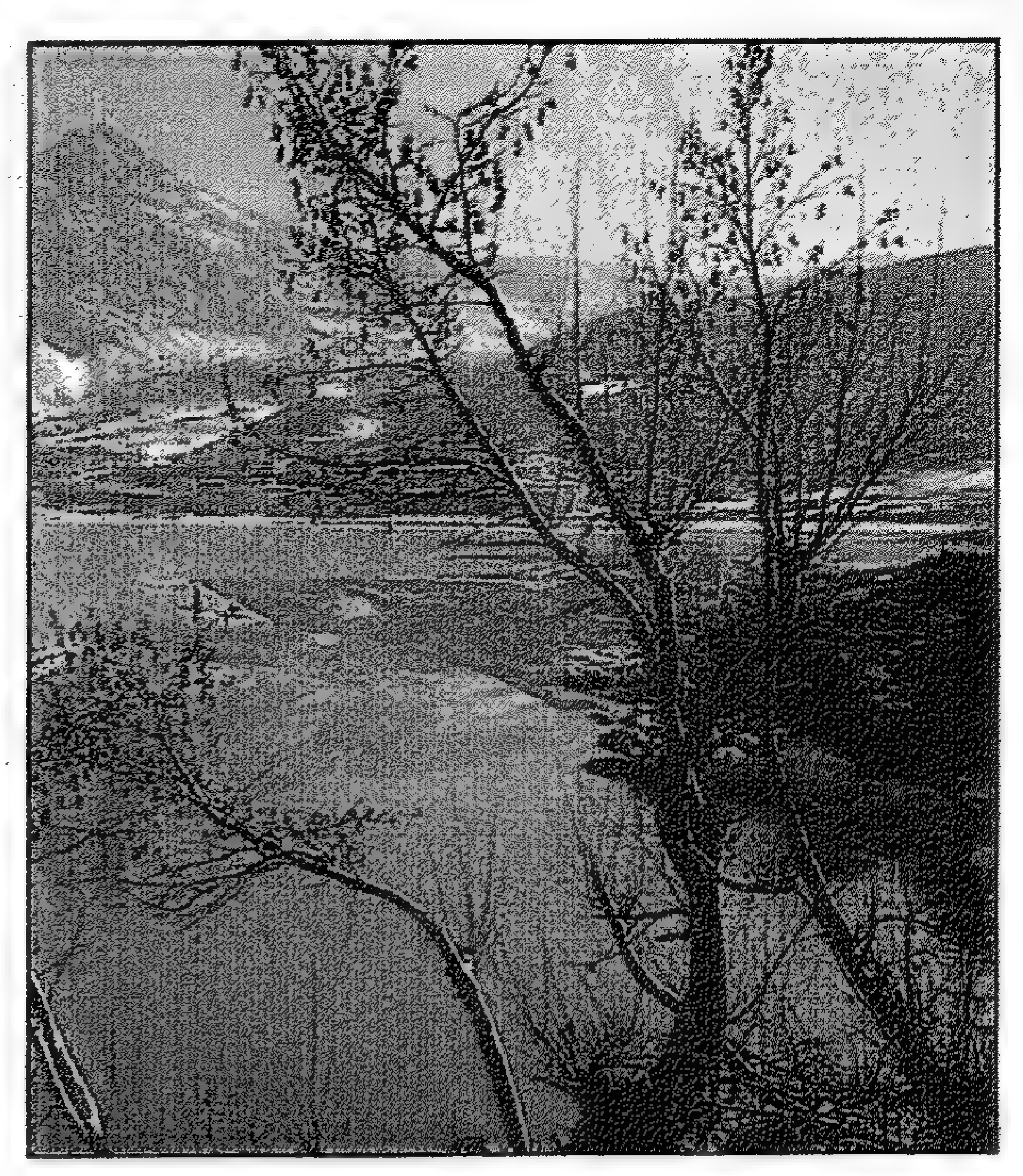


ـ شلال كورشونلو.

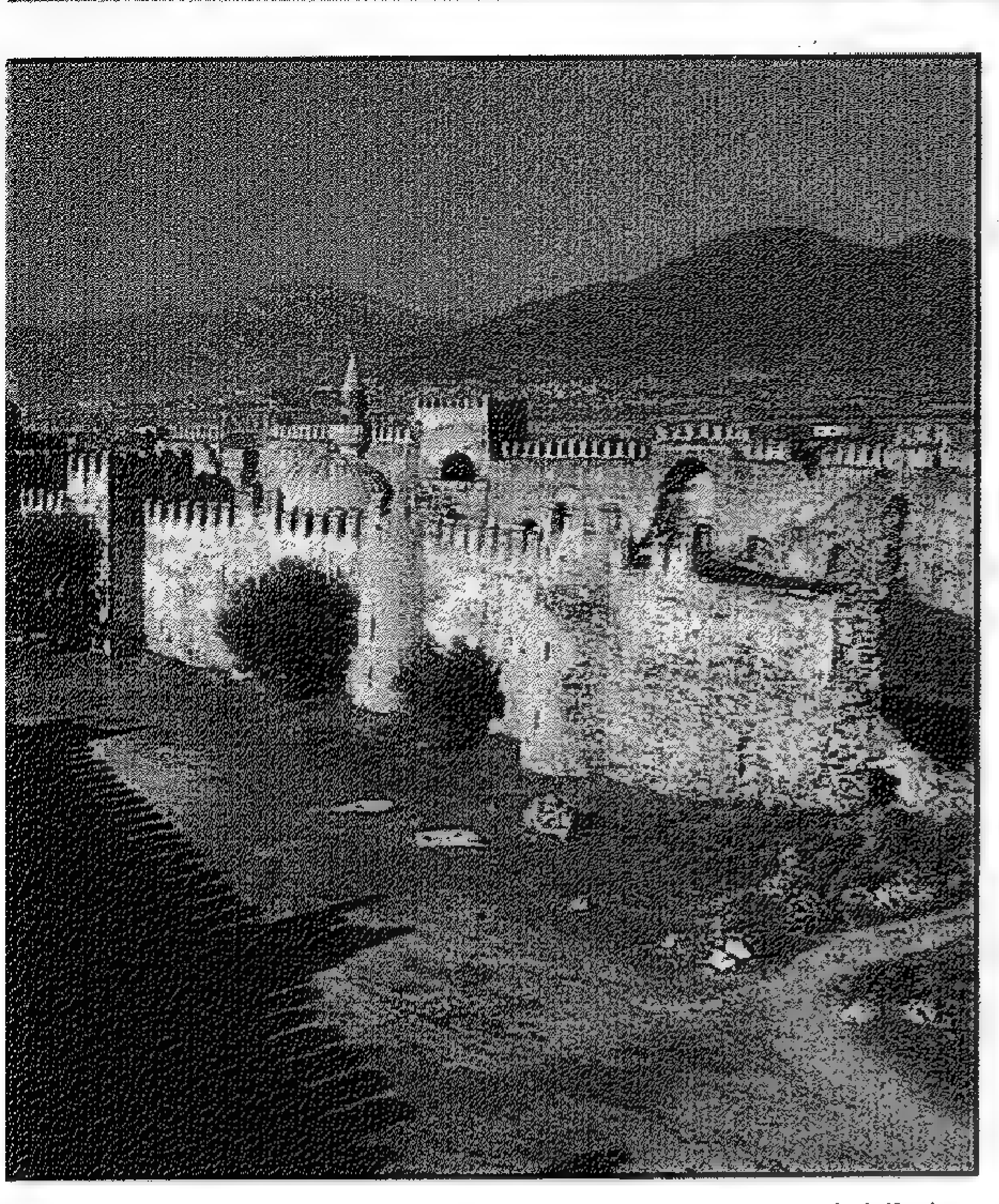
وتشتهر بشوارعها التي تظلها اشجار النخيل ويدروبها الخلفية الضيقة التي تحتضن منازل خشبية عديدة بالاضافة الى اسوار المدينة العتيقة والشاطىء الجميل حيث تصطف قوارب الصيد واليخوت في مراسي طبيعية مليئة بالتكوينات الصخرية المتنوعة، وتتمتع المدينة ايضا بماض عريق: فقد بنيت في القرن الثاني قبل الميلاد على يد اطالوس الثاني ملك بيرغامون الذي اشتق اسم المدينة القديم: اتليا من اسمه الشخصي فاصبحت عامرة بالسكان منذ ذلك الزمن السحيق وتعاقب على حكمها على التوالي كل من الرومان والبيزنطيين والسلاجقة وأخيرا الاتراك العثمانيين.

وتعتبر منارة مسجد ييفلي ميناريلي المزخرفة الواقعة وسط المدينة ـ والتي بناها السلطان السلجوقي علاء الدين كيكوبات في القرن الثالث عشر الميلادي ـ رمزا للمدينة كلها، أما المدرسة الدينية (قاراطاي ميدريسي) في حي قالايجي والتي شيدت في نفس القرن فتجسد روعة فن النقش على الحجر السلجوقي، وأهم مسجدين عثمانيين في انطاليا هما: مسجد مراد باشا المبني في القرن السادس عشر والمتميز بقرميده المزخرف، ومسجد تيكيلي محمد باشا الذي يعود الى القرن الثامن عشر الميلادي، وبجوار خور انطاليا يقع مسجد اسكيلي المشيد خلال القرن التاسع عشر بواسطة اجزاء الاحجار المقطوعة والمبنية على اربعة اعمدة فوق نبع ماء طبيعي.

حينما زار الامبراطور هادريان انطاليا في سنة ١٣٠ ميلادية، بنيت بوابة ذات ثلاثة اقواس مزينة في سور المدينة احتفاء به، ومازال اثنان من الابراج قرب البوابة وبعض جدران السور باقية على حالها، اما برج



- بحيرة ايغيردير.



- قلعة انامور.

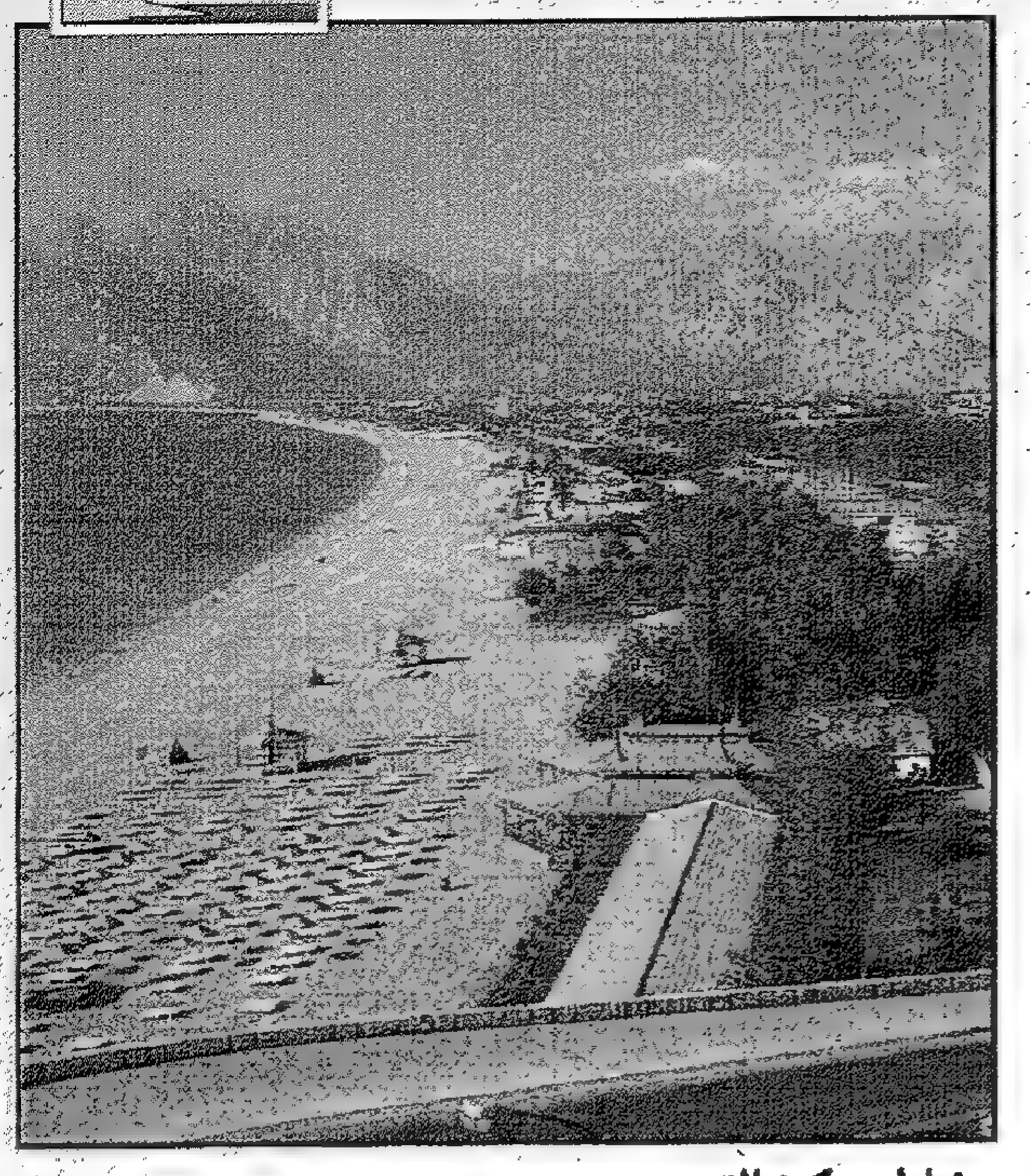
الساعة في ساحة كاليكا بيسي فهو يعتبر بدوره جزءا من تحصينات المدينة القديمة.

ويمكن للزائر التجول في متنزهي اتاتورك وكاراليوغلو حيث العديد من الزهور الغريبة الملونة وحيث يمكن مشاهدة المياه وهي تصطدم بصخور الشاطيء على خلفية جبال مخضرة، وكل هذه المعالم المختلفة تفسر كون المدينة منطقة جذب سياحي متزايد فبالاضافة الى متاجر التحف التقليدية والمقاهي التقليدية الشعبية وكذا متحف الاثار ومتحف اتاتورك، يمكن القيام بنزهة خارج المدينة خلف شلالات دودون على بعد ١٤ كيلومتر الى الشمال الشرقي، ففي الطريق المؤدي الى شاطيء لارا تصب شلالات دودون السفلى مباشرة في البحر، وليست هذه هي الشلالات الوحيدة في المنطقة: فعلى بعد ١٨ كيلومتر من انطاليا نجد شلالات كورجونلو اضافة الى بحيرة النيلوفر وهما موقعان طبيعيان رائعان لا يمكن اغفال زيارتهما.

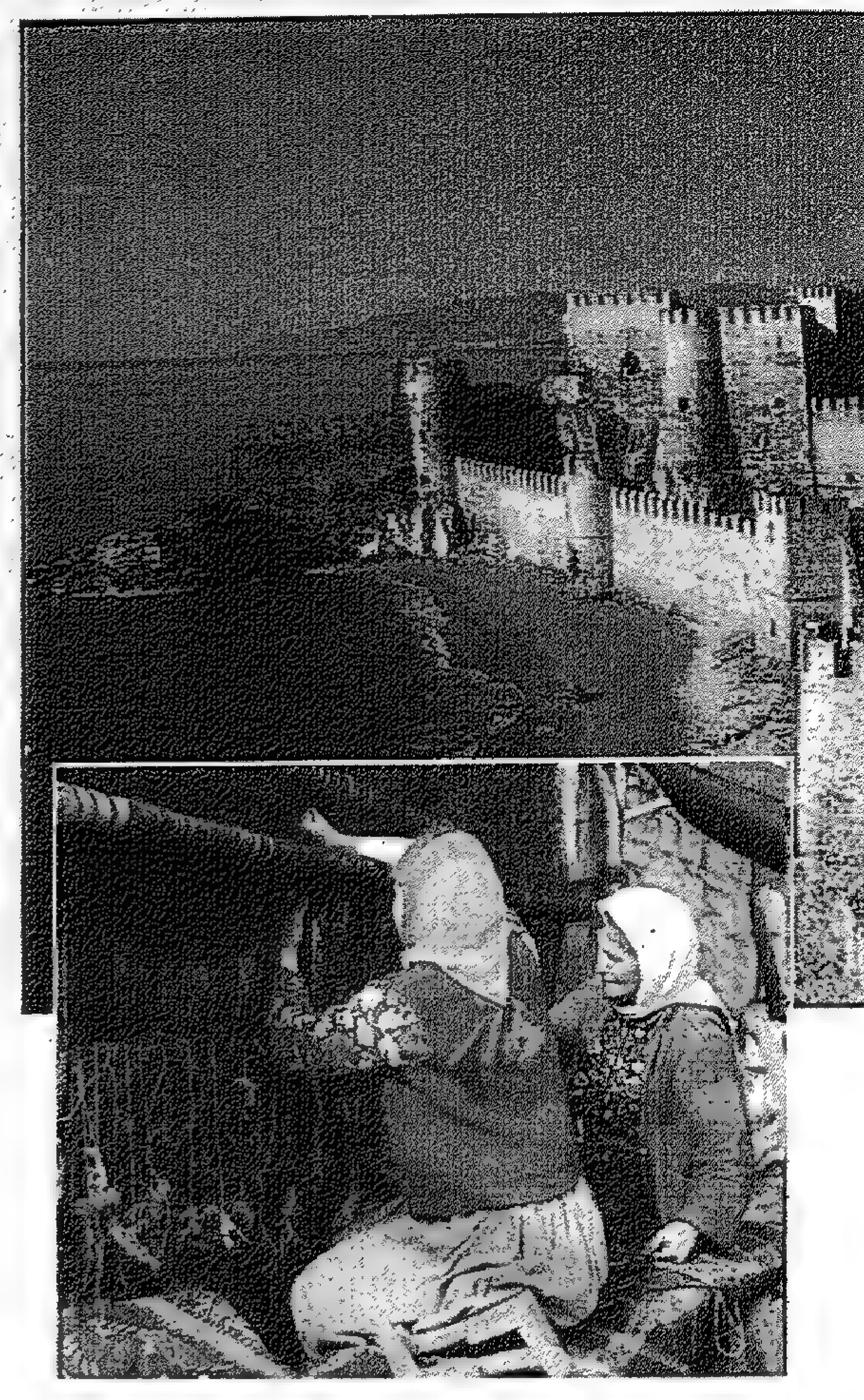
وفي الجانب الشرقي لجبل جان - الواقع على بعد ٣٠ كيلومتر من انطاليا - يقع كهف كاراين الذي يعتبر اقدم موقع استيطاني في تركيا فقد آوى الانسان منذ ٥٠ سنة قبل الميلاد، ولهذا الكهف مدخل واحد تضيئه شمس الصباح وينفتح على ثلاث غرف فسيحة متصلة، ورغم أن المتحف الصغير بالداخل يعرض بعض الآثار المكتشفة فيه، فان الكثير منها يعرض في متاحف كثيرة في كل انحاء تركيا.

يشتهر اقليم البحيرات (غولر بولغيسي) الواقع على بعد ١٥٠ كيلومتر الى الشمال من انطاليا في منطقة جبلية، بمحافظته على بيئته الطبيعية البكر، وتقصد هذه المنطقة ليس فقط للتمتع بمناظر البحيرات الساحرة التي تزخر بها بل ايضا لرؤية واقتناء سجاجيدها التقليدية المميزة.

وتحتفظ «بوردور» ببعض كنوز العمارة العثمانية التي تعود الى قرون عديدة خلت، فلا يخلو بيت من بيوت المدينة من آثار هذا التراث الفني، وتستمر السهول الفسيحة الخصبة في موازاة شواطيء رملية لا



ـ شاطىء كونيالتي.



ـ نسج الكليم.

حصر لها الى الشرق من انطاليا، وبالاضافة الى المنشآت والمرافق السياحية الحديثة، تحظى هذه الناحية بالعديد من الاثار التاريخية المهمة، واهم هذه المواقع التارخية مدينة بيرجي على بعد ١٨ كيلومتر من أنطاليا والتي شيدها الحيثيون سنة ١٥٠٠ ق.م، وقد ألقى القديس بولس أولى مواعظه وخطبه الدينية على سكان هذه المدينة.

أما المسرح القديم فيشتهر بنقوشه الرخامية المميزة التي تعرض منها عينات هي الاخرى في رحاب ملعب المدينة، ويستمتع هواة علم الآثار كثيرا بمشاهدة بوابة المدينة البديعة التي يحفها برجان شامخان ودرب طويل كان ممهدا بالموزاييك ومحاطا بالدكاكين، والساحة العامة الفسيحة والحمامات العامة والملعب الرياضي.

وعلى نهر كوبرو في الطريق إلى أسبندوس يتوقف السياح لالتقاط صور عديدة لجسر سلجوقي بديع في بنائه ورائع في مظهره وبعد ذلك يتوجهون إلى مركز أسبندوس للمجوهرات ثم إلى مسرح أسبندوس التاريخي الذي احتفظ بشكله الاصلي على مدى قرون عديدة، ويتسع هذا المسرح لحوالي ١٥٠٠ متفرج وهو مازال مستعملا الى حد الآن، وتظهر شرفاته الداخلية ونقوشه وخصائصه السمعية عبقرية الفن المعماري القديم بجلاء، وإذا حدث أن تساءلت يوما ما: كيف يتحول التبر الى قطعة فنية بديعة؟! وكيف تنقش الاحجار الكريمة؟ فلا تتردد في زيارة مركز أسبندوس للمجوهرات حيث يمكن مشاهدة صناع القطع الفنية وصائغي الذهب والمجوهرات وهم يؤدون عملهم من الألف الى الياء.

قيس بن عاصم المنقري

يتصل قيس بن عاصم بتميم ثم بمضر، ولما كان تميمياً فإن معنى ذلك أنه كان يعيش في ظلال قبيلة كبيرة لها بطونها، ومياهها، ولما كانت لها أيامها في الحروب، فإنها استحقت أن يقال لها «جمرة العرب».

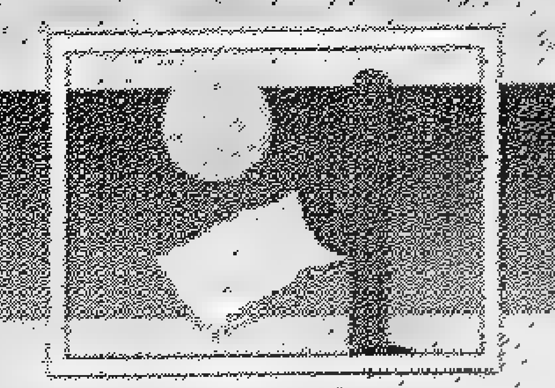
والمقصود بالجمرة هو تلك القبيلة المنيعة التي تغزو ولا تُغْزَى ولقد وجد نفسه في منعة من قبيلته، ومن أبنائه الذين وصلوا إلى ثلاثة وثلاثين، ولهذا وجد الطريق معبداً أمام الرئاسة، فقد كان فارساً شاعراً[١]، هذا إلى جانب أنه كان من الذين ينطقون بالحكمة ويشرعون للقبيلة، وحين سئل: بأى شيء ساد القبيلة قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر المولى، وتعجيل القرى، ولقد كان يضرب به المثل في الحلم، فقد قال الأحنف بن قيس عنه: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم، ذلك لأن ابن أخ له قتل واحداً من أبنائه، وقد حمل ابن أخيه إليه مكتوفا، فما كان منه إلا أن قال: ذعرتم الفتى، ومن ثم قال للفتى القاتل: يا بنى بئس ما صنعت، نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك، ثم أمر بإخلاء سبيله، وما حل حبوته، ولا تغير وجهه، ولا ارتعشت أطرافه، ولا تغير صوته وقال، لبعض بنيه قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه[٢].

كما كان يضرب به المثل في الكرم، ففي ليلة عرسه لم يأكل، وحين حملتْ عروسه له الطعام في الليلة الثانية لم يقل إلا كلمة واحدة هي: أين أكيلي؟ ولما سألتْ عن معنى الكلمة قال لها:

أيا ابنة عبد الله، وابنة مالك
ويا بنة ذى البردين، والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا.. فإنى لست آكله وحدى
أخا طارقا، أو جار بيت .. فإنني
أخاف ملالات الأحاديث من بعدي
وإنى لعبدُ الضيف من غير ذلة
ومابي إلا تلك من شيم العبد[٣]

كما أنه حرم الخمر على نفسه، حين غمز عكنة ابنته ـ وقيل أخته ـ فكان أن هربت، وصوَّر

بقلم: أ. د. عبده بدوي
ـ مصر ـ



الموقف[٤]، وفي الوقت نفسه كان شديد العصبية لقبيلته[٥].

وقد كان من الطبيعي أن يدخل في صراع مع الشاعرين الفارسين عبادة بن مرثد، وزيد الخيل، ومع أنه تعددت مكارمه إلا أنه أخذ عليه موقفان في الجاهلية وفي الإسلام، فأما الموقف الذى أخذ عليه في الجاهلية فهو «الوأد»، بل إن هناك رأيا يقول «إن أول من فعل هذا من العرب كان «قيس بن عاصم».

والمعروف أن العرب كانوا يقولون، إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به، فهو أحق بهن ويقال: إن الخوف من الفقر والسبى والاسترقاق، وبشاعة المنظر كان وراء الوأد، ولكن قيس بن عاصم قال بوضوح إنى أئد، للغيرة، والأنفة من النكاح، ويقال: إن هناك حادثا شخصيا وقع له، وهو الذى كان وراء عملية الوأد، وذلك لأن المشمرج اليشكرى البكرى - وبكر ضد تميم - قد أغار على جانب من تميم، وهو الجانب الذى كان منه قيس بن عاصم، وقد سبى فيما سبى امرأة من تميم، وقد ذهب قيس لاستخلاصها، وكان أن وجد أن عدوه المشمرج قد اصطفاها لنفسه، فسأله أن يطلقها، فقال «المشمرج»، قد جعلت أمرها إليك، فادخل عليها فإن اختارتك فخذها، وبالفعل دخل عليها، وخيرها بين العودة إلى قومها، وبين بقائها بين أعداء قومها وتحت المشمرج، وبحسم وبلا تردد اختارت المرأة التميمية بقاءها تحت المشمرج في بكر.. وأطرق قيس برأسه، وكان ذلك لم يفارقه أبدا، ومن هذا اليوم عزم على أن يئد - بلا رحمة - كل فتاة تولد له[٦]، ويقال إن العرب تبعوه في هذا، قال عنه أبو عبيدة: غدرة العرب ثلاثة أولهم قيس بن عاصم[٧].

ومن المعروف أن قيس بن عاصم وقومه لم يلتفتوا الى الإسلام إلا في وقت متأخر وإلا حين اصطدم الإسلام بهم اصطداماً شديداً، وقد كان هذا بعد فتح مكة، ونحن نعرف أنهم اصطدموا بمسئول الصدقات، وأنهم شهروا السيوف في وجه المسلمين، فما كان من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أن قال: من لهؤلاء القوم؟ وقد أنفذ إليهم حملة تأديبية، سرعان ما تفوقت عليهم وسبت أحد عشر رجلا، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً، وقد أسرع وفد لاسترجاع الأسرى وكان في الوفد قيس بن عاصم، وقد أكرم الرسول الوفد، ورد عليهم من أخذ منهم، وكان أن قال في قيس بن عاصم: هذا سيد أهل الوبر، ولقد أكثر من التردد على الرسول، ويبدو أن تسلل الاسلام كان بطيئا في نفسه، فإنه يروى أنه دخل على الرسول في بيته، وحين رأى وجه الرسول متبسما، ورأى بين يديه إحدى بناته يشمها في حنو بالغ قال للرسول متعجباً: ما هذه السخلة التى تشمها، وكان أن قال الرسول: هذه ابنتى، ويرد قيس: والله لقد ولد لى بنون، ووأدت بنات ما شممت منهن أنثى ولا ذكراً قط؟ فكان رد الرسول: فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك.

.. أما الموقف الذى أخذ عليه في الاسلام فقد كان في عهد أبى بكر، ذلك لأنه كان من الذين ارتدوا عن الاسلام، ومن الذين توقفوا عن أداء الزكاة، بل لقد وصل الحد إلى أنه آمن «بسجاح» ومن المعروف أن سجاحاً التى ادعت النبوة كانت تميمية بل يقال إنه عمل مؤذنا لها، وأنه قال شعرا يبارك فيه دعوتها مثل:

أصبحت نبيتنا أنثى نطيف بها
وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

ويقال إنه فعل ذلك مضطراً لأن مسيلمة أسر ابنا له، وأنه اقترب من سجاح ومن مسيلمة ليخلص ابنه من الأسر وفعل هذا حباً لابنه، ويقال: إنه اعتذر بهذا الأمر عند خالد بن الوليد، حين غزا سجاحا ومسيلمة، وأن خالداً قال له: احلف على هذا، فلما حلف على هذا، خلى سبيله، ومما يؤكد هذا أنه هجا سجاحا ومسيلمة بعد أن تزوجا، فقد قال:

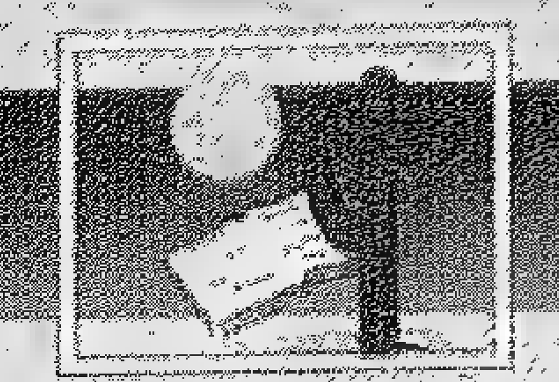
يا لعنة الله، والأقوام كلهمُ
على سجاح ومن بالأفك أغرانا
فيا مسيلمة الكذاب.. لاسقيت
أصداؤه ماء مزن حيثما كانا!

والواضح أنه عاش حتى أواخر عهد أبى بكر، وأن ما فيه من شدة وعنجهية قد ذاب وتلاشى، فقد اكتسب بمرور السنين حكمة، وكان ندمه الواضح على موقفيه من «الوأد» ومن «الردة»، ولهذا نراه في أواخر حياته يجمع أبناءه من حوله ثم يوصيهم فيقول «إياكم والبغى، فما بغى قوم قط إلا قلوا، وذلوا» وحين أحسَّ بالموت، ذكرهم بأنه لا مفر لأنسان من الموت، فالرحيلُ عن الحياة حق لابد منه، وكان فيما قال في وصيته الأخيرة يا بنى.. إذا مت فسوِّدوا كباركم، ولا تسوِّدوا صغاركم، فيسفه الناس كباركم، وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة الكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإذا مت فادفنوني في ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم، وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد ومما نسب له.

وإن ابن عمِّ المرء فاعلم جناحُه
وهل ينهض البازى بغيِّر جناح[٨]

ويلتفت الأبناء بعضهم الى بعض حين يثقون من الرحيل الذى لا لقاء بعده، ولا يملكون إلا أن يقولوا: رحمكَ الله يا أبانا، رحمك الله يا قيس بن عاصم، فقد كنت دائما كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: هذا سيد أهل الوبر! ومع أن صفحته تطوى، إلا أن ذكره يظل حيا في المسيرة العربية، وبخاصة موقفه من ابن أخيه، حين علم أن ابن أخيه قتل ابنه، فقد قال:

إنى امرؤ لا يعترى خلقى
دنس يفنده ولا أفنُ



من منقـــر في بيت مكرمـــة

والفـــرع نبت حـــوله الغـــصُنْ

خطبـــاء حين يقـــوم قـــائلهم

بيضُ الوجـــوه مـــصـــاقع لُسن

لا يفطنون لعـــيب جـــارهم

وهم لحـــفظ جـــواره فطن[٩]

كما أنه تذكر له الضربة التي ألحقها «بأبجر بن بجير» في أواخر معاركه، تلك الضربة التي كانت في العرقوب بحيث قطعت العصب، والتي دعت الشاعر عفيف بن المنذر إلى التغني بها حين قال:

فإن يرقأ العرقوب لا يرقأ النسا

ومـــا كـــال من يهـــوى بذلك عـــالم

ألم تر أنا قـــد فللنا حـــمـــاتهم

بأسرة عمرو والرباب الأكارم[١٠]

.. وأخيرا فقد كان من رواة الحديث، فقد روى عدداً، منها، قوله عن الرسول عليه الصلاة والسلام، نعم المال الأربعون، والكثر الستون، وهلك أصحاب المئين إلا من نحر سمينها، وأفقر ظهرها، ومنح غزيرتها، وأطرق فحلها، وأعطاها في نجدتها ورسلها[١١].

الهوامش:

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ٦/٥٧ ط ٢.

(٢) ديوان المعاني ١/١٢٥، والكامل للمبرد ٢/٧٠٩ ط١.

(٣) الحاسة البصرية ٢/٢٣٨ ط ٣.

(٤) قال كما جاء في الأغاني ١٤.

فيا شارب الصهباء دعها لأهلها الـ

ـقواة وسلم للجسيم من الأمـر

فـإنك لا تدرى إذا مـا شـربتـهـا

وأكثرت منها ما تريش وما تبرى

(٥) إنى امـرؤ لا يعـتـرى خلقى

دنـس يـفـنـده، ولا أفـن

من منقـــر في بيت مكرمـــة

والغـــصن ينبتُ حـــوله الغـــصن!

(٦) الأغاني للأصفهاني ج١٤ ص ٤٩٤٥ ط دار الشعب بالقاهرة، سئل عمر بن الخطاب عن الآية [وإذا الموؤدة سئلت» فقال: جاء قيس بن عاصم إلى الرسول فقال: إني وأدتُ ثماني بنات في الجاهلية، فقال الرسول: اعتق عن كل واحدة منهن رقبة ـ الإصابة ٢/٢٥٨.

(٧) الديباج. تحقيق عبد الله بن سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان ص ٦٥ ط الخانجي.

(٨) الحاسة البصرية ٢/٦١.

(٩) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ٤/١٥٨٤.

(١٠) شعر الحرب حتى القرن الثالث الهجرى. د. نورى حمودى القيسي ص ١٠٨، ١٠٩ ط ١ بيروت.

(١١) كتاب التعازى والمراثى. لأبى العباس المبرد. تحقيق محمد الديباجى ص ٣٧ ط ٢ دار صادر بيروت.

عبد العزيز الربيعي (عاشق المتنبي)

كتبت في مجلة الأديب اللبنانية بالعدد الصادر في يونيو سنة ١٩٧٣م مقالا تحت عنوان «فتى المروءة» تحدثت فيه عن نموذج حيّ للإنسان العربي في مروءته وهمته وعروبته ممثلا في صديقي عبد العزيز الربيعي، ومرّ أكثر من ربع قرن، ولا تزيدني الأيام إلا تأكيدا لما أعتقد وتثبيتاً لما سجلت من قبل، ثم رأيت خواطري تجيش بعواطف عنه، منها ما ينزع إلى اتجاهاته الخلقية، ومنها ما ينزع إلى اتجاهاته الأدبية، وفي هذه الأخيرة متسع للحديث عن ناحية هامة من نواحيه، شغلت فكره ولا تزال تشغله دون إمهال، وهى هيامه بالمتنبي شاعر العرب الأكبر، وهو هيام قامت أسبابه في نفسه، وتأصلت تأصلا يجد له جذوره العميقة في إطرابه، وقد علم عنه أصدقاؤه الباحثون هذا الهيام المفرط، فناقشوه كثيرا، وطال الجدل إطالة مسرفة، وكنت أحد هؤلاء الذى ناقشوه في ساعات كثيرة من أعوام شتى، وفي رسائل متصلة تحفل بالدقيق الخفي من أنباء الشاعر، التى فسرت حيناً على غير وجهها، ولعبد العزيز فهم خاص في كثير من أبيات المتنبي، يذكرني بالأستاذ الكبير محمود محمد شاكر إذ فتح الله على الرجلين بما تعذر أن نجده في شروح المتنبي على كثرة مفسرى شعره، في القديم والحديث، وليست المسألة موقوفة عند شرح النص، فهو متيسر لدارسي الأدب جميعا، ولكنها تقف عند فهم دواعي النص، وسبر غوره البعيد حين يتصل بأحداث خفية تستشف استشفافاً، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

وأكاد أجزم أن حبّ عبد العزيز لشاعر العربية قد انبثق من حب عبد العزيز للعروبة تاريخاً وأدباً، بل أخصّ من العروبة البادية بالذات! فقد نشأ عبد العزيز كما نشأ المتنبي بالبادية وإن اختلفت الباديتان، بين الشام والجزيرة العربية، ولكن خصال البادية العريقة من الشجاعة والنجدة والوفاء والحمية والغيرة على المرأة قد تمكنت من نفس المتنبي كما تمكنت من نفس عاشقه، واذا كان القراء يعلمون عن حياة المتنبي في بادية السماوة مالا أجد مجالا للخوض فيه، فإن حياة عبد العزيز العصامية بالبادية، تلك الحياة التى تحدث عنها الأستاذ محمد سعيد ذو الفقار في بعض أعداد مجلة المنهل في حوار عقده مع الأستاذ عبد العزيز، هذه الحياة تدل على أن عبد العزيز قد انحدر من أصلاب قبيلة الدواسر العربية وعشيرتها الأقربين (آل عويمر) وقد شارك والده فلاحة الأرض في زمن لم يكن الماء ميسرا إلا بالجهد الجاهد، ثم جف النبع، فأخذ الشاب الذى يحمل عبء أسرته بعد وفاة والده ينتقل الى جهات مماثلة، حتى ترك عمل الأرض الى الجيش السعودي المظفر، فصار جنديا ببأسه، ثم كاتباً بقلمه! وهنا مصدر العجب، لأن هذا الفلاح العصامي قد علّم نفسه بنفسه، لا ليقرأ أو يكتب فحسب، بل ليكون أديبا تظهر آثاره اللافتة في الصحف ظهوراً بارزا، ثم يختاره المسئولون لإدارة تحرير مجلة الجزيرة في الرياض، فيُسيطر على الحركة الأدبية حيناً ما ويرعى من الناشئة من صاروا اليوم من أصحاب الفكر الأدبي!

بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر -


عبدالعزيز الربيعي

ويدركه التواضع فلا تجمع آثاره في كتاب، وهي على تعدد مناحيها جديرة بالبعث في سفر خاص، وإذا كان الأستاذ الربيعي كالدكتور منصور فهمي يرى في كل ما كتب مالا يحرص على جمعه، مع سمو أدبه وذيوع فضله، فإني لأرجو من ولده الأديب الأستاذ محمد عبد العزيز أن يقوم هو بتخليد هذه الآثار المترامية في شتى الصحف والمجلات لا في الجزيرة وحدها، فهي إرث خالد، وكنز حفيل.

لقد رجعت الى ما تبودل من الرسائل بيني وبين الأستاذ الربيعي حول المتنبي بالذات، فرأيت من الأفكار ما لم يذع من قبل، وضنت عليَّ بعض هذه الأفكار أن تظل مستورة بين صديقين، وهي جديرة بأن تذاع، فقد تلقى التأييد إذا صدقت، وقد تلقى التصويب إذا حادت عن الصواب.

مما أذكره عن عبد العزيز قوله إن قارئ شعر المتنبي في وقائع سيف الدولة يحسُّ عروبة متوهجة في مواقف كثيرة، فهو في وقائع الروم يُغلظ على العدو، ويتهكم به، ويبالغ في احتقاره مسلطا جام غضبه عليه، ولكنه في وصف معاركه مع من خرجوا على سيف الدولة من العرب، يقف في صراع بين نفسه العربية ومجاملة ممدوحه، إذ لا يجيز في أعماقه إطلاقا أن يقاتل العربيُّ العربيَّ في ميدان، ورجل السياسة كسَيْف الدولة لا يرى ما يراه رجل الأدب - هكذا قال عبد العزيز - لذلك تجد المتنبي يلجأ إلى الاسترحام والاستعطاف ليلين من حمية سيف الدولة وغضبه فيقول:

وكـــيف يتم بأسك في أناس
تصيبهم فيؤلمك المصاب؟

ترفق أيها المولى عليهم
فإن الرفق بالجاني عتاب
وما جهلت أياديك البوادى
ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولّده دلال
وكم بُعد مولّده اقتراب

ويعلو صوت عبد العزيز، وهو يروى ما قاله المتنبي عن شجاعة كلاب وفروسية أبطالها فينشد قوله:

ولو غير الأمير غزا كلابا
ثناه عن شُموسهم ضباب
ولاقى دون ثايهم[١] طعانا
يلاقي عنده الذئب الغراب
وخيلا تغتذى ريح الموامي
ويكفيها من الماء السراب

ثم يقول، أترى عروبته الصادقة، حين غمر أعداء سيف الدولة بكل ود وحب، واعترف لهم بالشجاعة النادرة! إنه هنا العربي الأصيل.

وقد كتب الأستاذ محمود محمد شاكر حديثاً حلوا مطرباً عما استنتجه من حب المتنبي لخولة شقيقة سيف الدولة، ولكن عبد العزيز في حديثه معي امتد بالحبل الى أقصاه.. إذ أرجع هذا الحب الآخذ بمجامع قلب الشاعر الكبير لا إلى ما اتسمت به الحبيبة من الجمال والحسن، بل إلى شمائلها العربية التى يعشقها المتنبي ويراها نمطا يحب أن يحتذى، وقد قلت له إن المتنبي قد وصف جمال خولة بما لا مزيد عليه حين قال:

فليت طالعة الشمسين غائبة
وليت غائبة الشمسين لم تغب

فقال الجميلات كثيرات، رآهن المتنبي ولم يشغف بهن للجمال وحده، ولكنه شغف بالمروءة العربية

والهمة العلوية التى فاضت بالخير والمعروف على الناس من كف خولة، والتي أشار إليها المتنبي في قوله:

كأن (فعلة) لم تملأ مواكبها
بيار بكر ولم تخلع ولم تهب
ولم تردّ حياة بعد تولية
ولم تغث داعيا بالويل والحرب
وهمّها في العلا والمجد ناشئة
وهمّ أترابها في اللهو واللعب

فصفات المرأة العربية، ذات المروءة السامية، والنجدة المسعفة هى التى أوقدت شعلة الحب في نفس المتنبي! وليس الجمال وحده.

والقارىء يرى أن المتنبي قد قال كأن (فعله) ولم ينطق باسم خولة، وقد دارت بيني وبين الأستاذ عبد العزيز مناقشات حول هذا التستر المتحفظ، وجرّت هذه المناقشات إلى نتائج لم يقلها أحد من قبل ممن كتبوا عن المتنبي على كثرتهم الكاثرة! فقد لاحظت مع أخي عبد العزيز أن من سمات البدو ألا يذكروا اسم المرأة حبيبة أو زوجة أو أمّا، ويرون ذلك عاراً أي عار، (إلا ما اشتهر لدى العذريين حين أفصحوا عن الأسماء تحت وطأة حب جارف لم يملكوا معه الكتمان) وجاء المتنبي فلم يسلك مسلك الشعراء ولو بالحديث عن مسميات عامة مثل هند وسلمى وليلي كما ترى في دواوين أبي تمام والبحترى وابن الرومى وعشرات الشعراء بل مئاتهم، فكان يتغزل في المجهولات دائما، فيقول:

عواذل ذات الخال فيّ حواسد
وإن ضجيع الخود مني لماجد
هام الفؤاد بأعرابية سكنت
بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا
وفتانة العينين قتالة الهوى
إذا نفحت شيخا روائحها شبا
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى
لأخوك ثم أبر منك وأرحم
وبين الفرع والقدمين نور
يقود بلا أزمتها النياقا
في مقلتى بشر تديرهما
بدوية فتنت بها الحلل

بل قد يلجأ إلى الغزل الجمعى الذى يتحدث عن النساء جميعا، كيلا يخص واحدة منهن، فيقول مثلا:

من الجآذر في زىّ الأعاريب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب
بأبى الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلاببا
سربٌ محاسنه حُرمت ذواتها
داني الصفات بعيد موصوفاتها

ومعنى هذا كله! أن تقاليد البادية حرّمت عليه ذكر خولة باسمها، وحرمت عليه التحدث عن اسم نسائى بذاته إلا ما ندر - فقد ذكر مرة اسم ريا - وهنا نقف أمام الذين يأخذون على المتنبي أنه لم يذكر اسم أمّه فلا نعلم عنها شيئا، كما لم يذكر اسم «زوجته» فلا نعلم عنها شيئا! نقفُ أمام هؤلاء لنقول لهم اذا كان لم يذكر اسما ما لحبيبته، ولو كان اسماً شائعا كعادة الشعراء، وإذا كان لم يذكر اسم خولة الذائعة مع اشتهاره، أفيجوز لمثله في حميته العربية، وغضبته المضرية أن يتحدث عن أم وزوج! فنتساءل من أمه؟ ومن زوجه؟ ثم نقول: تركهما لضآلة نسبهما!! أهذا تاريخ؟.

وأنا أعرف أن الأستاذ الربيعى ممن يؤثرون الأستاذ عباس محمود العقاد على الدكتور طه حسين ويرى الأول أشد نفاذاً إلى أعماق البحث، وأحسن وصفا لمعضلاته، وكشفا لغوامضه، وكنت أظن حبه للمتنبي بعيداً عن هذا التفضيل المؤكد لديه، وكأنى أردت أن أزيده استطالة على الدكتور طه حسين فأرسلت إليه ذات مرة أقول له، إنى قرأت كتاب «مع أبى العلاء في سجنه» للدكتور طه حسين، وأعجبت كثيراً بمذهبه في التحليل، وأطربنى قوله في الكتاب

عن المتنبي: «أنا أقدر فن المتنبي وأعجب ببعض آثاره إعجاباً لا حدّ له، وأعجب ببعضها الآخر إعجاباً متواضعا إن صح أن يتواضع الاعجاب، وأمقت سائرها مقتاً شديدا، ولا تثير حياة المتنبي بنفسي إشفاقا عليه، ولا رثاء له، وإنما هو مغامر طلب ما لم يخلق له، وتعرض لما كان يحسن أن يعرض عنه فانتهى إليه أمثاله المغامرون».

كتبت هذا الى الأستاذ الربيعي، وقد أدرك ما أريد أن أستفزه به، ولكنه في رده اصطنع هدوء ساكناً، وكأن الأمر لا يعنيه فكتب إليّ يقول: هذه مسألة فرغ منها الأستاذ العقاد حين قال تعليقا على كلام الدكتور طه الذي أشرت إليه:

«الحق أني لأعجب لهذا النفور من الدكتور وشاعرنا العربي الكبير، وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل عمله، ولكن أزن ما زاده في ثروة الآداب العربية، وما زاده من شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه، فأعلم أن الحياة لم تفسد بفساد المتنبي، وأن الأدب قد صلح بصلاح شعره، وأنّ لأصغر الهلافيت من خلق الله سيئات أكبر من سيئات المتنبي، واحتملتهم الدنيا مع ذلك أفتحتمل الدنيا هذا من أصغر الهلافيت، ولا تحتمله من الرجل الذي لو قبلنا حسناته بألف ضعف من سيئاته لكنا من الرابحين».

هذا ما أقتطفه الأستاذ الربيعي من دفاع العقاد، وأنا أشمت به وبشاعره حين اختار هذا الدفاع المتواضع، لأنه لم يكن تبرئة خالصة للشاعر المنقود، ولكنّه يحمل من النقد الصارخ ما كان على الأستاذ الربيعي أن يرد عليه، فالمتنبي في مرآة العقاد رجل زاد شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه كما أن له سيئات كما لمثل صغار الهلافيت! لقد كان فى طوق العقاد أن يعبّر عن هذه المغانى بأسلوب لا يجرح اللحم والعظم معا هكذا، بأن يقول كما قال غيره:

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه

ولكنه مشى مع الدكتور طه إلى أكثر من منتصف الطريق، والربيعي في أطواء ذاته يرى المتنبي شاعر العروبة الذي قفز بمثلها الى أبعد غايات الكمال! أفيكون صاحبى قد راجع نفسه، وعلم أن المتنبي بشر ذو سقطات!

على أني أزجي لأخي عبد العزيز نصاً للدكتور طه حسين في كتاب (مع المتنبي) إخاله سيفرح به كثيرا، ذلك أن الدكتور طه في بعض سهواته عن مؤاخذة المتنبي، اعترف اعترافاً صريحا بأن أبا الطيب هو الذي وجه أبا العلاء إلى الشعر الفلسفي، فأبو الطيب هو استاذ أبو العلاء فلسفيا! وليست أستاذيته مقصورة على النهج الشعري! يقول طه تعليقاً على قول المتنبي:

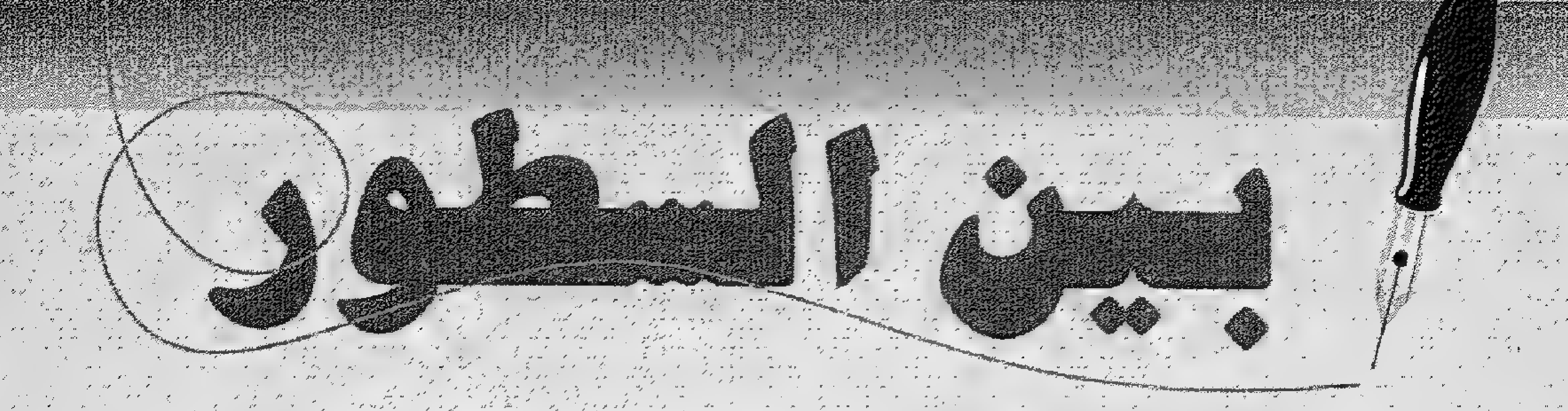
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة
وقيل تشرك جسم المرء في العطب

«وأحب أن تلاحظ أن المتنبي يصطنع في هذه الأبيات لغة أصحاب الكلام، أكثر مما يصطنع لغة الشعراء، وسيقلده أبو العلاء في هذا النحو من التعبير، كما يذهب مذهبه في هذا النحو من التفكير.. ثم قال طه (خير ما في الشعر هذه الإلماحات القصيرة ببعض الآراء الفلسفية التى كانت بذورا صالحة لفلسفة أبى العلاء)».

أخي عبد العزيز: أى كسب للمتنبي أكثر من أن يكون موجها أبا العلاء فيما انغمس فيه من هذه الفلسفيات!!

الهوامش:

(١) المراد بالثاي: المنازل والرباع، والموامي هي الصحاري.



الفضول الثقافي - من اغاريد الطفولة -

كانت اختى تكبرنى بثلاث سنوات لكنها كانت تمثل لي كنزاً ثقافيا باعتبار أن «اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة» كما يقول المثل الشعبي فكانت تعرف اكثر مني بمئات السنين تبعا لهذا المثل، كانت تعرف اين يقع نهر بطاطيا واين جزر واق الواق وماذا فعل المفتش الشهير عطاطه مع المجرم الخطير بطاطة واين ذهب حسن في مسلسل مجلة الهلال الذى يختفى في آخر كل حلقة ليظهر في بداية الحلقة التالية، كانت اختي باختصار تعرف كل شيء وكنت انا اتمتع بالفضول الثقافي فكانت علاقتي بها تتجاوز علاقة الاخوة الى المحبه والهواية واجلال التلميذ لمعلمته.

كان ابن بائع الحلوى يسمى «شلبايه» أو كان هذا لقبه الذى يناديه به ابواه لكن اختى كانت تضيف ان اسم الاب والام «شلبى وشلبيه» واضافت اختى انها سألت المدرس عن معنى كلمة «شلبى» فقال انها محرفة عن الاسم التركى «جلبى» وتعنى الشيء النفيس ومؤنثه «شلبيه» وتصغيره «شلباية» وتبعاً لارشادات اختى التى نوهت اننا يمكن ان ندرس خصائص الجنس التركى على عائلة شلبى فقد كنت احوم حول حانوتهم اشاهد انواع الحلوى المغرية «العسلية والمصاصة وبراغيث الست وبنوت الغفير وخد الجميل» - والتى كنا محرومين منها لفقرنا، وفي نفس الوقت ادرس علم الاجناس على «الشلبيين» تكرر منى ذلك عدة مرات حتى شك «الشلبي» في امرى وامسك بى ليعاتبنى قبل توجيه الاتهام والدفاع فأخذت في الانتحاب معتذراً وانا اقول «يا عم شلبى انا ادرس علم الاجناس» لم يفهم الرجل آخر الجملة لكن استفزه مناداتى له باسم «شلبى» فازداد ضربه لي، فقد اعتقد اننى اسخر منه إذ أن اسمه «الشنشورى» بدأت أشك في معلومات اختى.

هيروشيما صبي - من أغاريد الطفولة:

عندما بلغت العاشرة من العمر كان لدى مائة سبب على الاقل لكى اكره امريكا، على رأس تلك الاسباب مأساة هيروشيما تلك المدينة اليابانية التى القت عليها امريكا القنبلة الذرية مع سبق الاصرار والترصد فجعلتها شاهداً حياً على ظلم الانسان لاخيه الانسان، كان يقطن في الشارع شاب صغير السن نصف وجهه معجون تماما والنصف الآخر عادى جداً وكانت شقيقتى الكبرى تشرح لى مأساة هيروشيما على هذا الشاهد المتحرك وكيف ان ما حدث له بسبب الاشعاع الذرى ثم هربت به امه المسكينة من اليابان الى مصر عن طريق البحر في مركب قديم متهالك بعد أن مات افراد الاسرة كلهم اثر الانفجار وجاهدت الام في مصر الحنون التى فتحت ذراعيها لاستقبالها هى وابنها للعيش فيها حتى دخل الابن المدرسة الثانوية كانت اختى تقول تلك المعلومات - التى لا ندرى مصدرها - فتغرورق عيوننا بالدموع وكان املى ان اتعرف على هذا الانسان واشد على يديه واخبره أن مصر كلها - ممثله في شخصى الضعيف انا واختى - نقف وراءه، مرت سنوات طويلة واختفى الهيروشيمى من شارعنا وقابلته في اول حياتى العملية في نفس المكان الذى اعمل به وعلمت أنه مصرى صميم لم

د. عبدالغني عبدالحميد رجب

- مصر -

يذهب لليابان في حياته لكنني لم اكف عن كراهية امريكا.

لا تقتل نفسك - حكايه من العيادة النفسية:

تقع في اطراف المدينة مستشفى صغيرة وامكانياتها ضئيلة ولا ادرى الى الآن ما الذى دعا مديرها المجنون الى افتتاح عيادة نفسية في مكان يعانى من نقص الخدمات الاساسية ويطلق عليها الاطباء اسم الخرابة، لم تكن العيادة النفسية سوى لافته وطبيب حتى المكان لم يتوافر فجلس الطبيب النفسانى مع اطباء الباطنة في نفس الحجره وكان لابد أن يدور بينهم حوار اثبت لهم من خلاله ان طريقة عملهم خاطئة، وعرض عليهم كتاباً لطبيب امريكى عن مريض يعانى من آلام شديدة بالمعدة وبعد أن خضع لفحوص وتحاليل واشعات وتناول ادوية كثيرة بلا فائدة كانت المحطة الاخيرة هى الطبيب النفسانى الذى اكتشف أن حماة الرجل هى السبب في مرضه كان عنوان الكتاب «لا تقتل نفسك» وكان عنوان الباب «اقتل حماتك وعش سعيدا» بعد أن تخلص الفتى الامريكى من حماته شفى تماماً من آلام المعدة واصبح يعيش حياة طبيعية ويتناول من الاطعمة ما يروقه.

بسبب نقص الامكانيات في المستشفى أو انعدامها اصبح السؤال الرئيسى الذى يسأله اطباء الباطنة لمريضهم عن الحماه وكان احد المرضى من الشباب يعانى من مرض مزدوج بصمام القلب وسأله الطبيب عن حماته فأجابه انها سيده كريمة ورائعه وتوضع على الجرح فيندمل ولما سأله عن زوجته اجابه انه غير متزوج.

وعرفت ان الحماه هى كائن رمزى موجود في الوجدان الجمعى للناس جميعا حتى لو لم يكونوا متزوجين وانه طالما الانسان غير متزوج فحماته سيده طيبه والعكس بالعكس.

الشاعر والراوية - شطح الصبا-

كان مدرس اللغة العربية في المرحلة الثانوية يعانى من جنون عظمة من نوع خاص يتمثل في صلته بشعراء الغزل على مدى قرون متطاولة وكان يعتقد أنه راوية عمر بن ابى ربيعة وكاتم سره وذات يوم دخل علينا وقبل ان يلقى بتحية الصباح إذا به يقول بصوت جهورى: إن هناك من اشعار ابراهيم ناجى ما لم يكتب بالقلم الحبر وان من اشعاره ما لم يكتب بالقلم الجاف وما لم يكتب بالقلم الرصاص أو حتى القلم الكوبيا. رفع احد التلاميذ اصبعه يطلب الكلمة معتقداً ان هذه لغزه تتطلب حلا ولم ينتظر ان يسمح له المدرس بل قام من تلقاء ذاته وهو يقول أن ابراهيم ناجى كان يكتب شعره بالوان الشمع والوان الطباشير، نظر اليه المدرس شزراً وهو يقول له اجلس يا جحش، وما إن قعد التلميذ الجحش حتى اضاف المدرس قبل ان يقطع عليه احد نشوته «ان من اشعار ابراهيم ناجى ما كتب باحمر الشفاه واقلام الحواجب على مرايا العذارى في خدورهن .. وكنت معه وهو يكتبها».

بالاذن يا خليل (١):

- استدراك على الشيخ الجليل الخليل بن احمد الفراهيدي -

كنت منذ الطفولة وحتى الآن اعتقد أن الخليل بن احمد الفراهيدى من اعظم العبقريات التى انجبتها الحضارة الاسلامية لكن في عصرنا هذا - عصر الحداثة والجنون - اعتقد أننا بحاجة لخليل جديد .. مجنون.

- بحر الظلمات هو البحر الذى استدرك به شعراء الحداثة على الخليل بن احمد.

- نظر الشاعر الحداثى في المرأه في لحظة مكاشفة فلم يرشيئاً.

- رقص الشاعر الحداثى على قدر ايقاع الزمان فلا تلمه اذا اصيب بغيبوبه دائمة حيث ان ايقاع الزمان اسرع من ان يرقص عليه بتوءدة التفاعيل الخليلية القديمة.

- الشعر الحداثى ليس مهنة .. لكنه امتهان.

- هل انطلق شعر الحداثة من صلب القديم ام من رحمه؟ اعتقد انه انطلق من امعائه.

- الشاعر الحداثى هو الذى يحلب الثور حقيقة لا مجازا.
- كان الشعراء يتجادلون وبيزنطه تحترق في اكثر الوسائل شاعرية لاطفاء الحريق.
- شاعر الحداثة وجهه لا يضحك للرغيف الساخن الا إذا كان ممتلئاً باللحم.
- هذا الشاعر ظل محتفظاً بمبادئه حتى مات كأطول شاعر في العالم.
- هذا الشاعر افضل شاعر في العالم .. فهو صديقي.
- هذا الشاعر لا يغير مبادئه بسهولة.. يغيرها بصعوبة.
- لم اندهش عندما علمت ان سفاح الصرب «رادوفان كاراجيتش» طبيب نفساني وشاعر.
- كانت كلمة ثورى في قصائد شاعر الحداثة نسبة الى الثور وليس الثورة.
- يقول شاعر الحداثة انه لن يريق ماء وجهه.. فهو ليس به ماء.
- شاعر الحداثة قد لا يثير اعجاب كل الناس لكنه بلا شك يثير اشمئزازهم.
- عندما قرأت قصيدة من شعر الحداثة اعتقدت انها طلاسم شيطانية لتفريق الاحبة.
- شعر الحداثة هو الكتابة بالحبر الابيض على ورقة بيضاء شفافة.
- اخذ يقرض شعر الحداثة حتى اصبح اصلع تماما.
- شاعر الحداثة يغترف شعره من البحر الاسود ويصبه في بالوعة الصرف الصحى.
- شاعر الحداثة هو الذى لا يحترم قواعد الشعر ولا قواعد اللغة ولا قواعد الاخلاق ولا قواعد المرور.
- شاعر الحداثة محموم لا ينفس عنه الا أن يهذى.
- ليس من العار أن تكون شاعراً حداثيا طالما لا تجاهر بشعرك..
- الشاعر السريالى يريد أن يصور مشاعر الكرسى عندما يجلس عليه - اعتقد انها القرف الشديد.

- ان القسوة على الطفل تدفعه ان يصبح شاعراً حداثيا عندما يكبر.

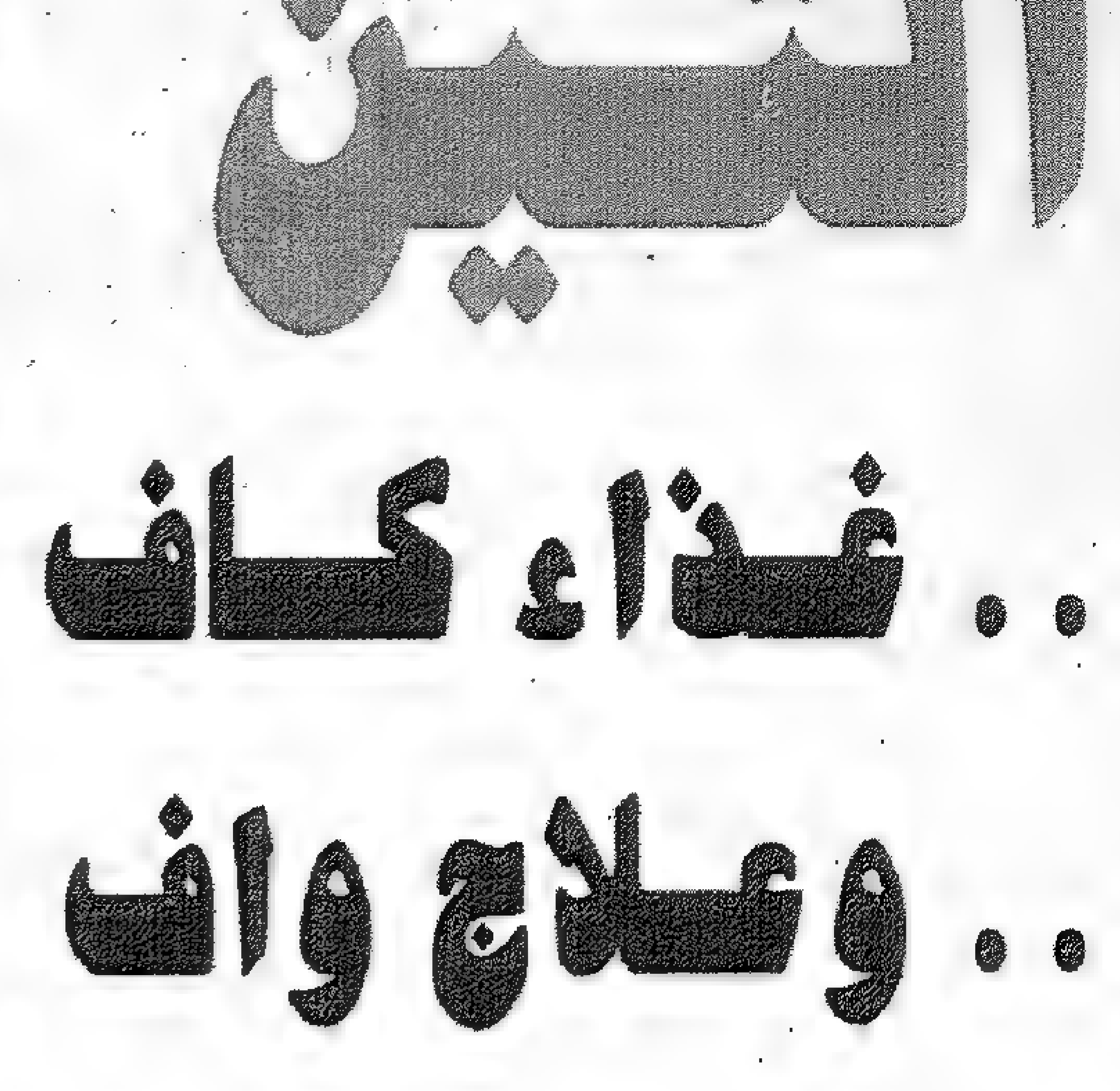
بالاذن يا خليل (٢):

استدراك على الشيخ الجليل الخليل بن احمد الفراهيدى

- شعر الحداثة احيانا يثير الدهشة .. دائما يثير القرف.
- شاعر الحداثة يعتقد أن الكتابة معناها النكاية في الآخرين.
- لم يكن افلاطون على حق عندما طرد الشعراء من جمهوريته، كان عليه ان يسلخ جلودهم.
- الشاعر الفرنسي تلقى رصاصة في رأسه في الحرب العالمية الاولى ثم مات بعد سنتين بالانفلونزا، ربما كانت هذه هي كنايته الاخيرة.
- هذا الشاعر يعتقد ان فائدة حروف الهجاء أن يهجو بها الاخرين.
- هذا الشاعر يجيد استخدام الرمز في شعره .. فهو يدعى رمزي.
- شعر الحداثة هل يمكن تفسيره على نفس الاسس التى تستخدم في تفسير الاحلام اذا كانت من نوع الكوابيس؟.
- بين الشعراء والمجانين فاصل ادق من نسيج العنكبوت لو انقطع لصار المجنون شاعرا.
- هذا الشاعر يبدو وكأنه قنبلة موقوته ستنفجر عندما يسمع شعره الآخرون.
- كل ما عليك هو أن تضع الكلمات في غير مواضعها حتى تصبح من شعراء الحداثة.
- اكتب الشعر دائماً فإن لم تجد قارئاً فستجد كاتباً.
- الاحمق هو من يقول الشعر الحديث والاكثر حمقاً هو من يقرأه.
- هذا الشاعر يلوح وكأنه خارج لتوه من مستشفى الامراض العقلية.
- اننى لا افهم ما يقوله شعراء الحداثة لكنني افهم ما يقصدونه.

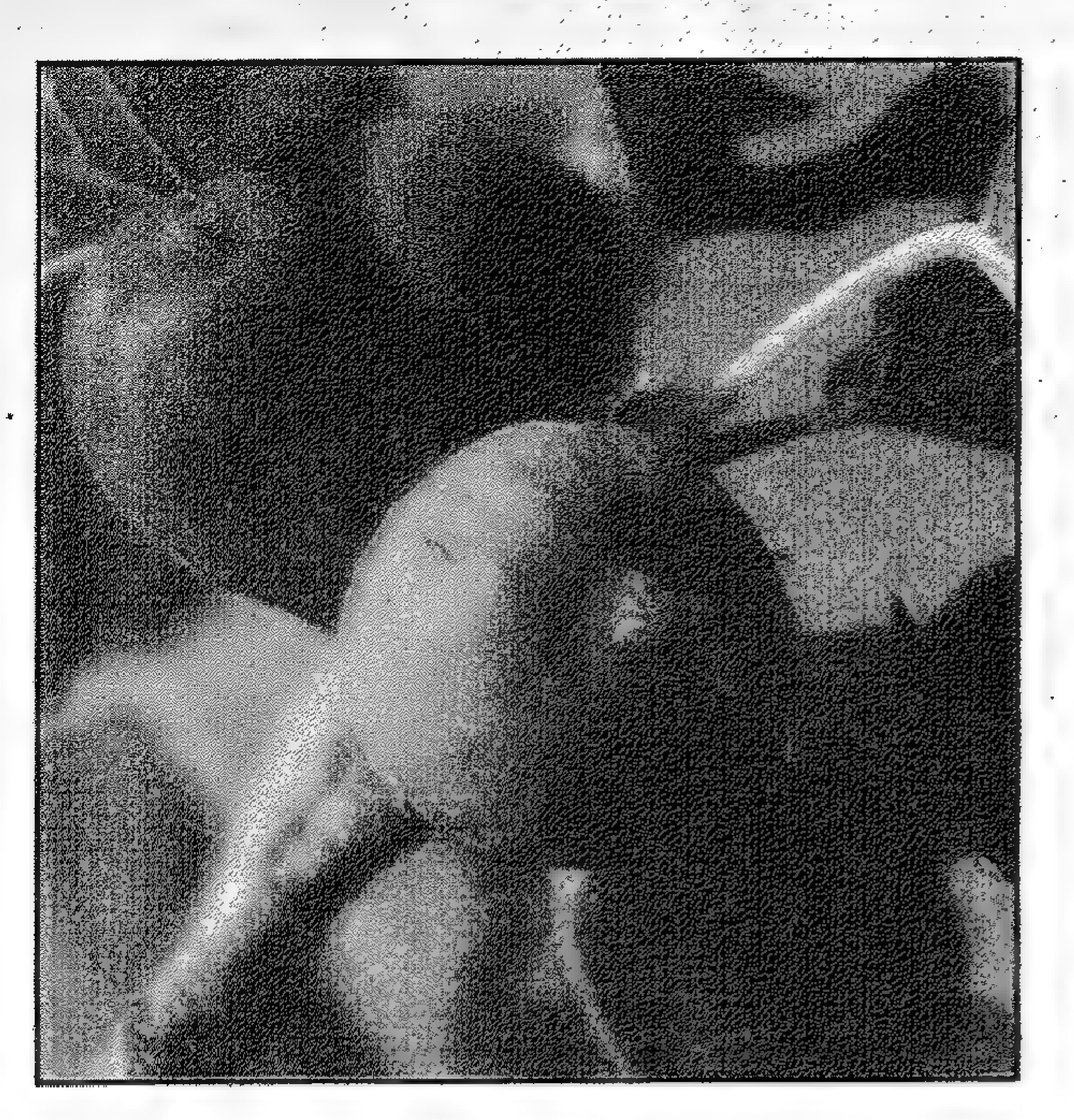


رسالة
من الرجولة
.. الى السيدة الجميلة
التين ..
غذاء كاف
.. وعلاج
واف
الفنان المسلم
١١٧
لكِ
أوراق زوجية
هُنَّ



التين

.. غذاء كاف .. وعلاج واف



التين لغة، هو شجر من الفصيلة التوتية وثمر ذلك الشجر يعرف في مصر بالتين البرشومي. وهو من الأشجار أو الشجيرات الصغيرة المعمرة، متساقطة الأوراق، الاسم العلمي فيكس كاريكا (Fi-cus Carica) والاسم الأنجليزي (Fig)، موطنها حوض البحر الأبيض المتوسط، ويقال إن اليونانيين أول من أخذوها من كاريكا، ومن هنا جاء اسم نوعها «كاريكا»، وقد عنى بها اليونان وحسنوا ثمارها. وقد كان التين مقدساً عند باكوس، والتين الهندى مقدس عند البراهمة والبوذيين، وقد ولد بوذا تحت ظلال شجرة التين المقدسة، وكان التين يسمى «نوة ـ أنت ـ داب» (Nuhe - ent - dab) وكان يستعمل كغذاء ودواء وفي صناعة الخمر كذلك. ويسمى التين باليونانية سيقمورس وبالفارسية هجار. وقد عثر على التين في قبر ميتين (Methen)، قبل عصر الأهرام ـ على وصف بستان كرم حيث كان يزرع العنب والتين، وقد عثر على صور لشجر التين في مقابر عدة ترجع الى عصور مختلفة. وكانت العادة إذا جمعت الثمار ربطت في الخيوط كما هو الحال الآن. وقد عثر بالفعل على شيء منها بهذه الحالة كان مقدما للموتى في القبور المصرية القديمة، وقد وفق بيترى للعثور عليها في القبور الملكية التى ترجع للأسر الأولى.

كان التين يزرع بكثرة في مصر، وكان رمسيس الثالث يقدم كميات هائلة منه للمعابد العظيمة، وكان مزروعا في حديقة معبد الإله آمون في طيبة خمس شجرات من التين.

وقد ورد ذكر التين في القراطيس الطبية، ففي قرطاس أيبرس وحده ذكر التين ٤٧ مرة وكلها كانت للاستعمال من الباطن ما عدا اثنتان منها كانتا للأستعمال من الظاهر.

وقد أقسم الله في كتابه الكريم بالتين، وذلك لكثرة فوائده كغذاء ودواء، وقد اختلف المفسرون في ذلك، وقال مجاهد (هو تينكم هذا) .. والله أعلم.

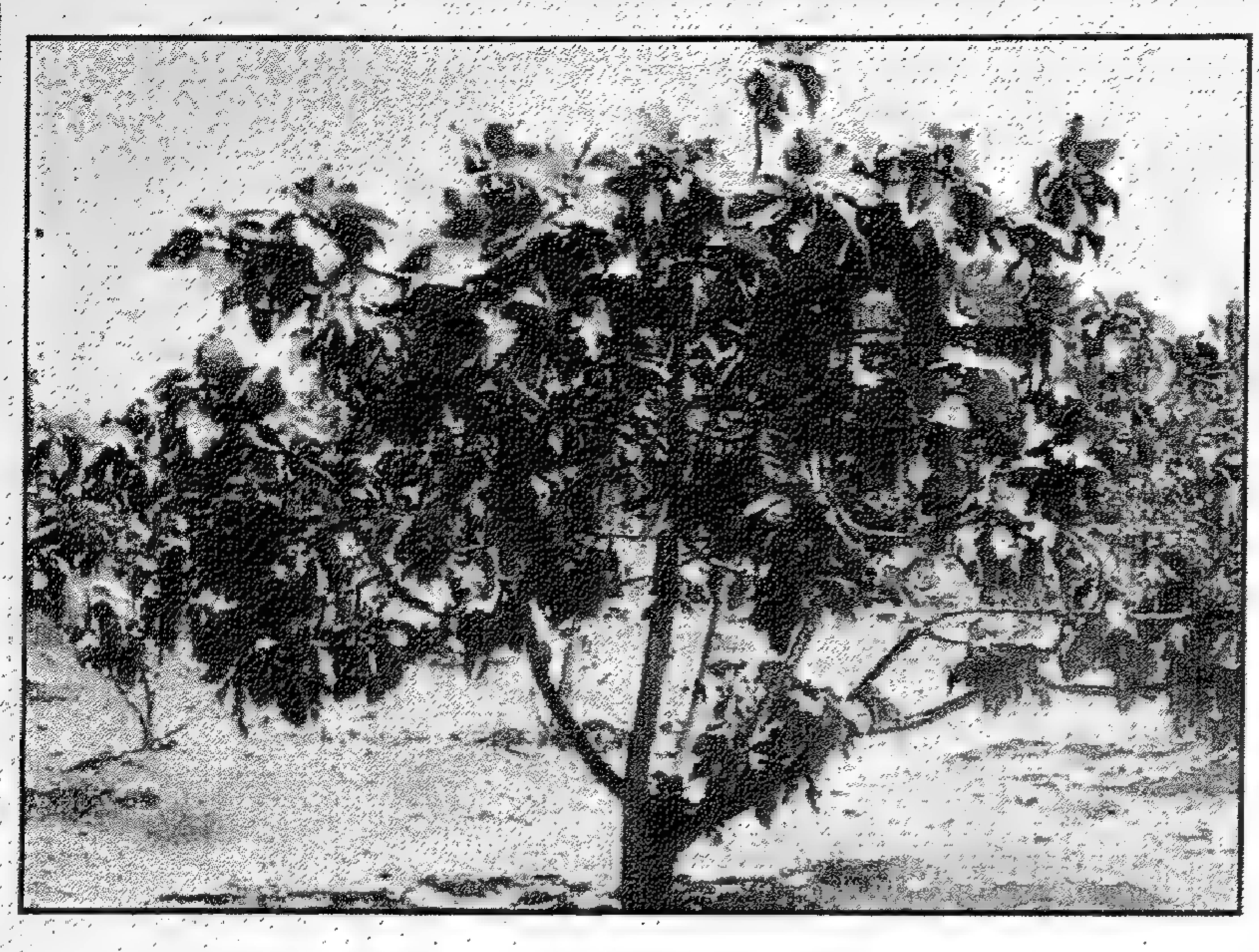
ومما هو جدير بالذكر أن التين لم يكن بأرض الحجاز والمدينة، ولم يأت له ذكر في السنة، وقد قال ابن قيم الجوزية في «الطب النبوى»: يذكر عن أبى الدرداء: أهدى إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] طبق من تين فقال: «كلوا» وأكل منه، وقال: «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة، لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة

اعداد : أ.د. سامية محمد مصطفى عامر
ـ مصـــر ـ

بلا عجم، فكلوا منها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس» وفي ثبوت هذا نظر.

الموطن الأصلي وطبيعة التلقيح وأهم الأصناف والدول المنتجة له:

ترجع زراعة التين إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث انتشرت زراعته في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويعتقد أن الموطن الأصلي للتين هو جنوب شبه الجزيرة العربية حيث ينمو هناك بحالة برية.



وقد قام المهاجرون الأسبان بنقل التين إلى كاليفورنيا في منتصف القرن الثامن عشر، وحاليا يزرع التين في كثير من مناطق أوروبا. ويذكر (Goor) ١٩٦٥ في مؤلفه أنه ربما زرع التين لأول مرة في مصر وشبه الجزيرة العربية وذلك عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد.

وثمرة التين كروية أو كمثرية الشكل، ويختلف لونها، فمنها الأبيض، والأحمر، والأسود وأجوده الأبيض.

وتنقسم أصناف التين إلى قسمين: قسم تؤكل ثماره طازجة، وقسم تؤكل ثماره مجففة. أما التين الطرى الكامل النضج: فهو مركب من ثلاثة أجزاء: أحدها القشر، والثاني الحب، والثالث اللحم. فأما حبه فهو غير مفيد للجسم حيث يشبه في صلابته الرمل والحصى. وأما قشره فهو عسير الهضم جداً، ومن أجل ذلك فمن الواجب ألا يؤكل التين الرطب بقشره. وأما لحمه فأكثر غذاء من لحم التين اليابس. أما طبيعة التلقيح والعقد في هذه الثمرة فهي مختلفة عن بقية الفواكه الأخرى حيث يتم التلقيح بواسطة حشرة قيضها الله سبحانه وتعالى لنقل حبوب اللقاح من الأزهار الذكرية إلى ثمار التين المؤنثة، فنجد الأزهار في التين وحيدة الجنس، ويكمن في الأزهار الذكرية نوع من الذباب يسمى «بلاستوفاجا» يخرج في الربيع محملا بحبوب اللقاح، ويدخل في ثمار التين المؤنثة فيلقح الأزهار، وعند نضج الثمار تقطف وتؤكل أو تجفف.

أهم أصناف التين:

- أصناف ذات قشرة حمراء فاتحة: مثل التين الفيومى والعبودي.

- أصناف ذات قشرة خضراء أو صفراء أو صفراء مخضرة: مثل أبيض أسوانى والكهرماني والكمثرى والعدس وهذه المجموعة تسمى أصنافا بيضاء.

وأهم الدول المنتجة للتين (المجفف) في العالم هي: تركيا وتأتى في مركز الصدارة تليها اليونان ثم الولايات المتحدة الأمريكية في المركز الثالث ثم إيطاليا والبرتغال وأسبانيا.

التين كغذاء واف:

يحتوي التين على نسبة عالية من المواد السكرية ونسبة متوسطة من البروتين ونسبة بسيطة من المواد الدهنية كما يحتوى على أملاح معدنية، مثل الكالسيوم والفوسفور والحديد، والتين غني بفيتامين

(ك) الذي يساعد على تجلط الدم وإيقاف النزيف، كما يحتوي على فيتامين (أ) ، (ب) ونسبة بسيطة من فيتامين (ج).

وترجع القيمة الغذائية لثمرة التين لما تحتويه من نسبة عالية من المواد السكرية علاوة على البروتين والدهن وعنصري الحديد والكالسيوم، ومما هو جدير بالذكر أن التين غني بالألياف النباتية التي تساعد على تنبيه الحركة الدودية للأمعاء ومنع حدوث الإمساك.

والجدول التالي يبين القيمة الغذائية لثمار التين:

يعطي الكيلو جرام الواحد من ثمار التين حوالي ٣٥٧ سعرا حراريا.

اسم العنصر	نسبة وجوده
بروتين	٦,٤ جرام
دهن	١,٨ جرام
كربوهيدرات	٩٨ جرام
كالسيوم	٢٤٥ ملليجرام
فوسفور	١٤٥ ملليجرام
حديد	٠,٧ ملليجرام
فيتامين أ	٣٥٠ وحدة دولية
ثيامين	٠,٠٢٥ ملليجرام
ريبوفلافين	٠,٠٢٣ ملليجرام
نياسين	٢,٥ ملليجرام
فيتامين جـ	٠,٧ ملليجرام

التين كعلاج واف في الطب القديم:

مما يدل على الفوائد الجمة للتين أن سورة في القرآن الكريم سميت باسمه، أقسم الله فيها بالتين، ولو أمعنا النظر في شجرة التين المباركة لوجدنا أن الله وضع فيها من روائع صنعته وابداعه ما تفردت به عن بقية الفواكه فمن روائع الابداع الإلهي في هذه الشجرة أن كل جزء منها يشفي من بعض الأمراض حتى الرماد بعض الحرق له فوائد طبية.. سبحان الله الخالق العظيم.. أليس هذا إعجازاً علميا.. وقد عرف الأطباء الأوائل سر هذه الشجرة العظيمة، فقد أطال ابن سينا في القانون في سرد هذه الفوائد، وكذلك البيطار وداود الأنطاكي وغيرهم كثير.. نذكر بعض هذه الاستعمالات في العلاج لكل جزء على حدة.

ثمرة التين الناضجة سواء غضة أو مجففة:

استعملت في علاج كثير من الأمراض فقد وجد أن تناوله يصلح اللون الفاسد بسبب المرض، والأورام الحارة الرخوة وينضج الدماميل، ويشفي من الصرع، ينفع من خشونة الحلق ويوافق الصدر وقصبة الرئة، وشراب التين يدر اللبن، ينفع من السعال المزمن وأوجاع الصدر وأوجاع القضيب والرئة، ويفتح سدد الكبد والطحال وقال جالينوس: رطبه رديء للمعدة ويابسه ليس برديء، وإذا أكل بالمريء (ما يؤتدم به) نقى فضول المعدة، وهو مما يقطع العطش الذي من بلغم مالح، ويابسه يهيج العطش، وينفع من الاستسقاء خصوصا بالأفسنتين وكذلك شرابه نافع للمعدة، ويقطع شهوة الطعام، ولاستعماله على الريق منفعة عجيبة في تفتيحه مجاري الغذاء، وخصوصا مع اللوز والجوز علاوة على أن رطبه ويابسه ينفع الكلى والمثانة، ويصبر على حبس البول، ورطبه إذا تُنوول معه لوز مدقوق كان ملينا ومسهلا قليلا كما يستخدم كذلك لصلابة الرحم إذا خلط مع النطرون والقرطم وأخذ منه قبل الطعام. والتين الأبيض يجلو الكلى من الرمال ويؤمن من السم ويلطف ويدفع الأدران من الصدر والظهر وهزال الكلى وضعف الباءة وكذلك يسكن الحرارة ويلين مخمد الرائب من الدماء والألبان ويذيب الجامد منها، ويهيء البدن لدفع الفضول الغضة الى خارج البدن وله ضرر وحيد إن أكثر من أكله جدا ولد القمل في البدن، والسلاق في الفم والحميات المزمنة لذلك ينبغي أن يقلل. وهو أقل الفواكه نفخاً، يطلق البطن، كاسراً للرياح، وهو يخصب البدن، ويزيد في اللحم، ويسكن النبض من القلب بخاصة فيه فسبحان الخالق العظيم.. الذي أحسن كل شيء صنعاً، أصح الفواكه غذاء، إذا أكل على الريق ولم يتبع بشيء، وإذا داوم على الفطور

عليه أربعين صباحاً بالأينسون سمن تسمينا لا يعدله فيه شيء، وإذا نقع في الخل تسعة أيام ثم لوزم على أكله وشرب الخل والضماد به أبرأ الطحال عن تجربة.

الثمار الفجة:

ومن فعل التين الفج على سبيل الدواء يطلى به ويضمد على الخيلان والثآليل وأصنافها والبهق، تبرىء قروح الرأس ذروراً، وإذا خلط بعسل نفع من عضة الكلب والقروح التى تسيل منها رطوبة عسلية لزجة، وإذا خلط معه نطرون وعجن بنحل أبرأ القروح الرطبة التى بالرأس، وإذا طبخ وعمل منه ضماد، لين العقد والخنازير وحللها ومما يجدر الإشارة إليه أن طبيخه مع رغوة الخردل تطلى على الحكة وتقطر في الأذن التي بها طنين فتشفى بإذن الله.

الأوراق والأغصان وعصارتها:

تقطع آثار الوشم، وتنفع من القوباء، ويجعل على الشرى وعلى القروح الغليظة الرطوبات، ويدلك بالأوراق الأجفان وجربها وعصارة أوراقه تفتح أفواه المقعدة أما عصارة الأغصان فهى تنفع في السن المتأكلة، ويفيد استعماله على أورام ما تحت الاذن ضماداً.

اللبن:

يقطع آثار الوشم، لبنه مع العسل ينفع من الغشاوة الرطبة، وابتداء الماء وغلظ الطبقات، ولبن التين البرى يجمد اللبن (يعمل كالمنفحة)، ويذيب الجامد منه (مثل الخل)، ويفتح أفواه العروق وإذا احتمل بصفرة بيض الرحم وأدر الطمث، وقد تفعل عصارة الأغصان كذلك.

الرماد مع الزيت:

ينقى القروح ويجلو الآثار، ويبيض الأسنان لا يعدله فيه غيره، وينفع اللثة، ويسود الشعر مع الخل، وبصفرة البيض والشمع يصلح أمراض المقعدة، وإذا احتمل في صوفه بعسل نقى القروح والرطوبات الفاسدة وقطع نزيف الدم.

الفوائد الطبية لثمرة التين في الطب الشعبى الحديث:

١ ـ لعلاج الإمساك:

ينقع (٣ ـ ٤) من ثمار التين الجاف في كوب من الماء البارد في المساء وفي الصباح تؤكل هذه الثمار المنقوعة ويشرب ماؤها على الريق، أو تطبخ ثلاث أو أربع ثمار طازجة مقطعة في قدح من الحليب مع ١٢ حبة زبيب، ويشرب الخليط صباحاً على الريق.

٢ ـ لعلاج كسل الأمعاء:

يقطع (٦ ـ ٧) من ثمار التين الجاف إلى شرائح، وتغمس في زيت الزيتون مع إضافة بضع شرائح من الليمون، وتترك لمدة ليلة كاملة، وفي الصباح تؤكل هذه الشرائح على الريق.

٣ ـ لعلاج الجروح والقروح:

تضمد الجروح بثمار التين المجففة والمغلية بالحليب، لهذا الغرض تشق بضع ثمار من التين الجاف، بحيث يفتح داخلها تماما.. وتغلى لمدة بضع دقائق بالحليب العادى. وبعد أن تبرد قليلا يغطى بها الجرح بحيث يكون سطحها الداخلى فوق الجرح مباشرة، وتثبت فوقه برباط من القطن، مع تجديد هذا الضماد ٣ ـ ٤ مرات يومياً.

٤ ـ لعلاج اضطراب الحيض:

يغلى (٢٥ ـ ٣٠) من أوراق التين في لتر من الماء ويشرب من المغلى لعلاج السعال واضطراب الحيض، وإدرار الطمث ويؤخذ قبل ميعاد الدورة الشهرية.

٥ ـ لعلاج التهابات الحلق واللثة:

يستخدم المستحضر السابق كغرغرة وغسول للفم والتهابات اللثة.

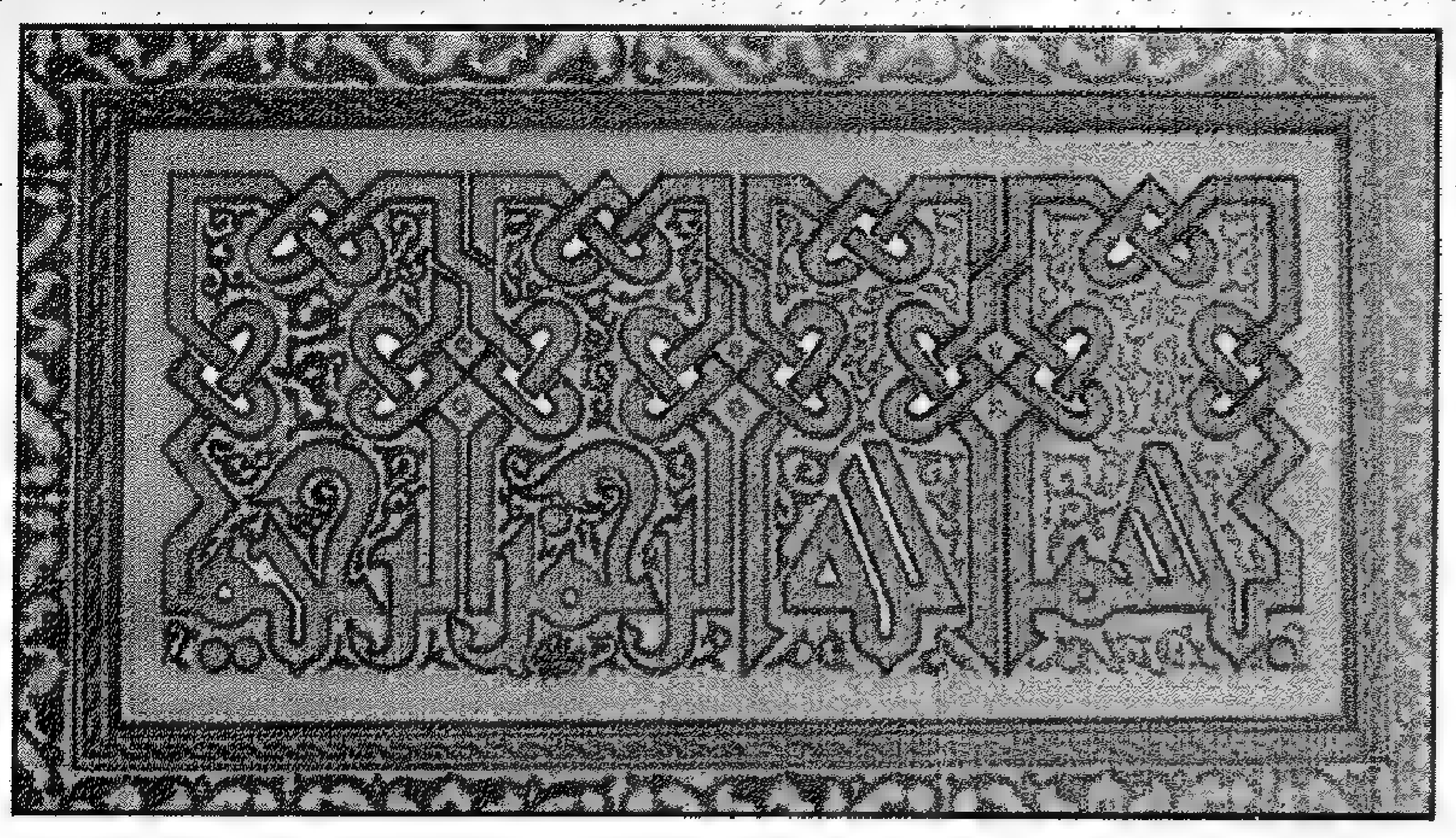
٦ ـ لعلاج نقص إدرار البول واللبن:

منقوع التين المجفف يساعد على إدرار البول واللبن.

وفي النهاية يجب علينا أن نخر ساجدين لله الذى أنعم علينا بهذه النعم الوفيرة في نوع واحد من الفواكه حيث جعله غذاء وشفاء لملايين البشر.



الفنان المسلم



الطبيعة .. الجمال .. الكون، كلها عناصر تتضافر لتكون الفنان المسلم المتميز بحسه المرهف، الذي استطاع أن يترك بصماته الفنية واضحة عبر العصور التاريخية باختلاف البقاع التي وطأتها قدماه، وإنه من الحري بنا أن نسلط الضوء على تلك اللمسات الفنية الرائعة التي برزت في مظاهر عديدة لتكون خير شاهد عبر القرون على أن المسلم هو أكثر الناس إحساسا بالجمال في كل مظاهر الحياة، بل حتى في تلك المظاهر التي قد تبدو بسيطة بعيدة كل البعد عن القيمة الفنية، لأن الفنان المسلم كان يحيا بروح جميلة فرأى الجمال في كل ما حوله مستعينا على ذلك بصفاء سريرته وشفافية حسه.

والفنان هو شخص موهوب ذو حساسية خاصة تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية للطبيعة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات التي يتلقاها حسه مكبرة مضخمة إلى لون من الأداء الجميل، يثير في النفس الانفعال ويحرك فيها حاسة الجمال[١].

والفنان إنسان نافذ البصيرة يعلم أن معنى الحياة ليس رهنا بالبحث العادي عن مطالب الجسد ومشاغل الحياة المادية، بل هو رهن بعملية البحث عن القيم والسعي وراء المعاني الروحية.. وهو ليس مجرد إنسان يحيا لذاته ويعمل من أجل إشباع حاسته الفنية، بل هو أيضا إنسان يحمل رسالة.. إنه ذلك المخلوق الذي لا يحيا لنفسه بل للآخرين.. لأنه هو الذي يخرجنا من قواقعنا الذاتية لكي ينقلنا إلى العوالم الفنية الجديدة التي قد تؤلف بين قلوبنا وتوحد بين أفكارنا.. والفن هو في صميمه لغة إنسانية يحقق البشر عن طريقها ضربا من التواصل فيما بينهم، ونحن حين نحرص على ابراز صلة الفن بالإنسان فإنما نبغي التشديد على الدور الذي يقوم به الفن في الحضارة البشرية بوصفه أداة للاتصال، والمشاركة والتبادل المستمر.. فالإشعاع الروحي الذي يتحقق عن طريق الأعمال الفنية يمثل مدرسة أخلاقية كبرى نتعلم فيها التعاطف والتناغم وشتى أحاسيس المشاركة الوجدانية، وهذا هو السر في أن الفن كان وما يزال أعمق مظاهر النشاط البشري تعبيرا عن الاتصال[٢].

الفنان وكل بشر بصفة عامة لابد ما دام حيا أن يتلقى من الكون إيقاعات معينة في حسه تتوقف على طبيعة هذا الحس بين العمق والضحالة والكبر والضآلة، وتتوقف على المساحة التي يكشف عنها

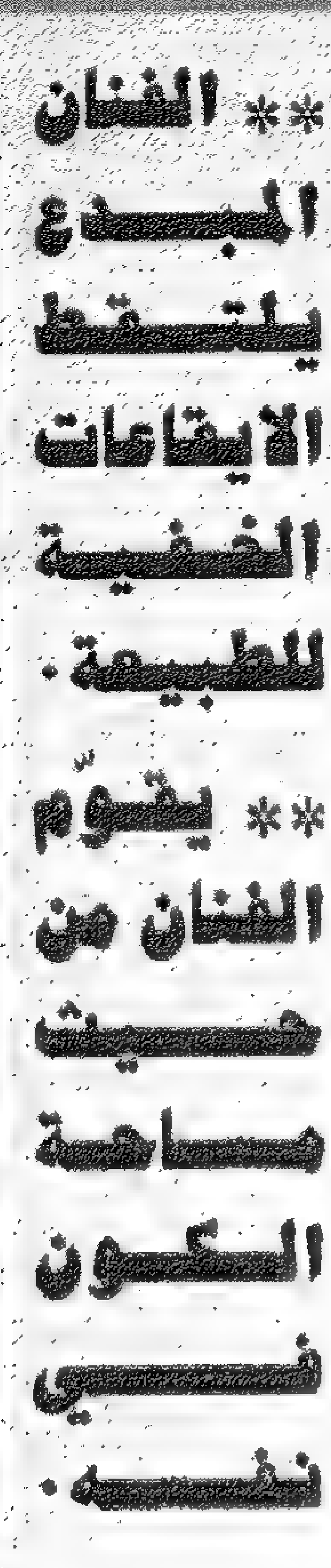
بقلم : ابتهال محمد على البار
- جدة -

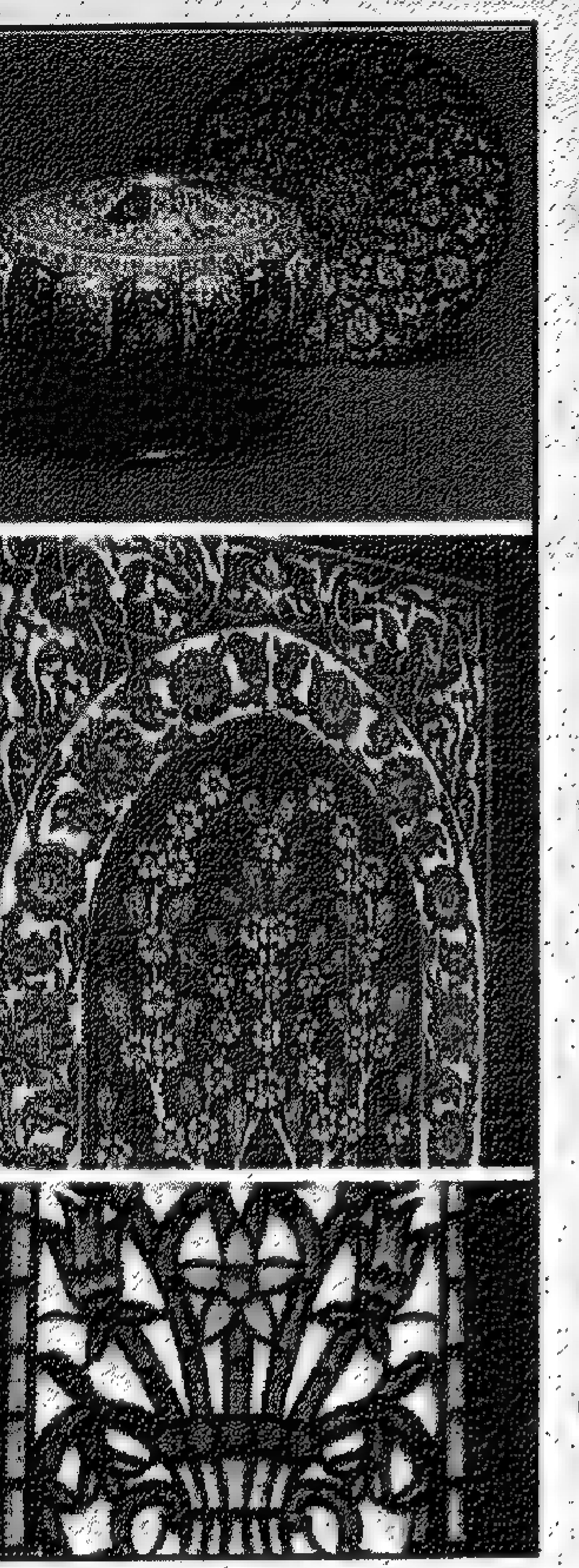
حسه من صفحة الكون الكبير ثم يحاول التعبير عن هذه الإيقاعات بالطريقة الفنية الميسرة له، من لفظ أو لحن أو خطوط أو ألوان. ومن ثم لا يمكن الفصل بين الفن وبين الصورة التي يتخذها الوجود في نفس الفنان، لذلك يكون من المهم أن نعرف صورة الكون في حس كل فنان قبل أن نقوم بتقويم إنتاجه الفني، ويكون من أصلح المقاييس في هذا التقويم أن نعرف المساحة التي يشغلها الكون في نفسه، فعلى قدر اتساع هذه المساحة أو ضيقها يكون اتساع أفقه الفني أو ضيقه.. وذلك مع الوفاء بشروط الأداء الفني بطبيعة الحال.

فالفنان الذي يرى من الكون المادي مشاهده «الحية» وحدها أو «الجامدة» وحدها أصغر مساحة في التقويم الفني والإنساني من الفنان الذي يرى ذلك الكون المادي في مجاليه، فيحتفل حسه بالجمال المبثوث في ربوع الكون كله من أناسي وطير وحيوان ونبات وجبال وأنهار.. ويكون هذا الأخير أكبر مساحة في التقويم الفني والإنساني لو استطاع في الوقت ذاته أن يدرك الروح السارية في هذا الكون كله.. الروح التي لا تجعله مادة جامدة حتى في الأشياء الصامتة بل تجعله حيا يتحرك ويحس ويتعاطف.

والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو أشمل تصور عرفته البشرية حتى اليوم، إنه التصور الذي لا يأخذ جانبا من الوجود ويدع جانبا آخر.. التصور الذي لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثة في أعماق الكون، بل يطلق الحس ليتملى الحياة في كل شيء في هذا الكون ويتصل به اتصال المودة والقربى والإخاء.

إنه التصور الذي لا يأخذ الإنسان ضرورات قاهرة ويدعه أشواقا طائرة.. بل يأخذه بمجموعه كله، ثم لا يأخذه فردا واحدا في جيل واحد.. بل لا يأخذه في الحياة الدنيا وحدها ويدع الآخرة، وإنما





يأخذه فردا وجيلا وسلسلة متصلة من الأجيال ثم يأخذه كيانا ممتدا بين الدنيا والآخرة على نسق متصل مترابط الأجزاء. ذلك أصفى تصور لحقائق الوجود وأجمل تصور في تاريخ البشرية كله. فكل نظام آخر وكل عقيدة أخذت شيئا من هذه الجوانب المتعددة فنشأ من ذلك قصور في التصور وخلل في التوازن.

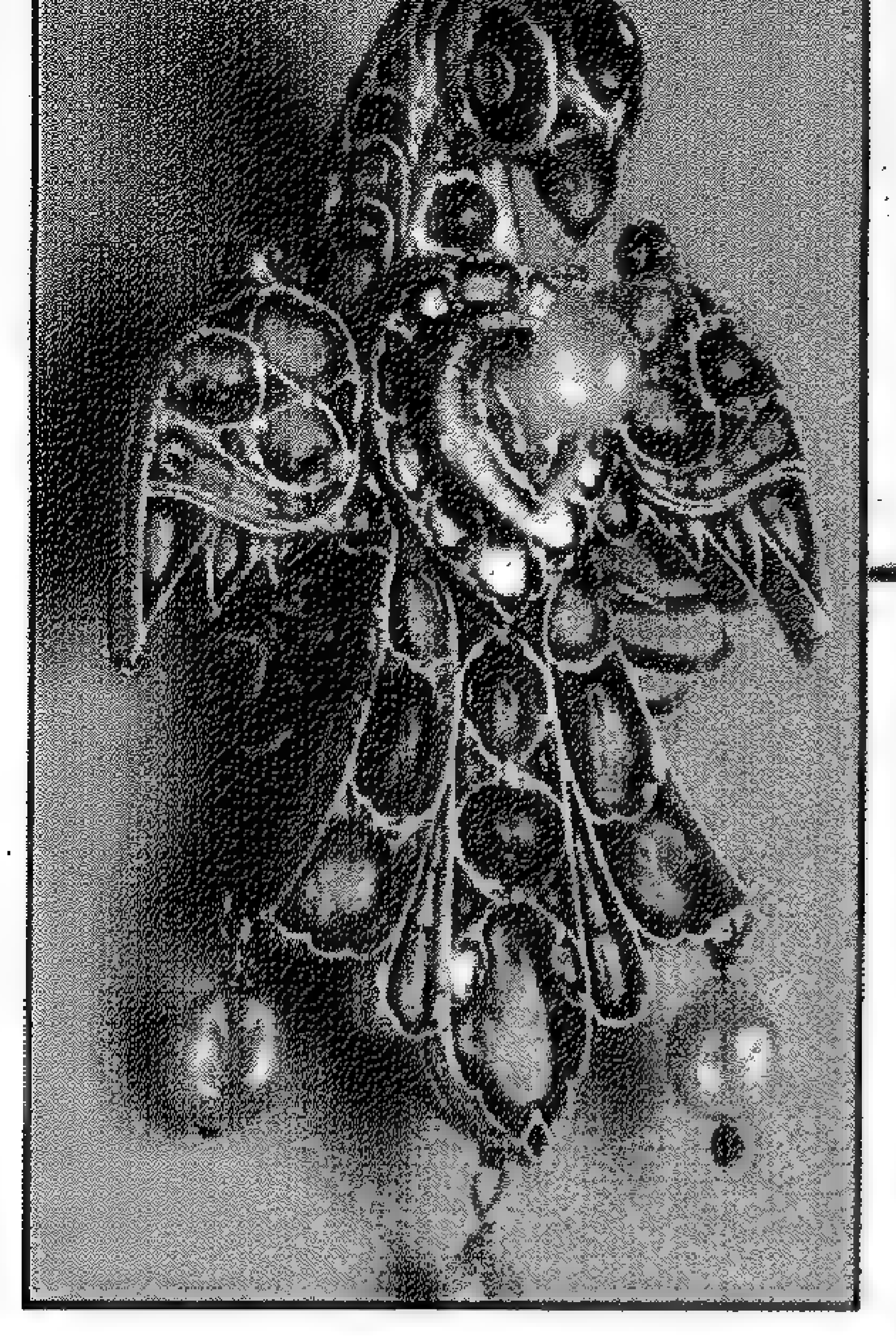
ولكن كيف ربّى الإسلام الحس الجمالي عند الإنسان؟

«القرآن الكريم يوجه النفس إلى جمال السماء وإلى جمال الكون كله، لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود. هذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي

**** التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان هو التصور الاشمل والأرحب.**

**** الجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء.**

**** الفن الاوروبي في جميع ادواره كان مشغولا بمعبوده الذى صنعه بيديه، يدور معه حيث دار.**



يتهيأ فيها للحياة الخالدة، في عالم طليق جميل، بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية، وإن أسعد لحظات القلب البشري لهي اللحظات التي يتقبل فيها جمال الإبداع الإلهي في الكون، ذلك أنها هي اللحظات التي تمد له وتهيئه ليتصل بالجمال الإلهي ذاته ويتملاه»[٣].

فالوجود كله صديق للإنسان متعاون معه بار به عاطف عليه، لا تقوم بينهما العداوة والبغضاء ولا الجفوة والنفور، وهذا الوجود الجميل المتعاطف مع الإنسان كائنات حية ذات حس ووعي وإدراك. (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) (فصلت/١١).

فالجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء، وعنصر مطلوب ليستمتع به الناس وموهبة يذكّر الله بها الناس ليشكروه ويعبدوه. **{والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون}** (النحل/ ٥، ٦) فالأنعام ذات فوائد حسية ومنافع يبينها الله للناس ليشكروه، لكنه لا يوجههم إلى الفوائد الحسية فحسب، بل يوجههم توجيها صريحا إلى الجمال في هذه الأنعام؟ وهذا التوجيه له دلالته فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في التصور الإسلامي. فهو مخلوق واسع الأفق متعدد الجوانب. ومن جوانبه الحسي الذي يرى منافع الأشياء، والمعنوي الذي يدرك من هذه الأشياء ما فيها من جمال، **وهو مطالب ألا تستغرق حسه المنافع. وألا يقضي حياته بجانب واحد من نفسه مهملا بقية الجوانب. فكما أن الحياة فيها منافع وجمال، كذلك نفسه فيها القدرة على استيعاب المنفعة والقدرة على التفتح على الجمال، فينبغي أن يأخذ الحياة هكذا بكليتها، ويتلقاها بنفسه كلها عاملا فيها بجميع طاقاته ليصبح جديرا بمكانه الكريم عند الله.**

وصلة الإنسان بالأحياء الأخرى صلة وثيقة لأنها كلها يجمعها شعور واحد، فهي تتجه إلى خالقها بالتسبيح والعبادة كلّ على طريقته {ألم تر أن الله يسبح له ما في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه} ، ولا تقتصر علاقات القربى على هذه الإيحاءات الدقيقة.. فهناك إيحاءات أخرى {والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير} (النور/ ٤٥).

إن صلة القربى هذه ليست معنوية فحسب، بل هي مادية محسوسة، إنها الاشتراك الحقيقي في مادة واحدة خلقت منها الكائنات ثم تعددت أنواعها وتفرقت أشكالها، إن الإنسان إذن ليس واهما ولا متخيلا خيالا شعريا حين يحس بالرابطة الوثيقة بينه

وبين الكائنات الحية في الوجود من حوله. إنها الحقيقة لكنها حقيقة تفتح للقلب منافذ شتى ليطل منها على الحياة، فتتسع مساحتها في نفسه وتعمق أصولها في حسه ويجد فيها الشعر والفن منفذا يصل بين النفس والكون في أوسع مداه[٤].

وكما استطاع الإسلام أن يجعل الإنسان يندمج مع الطبيعة والأحياء التي حوله جعله يرتبط بالبشرية جمعاء برباط الحب الطاهر الذي لا تشوبه أغراض دنيئة ولا نوايا خسيسة. كيف لا وقد وسع قلب المسلم حب الله خالق الموجودات، ومن هنا «كان الفنان هو مصدر لإنتاج الجمال ونشره في حياة الناس ودنياهم بما حباه الله من موهبة، **وهذا يعني أن يشيع السعادة فيما حوله، وهذه أولية مهمة في حياة الناس ودنياهم بما حباه الله من موهبة، وهذا يعني أن يشيع السعادة فيما حوله، وهذه أولية مهمة في شخصيته، وإلا فما فائدة أن يخط الجمال بقلمه أو ريشته ثم يعجز أن يخط به سلوكه أو يكون ممن يثبت المتناقضات بذلك السلوك؟.**

وإن نماذج الفنانين أصحاب المتناقضات لكثيرة، «فبيكاسو» الذي ملأت سمعته الآفاق تقول زوجته الرابعة في مذكراتها: إنه كان يرى الحياة رواية فاشلة، كما تشتكي من بخله الشديد رغم غناه الفاحش، بل إن هفوة بسيطة كافية أن تنسيه عشرة طويلة كما حدث لسائقه الذي طرده بعد خدمة ربع قرن.

وفي العصر الحديث أضحى الباب مفتوحا أمام كل إنسان ليصبح فنانا، سواء أكان موهوبا أم غير موهوب، وكان ذلك بفضل المدارس الفنية الحديثة كالسريالية والتجريدية.. فقد ذهبت الأسس والقواعد والمقومات وقامت ذاتية الفنان، وارتفع المستوى الفني العام وأصبح كل إنسان فنانا؟..

وكان الموضوع هو الفكرة التي يسعى الفنان لابرازها وتسليط الضوء عليها من خلال فنه وعبقريته وموهبته، إذن كانت هناك غاية يسعى لتحقيقها، ثم جاءت بعض المدارس الحديثة فأعفت الفنان من عناء هذه المهمة، وأصبح الفن نفسه هو الغاية.. وظهرت رسوم لرسامين كبار تشبه رسوم الأطفال والمجانين والذين يرسمون بلا غاية.. وأصبح العبث واللامعقول والوهم والأحلام هدفا يسعى إلى تحقيقه في العمل الفني. وكان غياب الغاية تعبيرا عن غياب العقل وسيطرة الهوى والفوضى. وكل ما سبق يرجع إلى سبب رئيسي واحد هو فقدان التصور الصحيح لدى الفنان عن الألوهية والكون والحياة (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

ويمكن إجمال خصائص الفن الإسلامي فيما يلي:

* الفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية، والوسيلة تشرف بشرف الغاية التي تؤدي اليها، ولذا فليس الفن للفن وإنما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة.

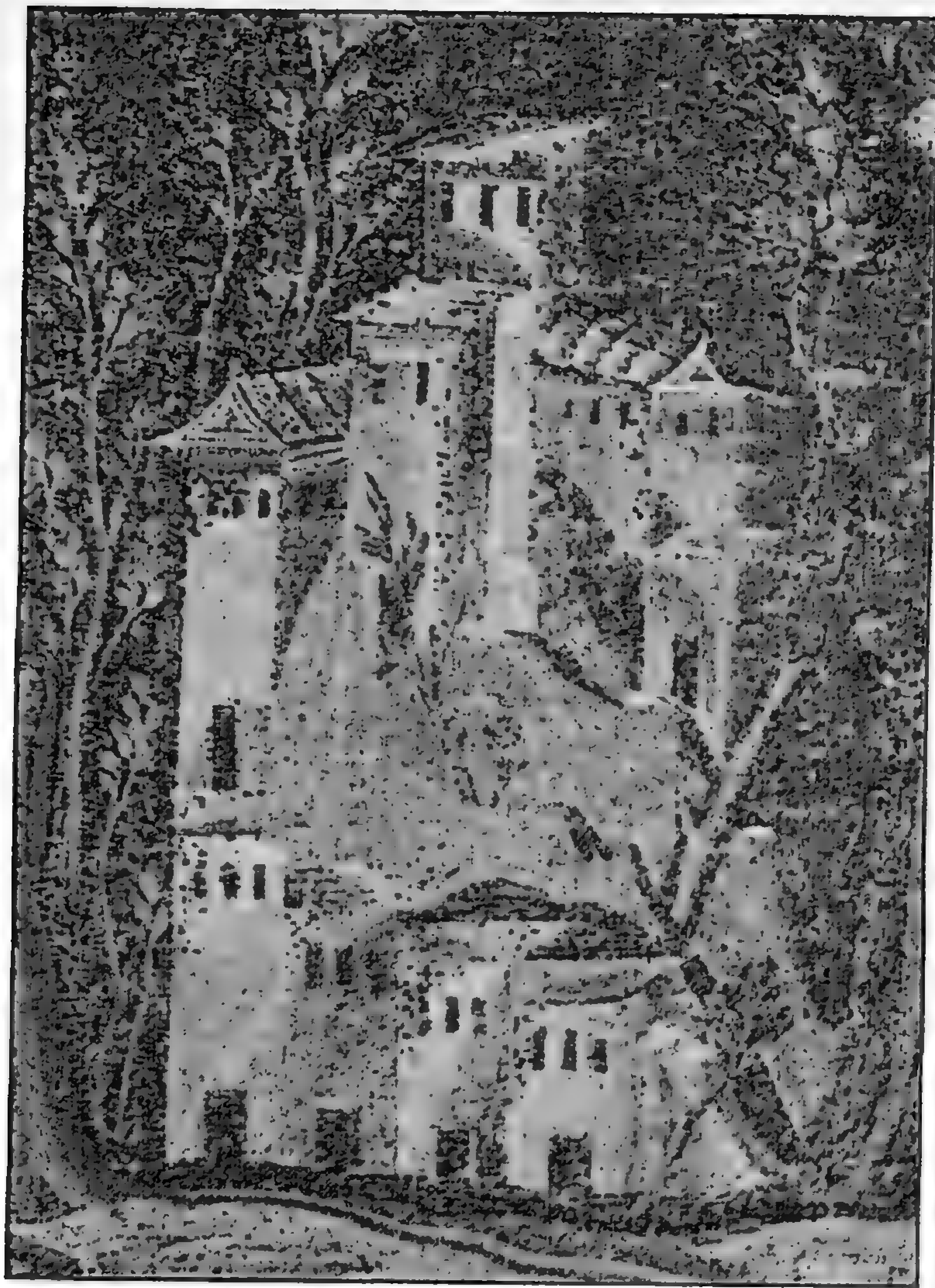
* الفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون طعمة للعبث، فغايته: ايصال الجمال الى حس المتلقي والارتقاء به نحو الأسمى، أي نحو الأجمل فهي اتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والانتاج ورفض الهبوط.

* كما إن له هدفا يسعى إليه فله باعث يدفع إليه، هذا الباعث يغذيه جذران، جذر يمتد في أعماق النفس، فمن فطرة النفس البشرية السعي الي الجمال. وجذر آخر يغذيه الشرع الآمر بإتقان العمل وإحسانه (إن الله كتب الاحسان على كل شيء).

* وحدة الفن الاسلامي، هذه الوحدة التي تخطت عالم المكان، فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين، كما تخطت عامل الزمان فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون. يقول درمنغايم: إنه رغم

اختـــلاف الأقطار الاســـلامـــيـــة وابتعادها فإننا نلاحظ قرابة وشيجة لا تنقطع بين لوحة الجص المنحوت في قصر الحمراء، وتزيين لوغاء من النحاس الفارسي.

*** اختفاء جنسية الفنان وبقاء الاســـلام هوية واحـــدة لكل فنان مسلم، يقول آرنست كونل «ولا شك أن وحدة العقيدة الدينية في العالم الاســـلامي أقـوى تأثيـرا منهـا في العـالم المسيـحي، ذلك لأن الاسلام قـضى على الفـوارق الناشـئـة من اختـلاف الأجناس والتقـاليد، وعني بتـوجـيـه شـئـون الفكر والآداب والعادات في مختلف البلاد. وكان الأمر بنشر القرآن بلغته الأصلية العـربيـة وحـدها، مما جـعل لهـا وللتعاليم القرآنية سيادة مطلقة في العـالم الاسـلامي كله، فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع كثير من الفنون وازدهارها».**



فسيفساء جامع بني أمية في دمشق

ومن نماذج الفن الاسلامي، فن الخط العربي، وقد كان فنا إسلاميا خالصا فهو من صنع هذا الدين وله ارتباطه الوثيق بكتابه الكريم ولم يسبق للكلمة أن كانت فنا مرئيا في أمة من الأمم.. ولا شك أن لكل أمة لغـتـهـا ولهـا كتابتها ولكن هذه الكتابات ظلت وظيفتها التعبيرية باعتبارها رموزا منطقية لمعان يراد التعبير عنها. ولم يحـدث أن ارتفـعت هذه الرمـوز لتـصـبح فنا جماليا، كما حدث للكلمة العربية بعد أن أضفى عليها القرآن الكريم رداء قداسته.. ولم يقف المسلم في فن الخط عند حدود الحرف وتحسينه وتجميله وإبداعه بل قطع شوطا آخر إذ جعل الحرف نفسه مادة زخرفية فتحولت لوحات الخط إلى لوحات جمالية زخرفية. أما فن الرسم فقد حفلت به طائفتان من الكتب هي:

الكتب الأدبية: حيث تكون مهمة الصورة الاسهام مع خيال القارىء في استكمال الواقعة الأدبية التي بين يديه والعيش في أجوائها.

الكتب العلمـيـة: وهنا يكون العبء الملقى على الصورة أقرب الى الجانب التطبيقي منه الى الجانب التزييني، فرسوم النباتات في كتب العقاقير ورسوم

آلات العمليات في الكتب الطبية والرسوم الهندسية في كتب الهندسة تعتبر من وسائل الايضاح أكثر من كونها وسائل زينة[٥].

ومن نماذج الفن الإسلامي المتميز أيضا الفن المعماري، فالبيوت الاسلامية عامة وبيوت الاندلس خاصة كانت لها سمات متميزة «فالبيت العربي القرطبي بلونه الأبيض يبدو نظيف المظهر وهو يعكس عناية أصحابه به، كما تطل حجراته على الفناء في الوسط.. وهذا الفناء الذي يمتلئ بالنور الطبيعي المنبثق من أشعة الشمس يؤثر جوه على النفس فتتفاعل معه المشاعر برقة يحس بها الفرد. والحقيقة إن الطابع العربي الشرقي في البناء طابع أصيل تطور على مدى آلاف السنين، وهو جزء من تراث عظيم انتشر في بلاد كثيرة لجماله. وهو جزء من أسلوب متكامل في الحياة.. أسلوب ذو طابع إنساني القصد منه إسعاد الإنسان.

إن لهذا الطابع القديم صفات ومميزات ايجابية كثيرة تعمل على ايجاد حياة اجتماعية مترابطة وسليمة، فالبساطة هي سر جمال ذلك الطابع بالاضافة الي احتوائه على العناصر الطبيعية من نور وماء وهواء ونبات، فكلها تضيف الكثير الي جماله لأنها عناصر محببة الى نفس الانسان مهما كان موطنه[٦].

ولم يغفل الفنان المسلم عن معرفة تأثير الألوان على النفس، بل حتى تأثير الروائح وفي ذلك يقول الفيلسوف «الكندي»: «فلنذكر أيضا ما يصل الي النفس بالحاسة البصرية من قوى مزج الألوان.. إذا قورنت الحمرة بالصفرة تحركت القوة العزية، وإذا قورنت الصفرة بالسواد تحركت القوة الذلية، وإذا قورن السواد بالحمرة والصفرة والبياض معا تحركت القوة الكرمية.. ولنذكر ما يتأتى الى النفس من الحاسة الشمية، إن رائحة الياسمين تحرك القوة العزية.. وإذا مزج السوسن مع الورد تحركت القوة المحببة مع الفخرية.. وكل ما كان من رائحة العود والآس والبنفسج والياسمين.. فإنها محركة للسرور والعز والجود والكرم»[٧].

ذلك هو الفنان المسلم الذي أبدع في انتاجه لأن تصوره للوجود من حوله كان أعمق بكثير من الفنان الأوروبي، «فالفن الأوروبي في جميع أدواره التاريخية كان مشغولا بالمعبود. فحين كان المعبود في الجاهلية الاغريقية مجموعة من الآلهة المختلفة توجه الفن الاغريقي الى تلك الآلهة سواء في الأساطير أو المسرحيات أو التماثيل. وحين انتقلت أوروبا الى المسيحية عني الفن بالإله كما صورته الكنيسة، وحين كفرت أوروبا بإله الكنيسة وألهت الطبيعة اتجه الفن الى المعبود الجديد وخاصة في الفترة الرومانسية، وحين صار المعبود هو الانسان اتجه الفن كله الى دراسة الانسان في جميع أوضاعه ، واليوم صارت المعبودات فوضى وتمثلت الفوضى كذلك في الفن الأوروبي الحديث»[٨].

فمتى يأتي اليوم الذي نستعيد فيه ثقتنا بأنفسنا وبتراثنا العريق ونكف عن الركض لاهثين وراء كل صرعة غربية؟؟.

الهوامش:

(١) محمد قطب، منهج الفن الاسلامي، دار الشروق، ص ٥ ، ١٩٨١.
(٢) زكريا ابراهيم، الفنان والانسان.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، سورة الملك.
(٤) محمد قطب، المرجع السابق.
(٥) صالح أحمد الشامي، الفن الاسلامي، دار القلم، ط ١، ١٩٩٠.
(٦) طارق الخالد، بيوت قرطبة العربية.
(٧) سليم الحلو، تاريخ الموسيقى الشرقية، بيروت ١٩٧٤.
(٨) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق.

رسالة من الصولي إلى السيدة الجميلة

* هو أبو اسحق ابراهيم بن العباس بن محمد بن عم عمرو بن مسعدة. ولد سنة ١٧٦هـ.
* نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه.
* اشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء.
* تولى في خلافة المتوكل ديوان النفقات.
* كان من أكبر الكتاب وأفذاذهم المعروفين في زمانه حتى لقب بكاتب العراق.
* له رسائل كثيرة، أشهرها ما كتبه في التعازي.
* توفي بسرَّمَنْ رأى سنة ٢٤٢هـ.

حبيبتي ساهر:

أطرت النوم من عيني.. ونزعت الأمن من قلبي.. وغشيت بصري بغشاوة من الهموم والأحزان.. وأطفأت من داري كل نور وضياء.. وذلك منذ أن غضبت علينا وهجرتنا؛ فأخذت معك سرورنا وهنائنا.. أقفرت الدار من غنائك الشجي الذي كان يسحرنا ويسكرنا. فأين صوتك الندي وهو يرسل الآهات عذبة رخية، تطير بالنفوس وتبعث الأشواق في الأفئدة؟ أين ألحانك الملائكية التي كانت تحيل ندوتنا إلى كوكب دري يرف بعطر الضياء ويزهو بأزاهير الهناء.

فأين أنت يا أميرة الغناء؟ أين أنت يا أميرتي وسيدتي؟ من يوم أن غبت عن داري وقد قلَّ زواري، وجفاني النوم وصادقني الأرق.. أرسلت أسأل عنك في دار أمير المؤمنين الواثق، وفي دار أحمد بن أبي دؤاد، وفي دار وهب بن سليمان.. وما تركت داراً أظن أنك تشدين بها وتغنين إلا بعثت وراءك أصدقائي وصديقاتك لعلهم يعثرون لك على أثر.. ثم علمت أنك تحتجبين بدار أمير المؤمنين.. ولا اعتراض لي ولا عتاب على ما تحبين. فأنا كما تعلمين، وكما خبرتني أحب لك الخير كل الخير،

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

والسعادة كل السعادة. ترفلين فيها وتنعمين بها..

لكن يا حبيبتي لم هذا الاختفاء المباغت؟ ولم لَمْ تخبريني من قبل؟ هل سئمتنا يا ساهرة؟ لمَ هذه القسوة التي لم أشهدها فيك من قبل؟ لم أعرفك قاسية أبدا.. لقد أضناني غيابك وأسهرني شوقي المحتدم إليك:

أحسب النوم حكاكا
إذ رأى منك جفاكا
مني الصبرُ ومنك الـ
ـهجر فابلغ بي مداكا
كنت همة عين
طمعت في أن تراكا
أيُّ ما حظ لعين
أن ترى من قدر رآكا؟
ليت حظي منك أن تعـ
ـلم ما بي من هواكا

إن تعمد اختفائك عني بغير سبب أو جريرة جعلني أستنطق ماضي حبنا.. فلم أترك ليلة إلا وأنا أفكر وأديم التفكير، وأشك وتعنف بي الشكوك.. وتأتيني الذكريات بدلائل تكاد تعصف بيقيني أنك مازلت على عهدك لي وفية حبيبة.. هل تذكرين يا حبيبتي يوم أن غبت عني ثلاثة أيام متصلة؟ لقد جئت بعدها ومعك جاريتان وقلت لي: قد أهديت صاحبتي إليك عوضا عن مغيبي عنك. فقلت لك يومها:

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة
قد حسن الله أولاها وأخراها
ما كنت فيها الا كنت واسطة
وكن دونك يمناها ويسراها

وأذكرك يا حبيبتي أنني جلست يوما مع إخواني للشرب.. وأعترف أنني بعثت خلفك فأبطأت علي، وتنغص عليّ وعلى جلسائي يومنا. وكان عندنا عدة من القيان ثم وافيت لحظتها وعندما أهللت بمحياك سرى عني وطابت نفسي وشربنا، وأطربتنا بصوتك الشجي البديع.. وقلت:

ألم ترنا يومنا إذ نأت
ولم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعي السرو
ر بإشعالها وبإلهابها
ونحن فتور إلى أن بدت
وبدر الدجى تحت أثوابها
ولما نأت كيف كنا بها
ولما دنت كيف صرنا بها

فما كان منك إلا أن تغضبت فقلت: ما القصة كما ذكرت وقد كنتم في قصفكم مع من حضر، وإنما تجملتم لي لما حضرت؛ فقلتُ لك:

يا من حنيني إليه
ومن فؤادي لديه
ومن إذا غاب من بيـ
ـنهم أسفت عليه
إذا حضرت فمن بينـ
ـهم أصبُ إليه
من غاب غيرك منهم
فإنه في يديه

وطابت ليلتنا وانتهت على أجمل ما نهوى..

ومن عجيب أمرك معي أنك عاتبتني مرة عتاباً مراً، لا لذنب جنيته، ولا لجرم اقترفته، ولا لخطأ ارتكبته. ولكنك خلت أنني ممن يزوقون الكلام

ويزيفون على الحق ويختلبون النفوس بالكذب والنفاق

- عاتبتني فأرسلت إليّ رسالة تقولين فيها:

بالله يا ناقض العهود بمن

بعدك من أهل ودنا نثقُ؟

واسوأتا ما استحيت لي أبداً

إن ذكر العاشقون من عشقوا

لا غرني كاتب له أدب

ولا ظريف مهذب لبقُ

كنت بذاك اللسان تختلني

دهراً ولم أدر أنه ملقُ

- فعجّلت بالاعتذار إليك وعاد الصفاء بيننا.

حبيبتي ساهر:

ذكرت لك أن هجرانك لي بغير ما سبب أو جريرة جعلني أستنطق ماضي حبنا بل تاريخ حياتي معك ومع الناس. وكأنما العشق فاتحة لكل ضنى ومدخل لكل عذاب.. تذكرت في وحدتي التي أرهقتني بكآبتها وتجهمها يوم أن أدخلني موسى بن عبد الملك الحبس بدون ذنب إلا الافتراء عليّ عند أمير المؤمنين وعند الأمراء. ألا ما كان أثقل الحديد الذى كبلوا قدميّ به. لقد أدماهما حتى أنني كنت أئن من الجراح التي كانت تنزف بدمي.. كانوا يكنون موسى بن عبد الملك بأبى الحسن. أما أنا فكنيته بأبى عمران وكتبت اليه قصيدة قلت له فيها مهدداً ومندداً لعله يرعوى أو يرجع عن التآمر على حياتي:

كم ترى يبقى على ذا بدني؟

قد بلى من طول همي وفني

أنا في أسر وأسباب ردى

وحديد فادح يُكْلِمُني

وأبو عمران موسى حنق

حاقد يطلبني بالإحن

ليس يشفيه سوى سفك دمي

أو يراني مدرجاً في كفني

- أتدرين يا حبيبتي ماذا كتب صديقي أحمد بن مدبر على ظهر الصفحة التي كتبت فيها قصيدتي؟ لقد كتب يقول:

أبي إسحق إن تكن الليالى

عطفن عليك بالخطب الجسيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجرى

بمكروه على غير الكريم

- وبعد أن ذهبت رسالتى إلى موسى بن عبد الملك، هوّنت على نفسى المحنة فقلت:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى

وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ولعل المحنة الكبرى التى ابتليت بها في حياتي فكادت تدمرني وتهلكني هي المؤامرة التى أحكمها حولى محمد بن عبد الملك الزيات حتى دخلت السجن.. أجل، صرت استعطفه في رسالة بعد رسالة، وفي قصيدة بعد قصيدة.. فقلت في إحدى رسائلي: كتبت وقد بلغت المدية المحز، وعدت الأيامُ عليّ بعد عدواى بك عليها، وكان أسوأ الظن وأكثر خوفى أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاتها، فصرت أضر عليّ منها، فكف الصديق عن نصرتي خوفا منك، وبادر إلى العدو تقرباً إليك.

ثم كتبت في أسفل الرسالة:

وكنت أخي بإخـاء الزمـا
ن فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزمـا
ن فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعُدُّك للنائبـا
ت فها أنا أطلب منك الأمانا

فلما أن نصرني الله عليه بفضل أمير المؤمنين الواثق، فرفع يده عني ورجعت إلى حضرته معززا مكرما، هجوت ابن الزيات وبسطت فيه لساني بما أشتهي.. وكان مما قلته فيه:

دعوتك في بلوى ألمت صروفها
فأوقدت من ضغن عليّ سعيرها
واني إذا أدعوك عند ملمة
كداعية بين القبور نصيرها

حبيبتي ساهر:

هل إلى رجوع اليَّ من سبيل؟

إيه يا حبيبي، متى ترجع إليَّ؟ متى تتعطف عليَّ فتحنو على قلبي الذي ظلمته؟ إنني في حزن مقيم لا يبرح وجداني.. اكتوى به في كل لحظاتي:

حتى متى أنا في حزن وفي غصص
إذا تجدد حزن هون الماضي
وقد غضبت فما باليتم غضبي
حتى رجعت بقلب ساخط

* * *

فهبني مسيئا مثل ما قلت ظالما
فعفواً جميلا كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن بالعفو منك لسوء ما
جنيت به أهلا فأنت له أهل

مشوق أنا يا ساهر.. مشوق الى عودتك إلى داري فتغنين بل تصدحين بأعذب الألحان فتعيد لزمان حبنا صباه؛ أبعد أن علمتني كيف أحبك، بل بعد أن علمتني الحب تتخلين عني وتتركيني لعبث الحسرات؟ لماذا هذا التنكر والصدود؟

وعلمتني كيف الهوى وجهلته
وعلمكم صبري على ظلمكم ظُلمي
وأعلم مالي عندكم فيردني
هواي الى جهلي فأرجع عن علمي

لقد آن الأوان يا حبيبتي أن تعودي الى الصواب وأن ترتفعي عن التجني والتظني حتى لا تشمتي بي أعدائي.

ختاما، أبعث برسالتي اليك عسى أن يعود قلبك الى سابق صفائه ويكف عن التمادي في الهجران واختلاق التهم بغير دليل:

ابتداء بالتجني
وقضاء بالتظني
واشتفاء بتجنيـ
ـك لأعدائك مني
بأبي قل لي كي أعـ
ـلم لم أعرضت عني؟
قد تمنى ذاك أعدا
ئي فقد نالوا التمني

«المعذب في هواك»

(ابو اسحق)

أ و ر ا ق و ز و ج ي ة

١٠٠١ ـ أبو عواد:

قالت لي ودمعها ينهمر على وجنتيها في كآبة المهزوم: ألا يكفي أنني أرملة رجل حي!؟! صفعتني تلك السيدة بثلاث كلمات تحتاج الى ثلاث مجلدات لشرح معاناتها.. كم تألمت لها ولمآلها.. ولكن ترى وعلى الضفة الأخرى كم من متزوج هو في عداد المترملين؟!.. ترى أيهما أصعب؟ لست أدري.

١٠٠١ ـ أم عمرو:

اذا قالت لك إمرأة إنها أرملة لرجل حي؟ قل لها اخلعي ثياب الحداد واستخرجي تصريح دفن لجثة العلاقة الزوجية التي تربطكما قبل أن تظهر لها رائحة.

١٠٠٢ ـ أبو عواد:

صدقيني أنني لا أبحث عن شهرة، فمهما استطالت قاماتنا تظل ظلالنا تعانق الأرض لا تفرّق بين غامرها وعامرها.. إن آمالي لتتواضع فلا أنشد معك غير ستر الحال.

١٠٠٢ ـ أم عمرو:

عندما يتزوج رجل وامرأة يفقد كل منهما ظله ويصبح ظلا للآخر، ولذا لا يشتهر طرف في العلاقة الزوجية ولكن تشتهر الأسرة بقدرتها على البقاء والاستمرار وتأمين ورعاية كل طرف منها للآخر ولما تنتجه من الصغار.

١٠٠٣ ـ أبو عواد:

مؤهل واحد لا يكفي المرأه لتتبوأ وظيفة محترمة في إدارة القفص الذهبي! فالجمال وحده لا يكفي ولو نفع لنفع ملكات الجمال، والعلم وحده لا يكفي ولو نفع لنفع كثيراً من المتعلمات اللواتي لم يسعفهن العلم والشهادة في صناعة طبق «سلطة»!! ولو أن الحسب والنسب ينفع لما وجدت ذات جاه تتسلم ورقة الطلاق من رجل يقل عنها في حسبه ونسبه وهكذا إلى كثير غيرها وسنجد أن المرأة بحاجة لأن تكون منظومة من المؤهلات ومع ذلك لا أحد يضمن لها السعادة!!



١٠٠٣ ـ أم عمرو:

وعلى الرغم من ثبات هذه الحقيقة وهى أن جمال الشكل لا يكفى لصنع زوجه صالحة وأن جمال النفس أفضل وأبقى نرى الرجال يتهافتون على الزواج من الجميلات وأن كثيرات ممن ينقصهن جمال الشكل ولو قليلا لا يجدن من يقدر محاسنهن الأخرى والدليل على ذلك رواج صناعة المساحيق والألوان.

١٠٠٤ ـ أبو عواد:

أعرف أنك قد لا تكونين المرأة التي كنت أبحث عنها لكنني توسمت فيك ذلك في لقاء الصدفة وليته ما كان!!

١٠٠٤ ـ أم عمرو:

اذا اختار رجل زوجته في لقاء صدفة وتبين له عيب اختياره يستحق كل ما يحدث له فالاختيار مسئولية ومهمة يستخدم فيها العقل والقلب معاً.

١٠٠٥ ـ أبو عواد:

كم هو جميل أن تعترف المرأة أن امكاناتها الجمالية محدودة وتسعى للتعويض عنها بأشياء أخرى ليس أقلها الطاعة ودماثة الخلق والتدبير، لكن المصيبة أن كل قبيحة لا ترى في مرآتها إلا ملكة جمال ومن هنا تبدأ المأساة بل سلسلة المآسي.

١٠٠٥ ـ أم عمرو:

إن أجمل الوجوه هو وجه زوجه حانية أو أم رؤوم بصرف النظر عن التفاصيل ولكن السعي وراء جمال الشكل صفة اكتسبتها النساء من طول خبرتهن بمطالب الرجال ولو تغير سلوك الرجل في هذا الجانب لتغير سلوك المرأة تبعاً له.

١٠٠٦ ـ أبو عواد:

المدارس الحريمية وأعنى بها منهجية

وطرائق تصرفات النساء مع أزواجهن على تباين واختلاف تفترش مساحة جد واسعة!! لكن اكثر ما يستفزني ذلك النوع من النساء اللواتي في داخل بيوتهن يُردن من الزوج أن يلبس ثوب السائق والخادم وينفذ ما يطلب منه بلا نقاش. لكنهن في مواجهة المجتمع يتظاهرن في ظل رجل قوي الشخصية مهيب الجانب لا يستطعن أن يكسرن كلمة من كلماته بل حرفاً من حروفه!! وإنني أرى في مثل هذا النوع من النساء دهاءاً لم أقرأ عنه في سير دهاة العرب ولا العجم.

١٠٠٦ ■ أم عمرو:

اذا شارك الرجل في اعمال المنزل فيجب ألا يكون ذلك مفروضاً ولكن ما تقتضيه المشاركة الإيجابية وخاصة اذا كانت زوجته تعمل خارج المنزل أما أن ننتقد المرأة التى تكبر من زوجها أمام الناس ونسمى هذا تظاهراً ومدارس حريمية فهذا مالا أفهمه أليس هذا ما يريده الرجل أن تجعل له زوجته هيبة بين الناس؟ احترنا واحتار دليلنا!.

١٠٠٧ ■ أبو عواد:

تستطيع المرأة بكلمة واحدة أن تطفىء غضب الرجل الذي يحتاج الى أقوى المهدئات ولكنها في الوقت نفسه بوسعها أن تفتح النافذة لتجدد كل الهواء من حوله. فلماذا تصر المرأة أن يكون تجاوبها مشروطاً بالمبادأة من الرجل، هذا مالا أفهمه ما دمنا مؤمنين أن أحد مظاهر السعادة ومباهجها امرأة تجتهد لأن يكون زوجها رجلا عظيما.

١٠٠٧ ■ أم عمرو:

المبادأة بتهدئة الغاضب بين الزوجين تأتى من الطرف الأعقل والأكثر حكمة واتزاناً فإذا كان الرجال يرون أن المرأة هي دائماً الأعقل والأكثر حكمة واتزاناً فلتفعل الزوجات ذلك ويكفيهن في المقابل هذا الاعتراف من الرجل

١٠٠٨ ■ أبو عواد:

تجهد المرأة نفسها في تلوين شعرها وتتفنن في موديل وشكل تسريحته وقصته.. ولا تدري أن الأهم من ذلك هو رائحة هذا الشعر وأهم من لون الشعر ورائحته ذلك اللب الذي تحيط به تلك الفروة التي مهما تكلفت المرأة فيها لن تضاهي بها ريشة واحدة من الطاووس!!

١٠٠٨ ■ أم عمرو:

الصورة أم المعنى؟ أيهما هو المطلوب؟ المشكلة الأبدية المسألة كلها عرض وطلب.

١٠٠٩ ■ أبو عواد:

في البدء كان «الحب» رواية جميلة وقصة رومانسية وقصيدة غزلية، كان المحب يسعد حتى بشقائه وصد حبيبه وتباريح وجده ويباهي بصبره وجلده أما اليوم فالحب ليس اكثر من كلمة «السر» التي يدخل بها المبرمج على برامج الحاسوب وملفاته.

١٠٠٩ ■ أم عمرو:

الحب كان ولا يزال عاطفة يتجرد فيها المحب من حبه لذاته ليعطى لمن يحب بلا حدود ولا مقابل. أما هذا الجديد الذى يوصف بأنه «كلمة السر التى يدخل بها المبرمج على برامج الحاسوب فاسمه «تكنولوجيا الفهلوة» إلا اذا اصبح من الممكن الزواج من انسان آلي.

١٠١٠ ■ أبو عواد:

لا يكفى الرجل رجولة شهادة الأطباء، فالحكماء لهم رأي في كثير من الرجال. كما لا يكفي المرأة أنوثة شهادة الأطباء أيضا فالحكماء لهم رأي في كثير من النساء شأن الرجل.

قرأنا عن الكثير من الرجال الذين تحولوا إلى اناث بتدخل جراحى وقد يكون لديهم ما يبرروا به فعلتهم ليس أقلها أنهم لم يجدوا أنفسهم بين الرجال أو الذكور، لكن ما يحيرني حقاً أنك ترى رجالا يتصرفون كالنساء ونساء يتصرفن كالرجال وهذا يدعي الفحولة وتلك الأنوثة والغريب أنك لو ذكرت له أو لها ذلك لاعتبروها شتيمة لن يمرروها لك بسهولة!

١٠١٠ ■ أم عمر:

الرجل المتوازن انفعالياً يحب ما خلقه الله عليه والمرأة كذلك تستمتع بما وضعه الله فيها من صفات ولا تقبل تغييرها بأى مقابل. أما طائفة المتشبهين والمتشبهات فمكانهم الطبيعي هو مصحات الأمراض النفسية.



٤٠٢ ـ مساجلات شعرية:

تكون المساجلات الشعرية ذات متعة خالصة، إذا صدرت عن تجارب عاناها المساجلون، وصدقت في تصوير ما يحس به ناظمها من المشاعر، وقد تكون هذه المساجلات في بعض منها، وليدة احتيال عقليّ يدل على البراعة في النظم أكثر مما يدل على صدق الانفعال، والنوعان كثيران في الشعر العربي قديمه وحديثه، وقد يكون في الاستشهاد الشعرى ما يقدم الدليل على ترجيح كفة على كفة، اذ أن القارىء سيرجع الي شعوره الصادق، بإزاء ما يقرأ، والشعور الصادق ميزان أمين.

لقد كان الصاحب بن عباد صاحب مجلس أدبى يحتشد فيه كبار الشعراء، وهم في حاجة إلى رفده وعطائه، لذلك جعلوا يفرطون في مدائحه إفراطاً جاوز الحد، وهو يستريح إلى ما يسمع، ويجزل العطاء لمن أفرط وبالغ، وقد دعا المتنبي واحتال كل احتيال كي يزوره مادحا، فأبى أبو الطيب واستعصم، إذ عرف ولوع الصاحب باستجداء المديح ممن لا يرون أنفسهم في حاجة الى نواله ولهم شهرة مستفيضة تغنيهم عن النباهة المرجوة في حضرة الصاحب! وعلى كل فقد جعل الصاحب مجلسه مجلس أدب وشعر حين يفرغ من أمور الدولة، وشئونها السياسية والإدارية، وهو في هذا المجلس يقترح الموضوعات، ويفتح الميدان للمساجلات فيما تعنّ له من أغراض، لذلك نجد الثعالبي في اليتيمه يفرد بابا لقصائد الداريات يتضمن بضع عشرة قصيدة قيلت في وصف الدار التي بناها الصاحب بناء على اقتراحه، كما يفرد باباً للبرزونيات يتضمن ثلاث عشرة قصيدة قيلت في رثاء برذون لأبي عيسى المنجم ـ وهو من شيعة الصاحب إذ أراد أن يكون بكاء البرذون العتيق المسن موضع المساجلة الشعرية واجتهد الشعراء فقالوا وأطنبوا، والموضوع من الهوان بحيث لا يجب أن تقوم فيه هذه المناحة الصاخبة، كما اقترح أن يصف شعراء الحضرة (الفيل) في قصيدة حدّد وزنها وبحرها ورويها فاستجابوا طائعين، وفي اليتيمة شذور مما قالوا، ولا ننكر براعة هؤلاء الشعراء فيما احتالوه من المعانى، ولكنها براعة عقل، لا براعة إحساس فمثلا نرى أبا العباس الضبي يصف دار الصاحب مبتدئا بقوله:

دار الوزارة ممدود سرادقها
ولاحقٌ بذُرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غنط السماء بها
فقطرها أدمع تجرى سوابقها

* ونرى أبا الحسن صاحب البريد يبتدىء بقوله:

دار على العزّ والتأييد مبناها
وللمكارم والعلياء مغناها

فاليُمْنُ أصبح مقرونا بيمناها
واليسر أصبح مقرونا بيسراها

* ونرى أبا القاسم الزعفراني يبتدىء بقوله:

سرّك الله بالبناء الجديد
تلك حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدنيا
فصلها وأختها بالخلود

* وموجز ما نقول في كل ذلك إنه شعر رأس لا شعر قلب، وروحه ضعيفة وانية.

٤٠٣ - الفنجان المكسور:

أما شعر القلب حقا فهو ما صدر عن عاطفة صادقة، وتمثل له بمساجلة طريفة، أبطالها آل المعلوف في المهجر الأمريكي، وكلهم شعراء ملهمون هم فوزى المعلوف وشاهين المعلوف، وميشال المعلوف، وشفيق المعلوف، ومن حديث هذه المساجلة أن زوجا كريماً للسيدة الحسناء إيزابل المعلوف كان يستضيف الشعراء الأربعة في سمر أخوي بداره، وأديرت كؤوس القهوة، فشاء الحظ أن يسقط فنجان القهوة من كف الزوجة الحسناء وهي تشرب مع الزائرين، فتحطم على الأرض، وبلل الثوب، وارتاعت الزوجة لأمر لم تتوقعه، وشاء الشعراء أن يجعلوا من الحادث مناسبة للشعر، وهم في نفوسهم يكبرون السيدة ويشعرون بتقدير لها فوق الوصف، وبهذا الشعور الصادق اندفعوا الى القول في اخلاص، يشف عن مودة صادقة،

فقال شاهين المعلوف:

ثملَ الفنجان لما لامستْ
شفتاه شفتيها واستعرْ
وتلظتْ من لظاه يدها
وهو لو يدرى بما يجنى اعتذر
وضعته عند ذا من كفها
يتلوّى قلقا أنى استقر
وارتمى من وجده مستعطفا
قدميها وهو يبكي فانكسر

* وقال ميشال المعلوف:

عاش يهواها ولكن
في هواه يتكتم
كلما أدنته منها
لاصق الثغر وتمتم
دأبه التقبيل لا
ينفك حتى يتحطم

* وقال شفيق المعلوف:

إن هوى الفنجان لا تعجبْ وقد
طفر الحزن على مبسمها
كلّ جزء طار من فنجانها
كان ذكرى قبلة من فمها

* أما فوزى المعلوف صاحب الملحمة الخالدة (شاعر في طيارة) فقد قال:

ما هوى الفنجان مختاراً فلو
خيّروه لم يفارق شفتيها

هي ألقـــتـــه وذا حظٌّ الذى

يعـتـدى يومـاً بتـقـبـيل عليـهـا

لا ولا حطمـــه اليـــأس فـــهـــا

هو يبكى شـاكيـاً منهـا إليـهـا

والذى أبقـــاه حـــيًّـــا ســـالما

أمل العـــودة يومـــاً ليـــديـهـــا

وقد نشرت المساجلة في مجلة السمير المهجرية، وكانت موضع موازنات وتعليقات أدبية ناقدة، والذى نؤكده أن الشعراء الأربعة قد صدقوا الترجمة عن مشاعرهم دون افتعال، وأن منزلة الزوجة الحسناء من نفوسهم قد ألهمتهم بارع التعليل ورقيق الوصف.

٤٠٤ - بين شوقي وولي الدين يكن:

حين تنازل السلطان عبد الحميد عن الخلافة لسلفه، اندفع كثيرٌ ممن كانوا يسبحون بحمده إلى ذمه، وانهالت المقالات والقصائد تسفيها للرجل، وتنديداً بعهده، لأن الدنيا لمن غلب، وتلك حال أليمة عبّر عنها الشاعر الغيور الأستاذ أحمد محرم حين قال مواجها من ذموه اليوم ومدحوه بالأمس:

ألم يك ظل الله بالأمس بيننا

نلوذ به والخطب ضنكٌ مذاهبه

ألا راحمٌ؟ هل من شفيع؟ أما كفى

أكلُّ بنى الدنيا عدوٌّ يغاضبه

أكلُّ ماتيه ذنوب؟ أكلُّه عيوبٌ؟

ألا من منصف إذ نحاسبه

أليس الألى غشوه أجدر بالأذى

وأولى الورى بالشر من هو جالبه

وفي هذه الغمرة الغاشية، هتف أحمد شوقى بقصيدة رنَّانة تقف في صفّ السلطان المخلوع، وتلمس له الأعذار، وكان لها صدى قوي بين دعاة الوحدة الاسلامية، ولكنّ الشاعر ولى الدين يكن، وهو من الطراز الأول من شعراء عصره قد ساجل شوقى مساجلة المعارض، فعمد إلى آرائه لينقضها نقضا، إذ كان من خصوم السلطان ذوى اللدد المرير، وقد بدأ شوقى قصيدته قائلا:

سل «يلدزا» ذات القصور

هل جاءها نبأ البدورْ

لو تستطيع إجابة

لبكتك بالدمع الغزير

أخنى عليها ما أنا

خ على الخورنق والسدير

ذهب الجميع فلا القصور

ترى ولا أهل القصور

فلكٌ يدور سعوده

ونحوسه بيد المدير

* ولكنّ ولى الدين يكن يرفض هذا الاتجاه، فيصيح في وجه أمير الشعراء هاتفا:

هاجتك خالية القصور

وشجتك آفلة البدور

وذكرت سكان الحمى

ونسيت سكان القبور

ويكيت بالدمع الغزير لباعث الدمع الغزير
ان كان أخلى يلدزا رب الخورنق والسدير
فلتأهلن من بعدها آلاف أطلال وبور

* وحين يعدل شوقى الى التماس الأعذار لسلطان تسلح بالروية والعزم فيخاطبه قائلا:

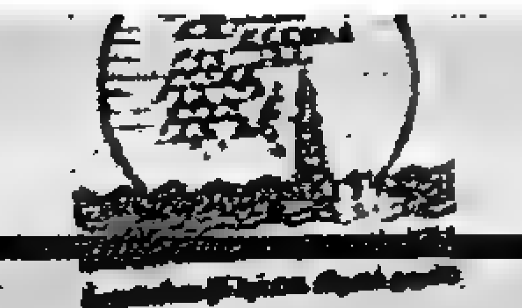
عبد الحميد حساب مثلك في يد الله القدير
سدت الثلاثين الطوال ولسن بالحكم القصير
ماذا دهاك من الأمور وأنت داهية الأمور
أين الروية والأناة وحكمة الشيخ الخبير
قالوا اعتزل قلت اعتزلت الحكم لله القدير

* حين يقرر شوقى هذه المعانى آسفا معتذرا نرى ولى الدين يخالف هذا النهج المتسامح فيقول:

لما سلبت الحكم قلت الحكم لله القدير
ورآك جندك ضارعا لهم ضراعات الأسير
لقد استجرت بمعشر ما كنت فيهم بالمجير
هى غارة لكنها دارت على رأس المغير
لقد استطرت بشرٍّ يومك كلَّ شر مستطير

والقصيدتان طويلتا النفس، وتحتاجان إلى بحث مستقل، وقد شغلت بهما الدوائر السياسية والأدبية حيناً من الدهر، وأذكر أني في عهد الشباب الأول تسرعت فكتبت بمجلة الرسالة ١٩٥١/١٢/١٠ بحثاً موازنا عنهما رجحت فيه كفة ولى الدين، لأني كنت أجهل المؤامرات الاستعمارية التى دبرت للخلافة الاسلامية في شخص الخليفة العثمانى، ولأن الأمور لم تنكشف على وجهها الصريح الذى كشفت عنه الأيام فيما بعد، وهكذا يجد الإنسان نفسه في حاجة الى المراجعة الدائمة لما كتب ويكتب لأنه بشر، وقد نشرت جريدة المقطم القصيدتين بتاريخ ١٩٠٩/٥/٢٨ وعلقت عليهما بقولها:

«على أن هذين الأديبين الكريمين - شوقى وولي الدين - اللذين يجريان في حلبة الأدب كفرسي رهان، واتفقا في إحراز قصب السبق على الأقران، مختلفان رأياً في الحكم الحميدى، ومتباينان ميلا الى السياسة الحميدية، وقد عارض ولى الدين شوقى بأبيات رقت مبانيها، ودقت معانيها، وتجلت الحرية الدستورية في كل بيت فيها» والمقطم جريدة استعمارية عريقة، فجاء تعليقها متفقاً مع سياستها العوجاء.



الناس والشكوى

الناس في الشكوى أصناف وأنواع، فمن الناس من اعتاد الشكوى فما يكاد يجلس لأحد حتى يبدأ في الشكوى من حاله وما فعلت به الأيام، وهذا الصنف من الناس لا يرغب الناس في الجلوس له ولا الحديث معه، فالجلوس معه مُملٌ والحديث إليه حسرة، وكثرة شكوى هذا الصنف من الناس منبعه السخط.

ومن الناس من اعتاد كتم همومه وغمومه وأحزانه مهما عظمت، وهو في ذلك يفعل كما فعله نبي الله يعقوب - عليه السلام - حين قال: {إنما اشكوا بثي وحزني إلى الله}، وفي المثل: الشكوى لغير الله مذلة، وهذا النوع من الناس الذين منّ الله عليهم بالرضا فلا تكاد تسمع منهم توجعاً أو شكوى ولسان حالهم يقول كما قال المتنبي:

كم غر صبرك وابتسامك صاحبا
لما رآه وفي الحشا ما لا يرى
أمر الفؤاد لسانه وجفونه
فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا

وهؤلاء حبب للناس الجلوس لهم والحديث معهم.

ومن الناس من اعتاد كتم همومه وغمومه، ولكن كثرة الهموم والغموم وتكالب المصائب عليه جعل الأمر أعظم من طاقته واحتماله فكان حاله مثل حال أبي تمام حين قال:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

فهناك من الهموم والغموم والأحزان والمصائب ما يفوق الطاقة والتحمل، فلزهير بن أبي سلمى:

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبّها
وفرقة أخوان وفقد حبيب

ومن الناس من يشكو ليس من أجل الشكوى ولا بسبب سخطه مما هو فيه ولكن يشكو الى من يثق بعلمه وعقله طالباً للاستشارة واخذ الرأي لعله يجد دواء لما يشكو منه عند من يشكو له، مثلما قال الشافعي - رحمه الله -

بقلم : عبدالله ناصر بن ثنيان
- الرياض -

شكوت الى وكيع سوء حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

ومن الناس من جعل شكواه إلى أوراقه وقلمه، فكلما أصابته مصيبة من مصائب الدهر، أو حلَّ به ما يحزنه ويأسى له، فزع إلى قلمه وأوراقه وكأنها صديق حميم فالأوراق تأن بدلا عنه، والقلم يبكي بدلا منه، وما هي إلا دقائق وسطور حتى يزول ما في نفسه، أو على الأقل يهون كثيرا مما أصابه.

وهناك نوع من الشكوى حبب للناس سماعها وحفظها وترديدها، وهي شكوى الحبيب لحبيبه، يشكو هجره، ويرجو وصاله، كما جاء عن البهاء زهير حين قال:

يعاهدني لا خانني ثم ينكث

وأحلف لا كلمته ثم أحنث

وذلك دأبي لا يزال ودأبه

فيا معشر العشاق عنا تحدثوا

أقول له صلني يقول نعم غدا

ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث

وما ضر بعض الناس لو كان زارني

وكنا خلونا ساعة نتحدث

أمولاي إني في هواك معذب

وحتَّام أبقى في الغرام وأمكث

فخذ مرة روحي ترحني ولا أرى

أموت مرارا في النهار وأبعث

فإني لهذا الضيم منك لحامل

ومنتظر لطفا من الله يحدث

أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا

خلائقك الحسنى أرق وأدمث

تردد ظن الناس فيَّ فأكثروا

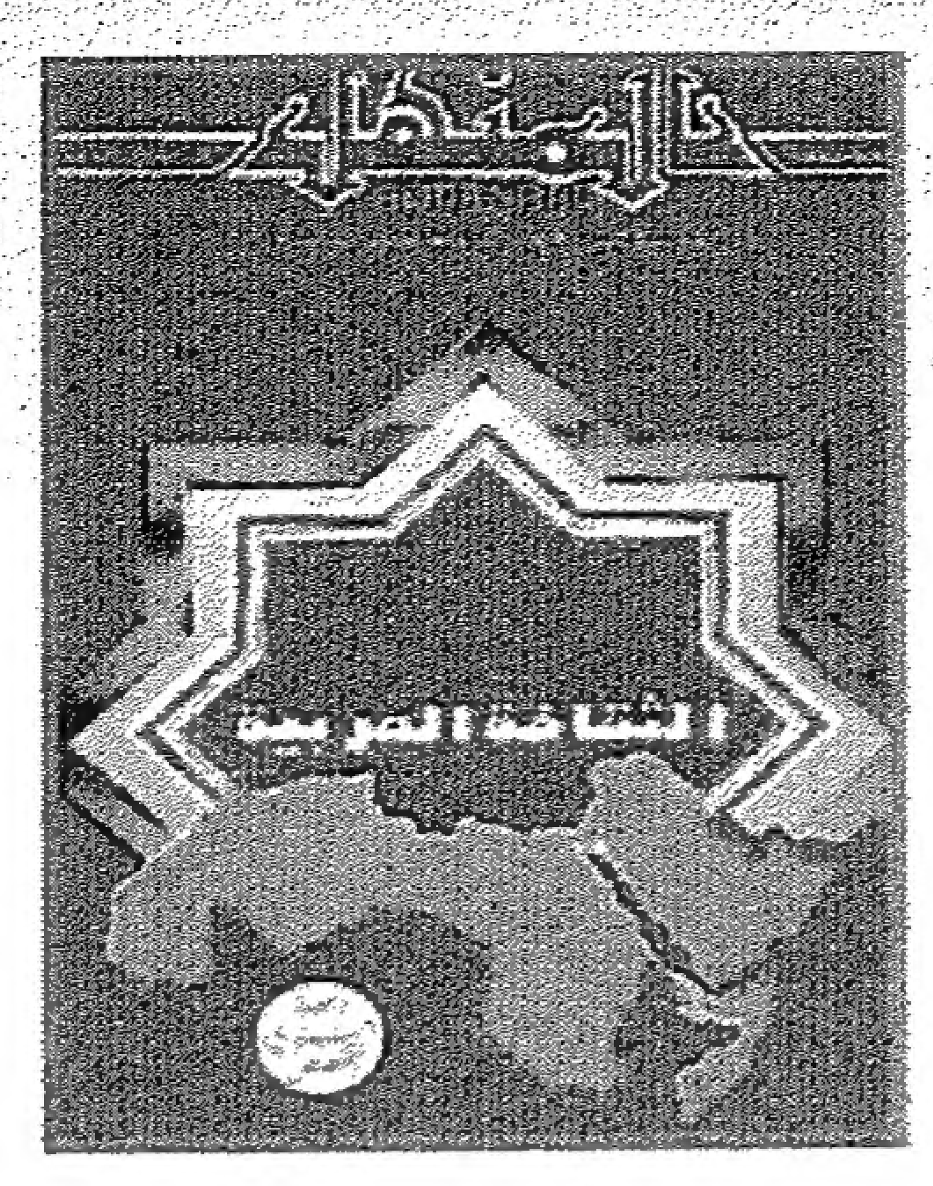
أحاديث فيها ما يطيب ويخبث

وقد كرمتْ في الحب مني شمائلُ

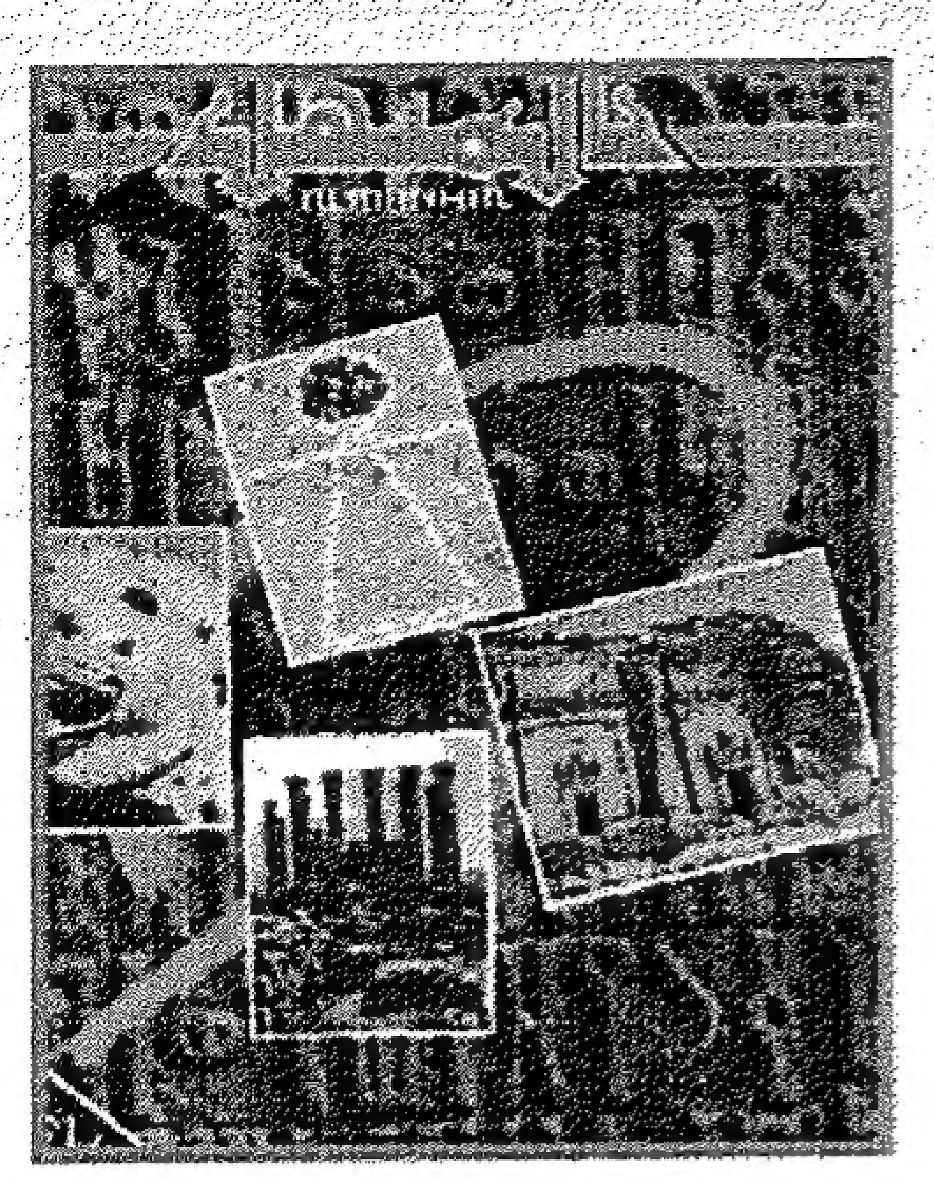
ويسأل عني من أراد ويبحث



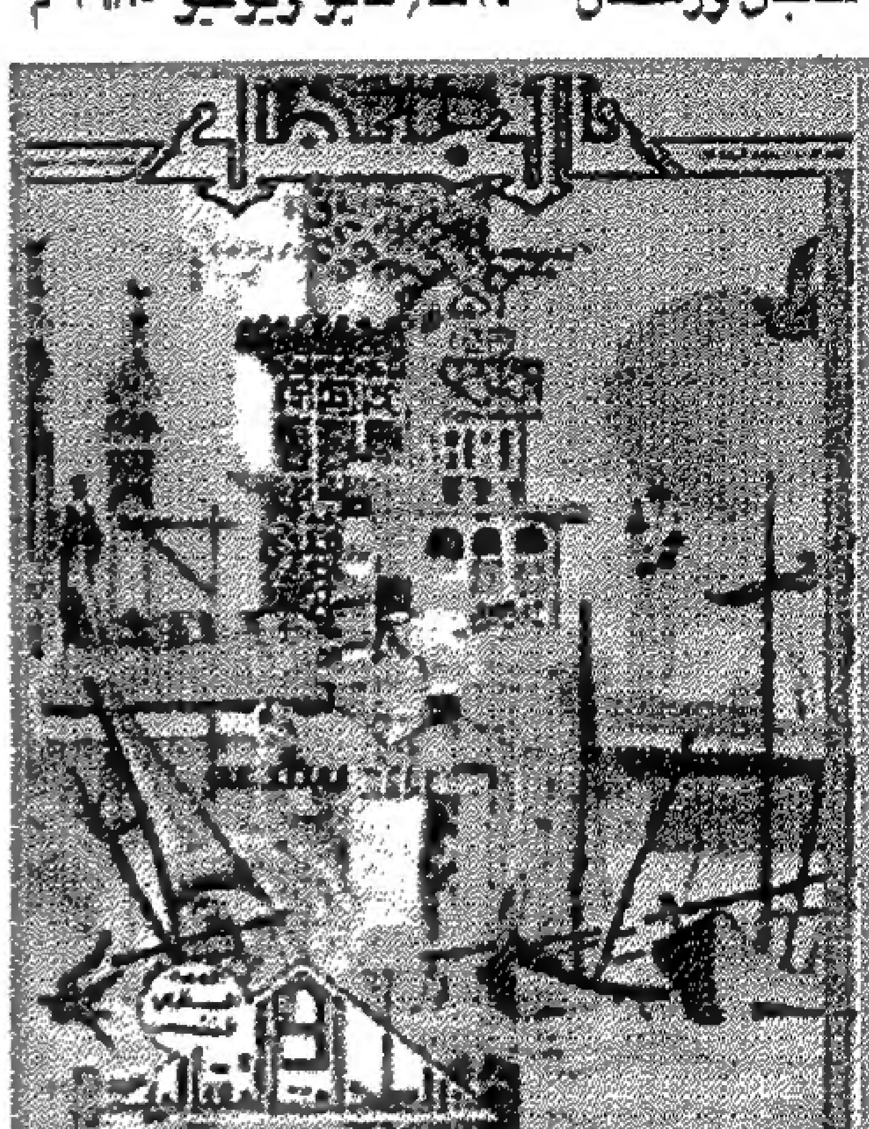
الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



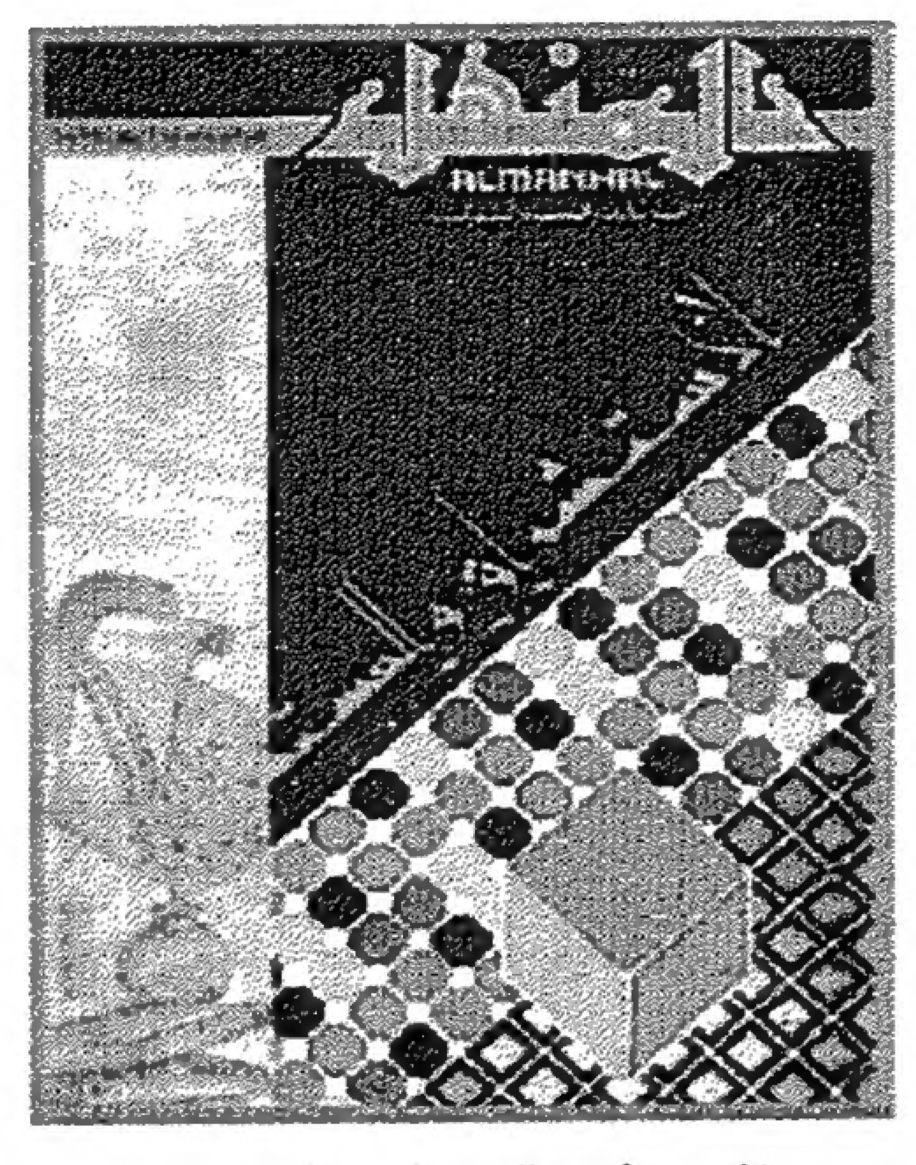
الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



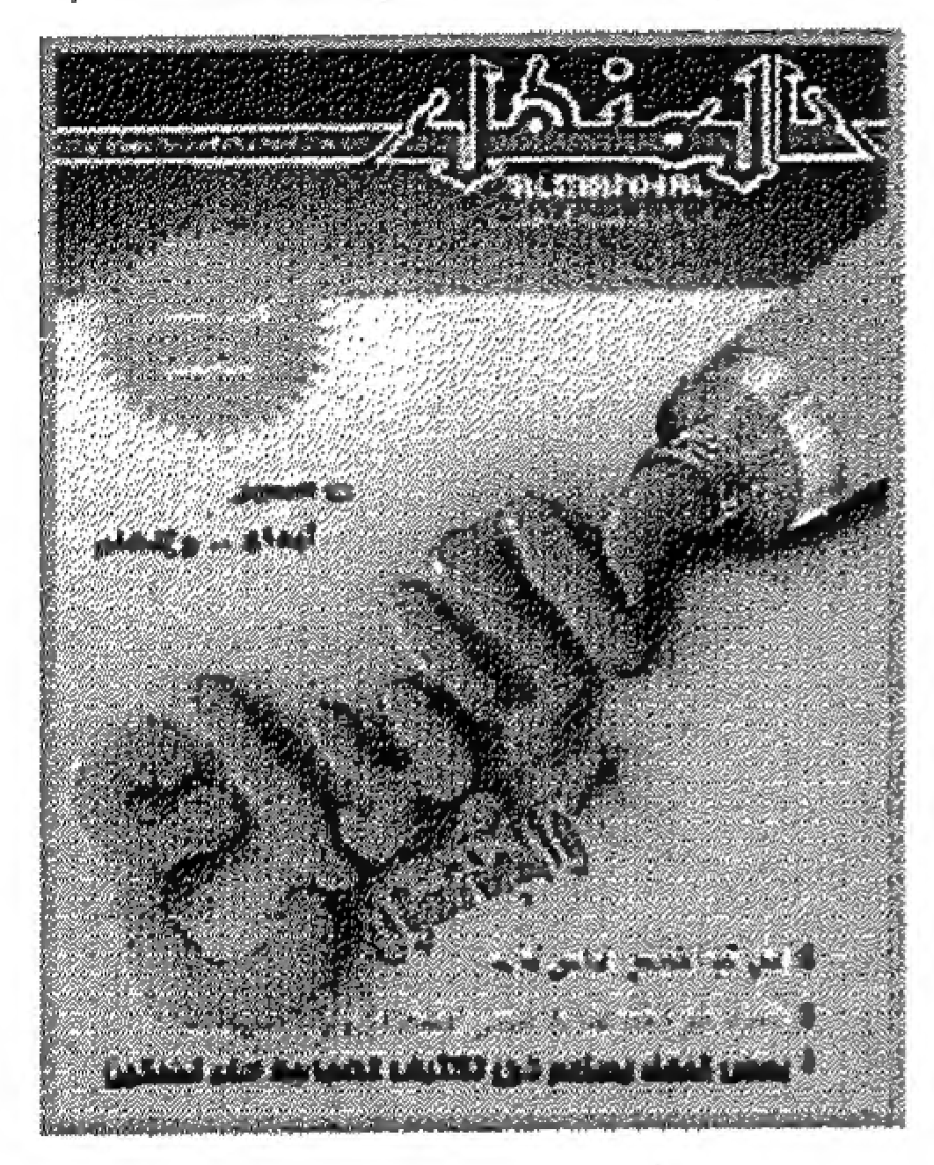
الأثر والأثار
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والبدعون
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



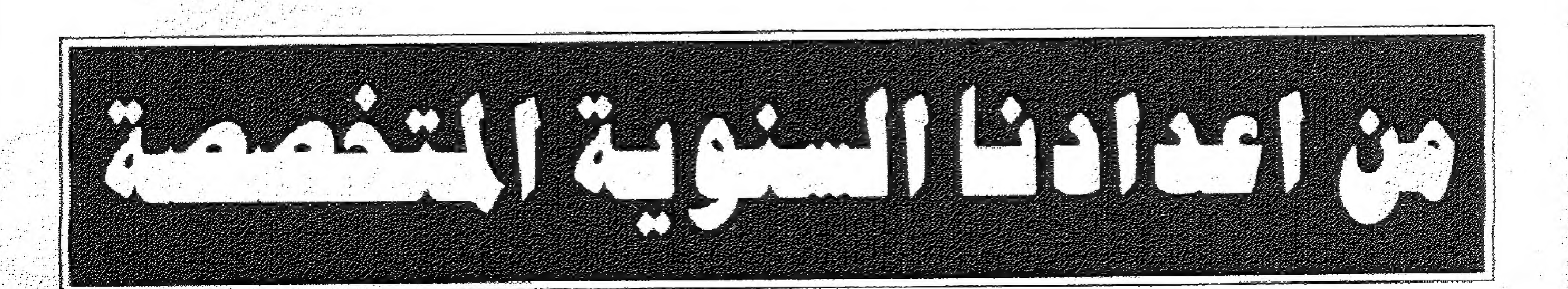
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م





اعظم به من عاهل متواضع
لله لا يزهو، ولا يتكبر
وهو الحبيب لشعبه، ولكل من
هو مؤمن ، ومع السجود يكبر
إن الدعاء بحفظه متواصل
وبه الجوانح والجوارح تهدر
هو قرة لعيوننا وشفاؤه
فضل به الرحمن حقا يشكر
وله السلامة حيث حل وحسبه
من كل ما عاناه ما هو يذخر